التَّعْلِيقُ وَالبَيَانُ

عَلَى

الدِّينِ الحَقِّ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ

الرِّيَاض

الْجَوَّال 00966505112242

الْبَرِيدُ الإِلِكْتْرُونِيُّ m@sh-albarrak.com

الْمَوْقِعُ الرَّسْمِيُّ sh-albarrak.com

إصدارات مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك (٢٢)

التعليق والبيان على الدين الحق

للشيخ: عبد الرحمن بن حماد العمر

رحمه الله تعالى

تأليف

عبد الرحمن بن ناصر البراك

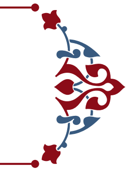




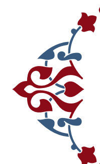



بسم الله الرحمن الرحيم





مقدمة التحقيق



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أما بعد:

فإنَّ كتاب «دين الحق» للشيخ عبد الرحمن بن حمَّاد العمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الكتب المفيدة، والتي تتميَّز بالشُّمول والوضوح والإيجاز، وقد أُعجب به العلماء الذين قرؤوه منذ صدور أول طبعاته عام (١٣٩٥)، واهتمَّ به العلّامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأمر قسم الترجمة برئاسة الإفتاء بترجمته إلى اللغات المُمْكِنَة؛ فزادت ترجماته على عشرين لغة، منها: الإنجليزية، والفرنسية، والفلبينية (ماراناو)، والتاميلية، والروسية، والأردية، والسويدية، والأوزبكية، ولغة الهوسا، والسويدية، والصينية، والتركية، والمليبارية، والبنغالية، واليابانية وغيرها، كما اهتمَّت به وزارة الشؤون الإسلامية، وقامت بطباعة بعض ترجماته وتوزيعها، واهتمَّت به مكاتب دعوة الجاليات؛ فوزعته على غير المسلمين، وعلى عامة الرَّاغبين في معرفة الإسلام وأحكامه ومنهجه في الحياة، وقد حرص عليه أيضًا مصنِّفُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد أوصى ذريته -نفع الله بهم وبارك فيهم- بالحرص على نشر كتاب «دين الحق» خاصة، وبكلِّ ترجماته.

وحرصًا من المكتب العلمي لمؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن البراك، وضمن مشروع نشر إنتاج الشيخ وتقريبه وتحقيقه؛ فقد عمد إلى جمع وتفريغ مادة شرح كتاب «دين الحق»، وأصل المادة تعليقات

مختصرة علــى الكتاب؛ إذ كان يُقرأ على شــيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ فجــر كل ثلاثاء، فعقد له ثلاثين مجلسًا أتى على جميعه بالشــرح والبيان بما يقتضيه المقام، وذلك من الثالث والعشــرين من شــهر جمادى الأولى عــام (١٤٤٠) إلى غُرَّة شهر رجب عام (١٤٤١) في مســجد «الخليفي» بالرياض، وبقيت في الكتاب مواضع لم تُشــرح، ومواضع تحتاج لزيادة شــرح وبيان؛ فقررنا أن نعيد قراءة الشــرح كله على شــيخنا قراءة ضبــط وتكميــل، واقترحنا عليه زيادة توضيح لبعض المسائل، وشــرح بعض الفقرات الواردة في الكتاب؛ فأجاب إلى ذلــك -متَّعه الله بالعافيــة- فكان يُقِرُّ ويُعــدِّل، ويزيد وينقص، ويحرِّر ويدقق، وأملى ما يقرب من ثُلُثَــيْ الكتاب دون الاعتماد أو الرجوع إلى المفرَّغ حتى استقام على هذه الصورة التي بين يديك.

واختار شــيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ أن يســمي شــرحه هذا بـ «التعليق والبيان على الدين الحق للشــيخ: عبــد الرحمن بن حمــاد العمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ»، ســائلين المولــى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بــه، ويكتب لشــيخنا جزيــل الأجر والثــواب، إنه جواد كريم.

وقد سرنا في العمل على هذا الكتاب وفق المنهج التالي:

١. مقابلــة المتــن وضبطــه علــى طبعــة وزارة الشــؤون الإســلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة السادسة، عام (١٤٢٠).

٢. تفريغ الدروس وتنسيقها.

٣. مطابقة الدروس بأصلها المســموع، وتصويب ما وقع في النســخة المفرَّغة من سَقطٍ أو تصحيفٍ.



٤. قراءة التفريغ على شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وكتابة التعليقات الجديدة المحررة التي تزيد على ثُلثَيْ الكتاب دون الاعتماد أو الرجوع إلى المفرَّغ كما تقدَّم.

٥. تقسيم المتن إلى فقرات، ويليه التعليق على الفقرة، والبدء بكلمة «التعليق» بين المتن والشرح، وكل ذلك من صنع شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

٦. توثيق النقول التي وردت في الشرح، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٧. ربط بعض مباحث الكتاب بكلام أهل العلم المحققين.

٨. العناية بالإحالة إلى كُتب وشروح شيخنا في المسائل التي تناولها بتوسُّع في مصنفاته الأخرى.

٩. ضبط الكلمات المشكلة وتشكيلها بالحركات.

١٠. العناية بعلامات الترقيم.

١١. عزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإثباتها على رواية حفص عن عاصم.

١٢. تخريج جميع الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب.

والطريقة في ذلك ما يلي:

أ- إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما نقتصر عليه في العزو.

ب- إذا كان الحديث في غير الصحيحين:

- خرجناه من أشهر مصادره الأصلية؛ كمسند الإمام أحمد، والسنن، وغيرها من المصادر الحديثية المعتبرة.
- ننقل ما تيسَّر من كلام أهل العلم عليه تصحيحًا أو تضعيفًا.

ج- نذكر اسم الصحابي راوي الحديث إلا أن يُذكر في المتن أو الشرح، وإذا كان الحديث مرويًا عن أكثر من صحابي ذكرنا صاحب اللفظ وأشرنا إلى غيره تبعًا.

١٣. ترجمة الأعلام غير المشهورين.

١٤. التعريف بالكتب والفِرق غير المشهورة.

١٥. شرح معاني الكلمات الغريبة من المعاجم المختصَّة.

١٦. صنع فهرسة للموضوعات، وقائمة للمراجع.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، ونسأل الله الكريم من واسع فضله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنة العلمية في

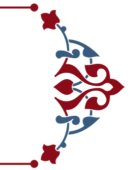


للتواصل: جوال: ٠٥٠٥١١٢٢٤٢

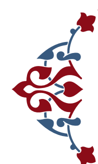
البريد الإلكتروني: m@sh-albarrak.com







مقدمة التعليق



الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، أما بعد:

فهذا تعليقٌ على كتاب «دين الحق» للشيخ عبد الرحمن بن حمّاد العمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، والمؤلف من أفاضل أهل العلم المعروفين بالعلم والدعوة والاجتهاد في نشر العلم وفي تحصيله، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ معاصر توُفي قريبًا في ربيع الأول عام سبعة وثلاثين وأربع مئة، وذُكر في ترجمته أنه وُلد في عام أربعة وخمسين وثلاث مئة، وقد كتبتُ عن الشيخ قبل ذلك ما يحسن الرجوع إليه[1].

وإليك نص ترجمته كما في «الدرر السنية» بقلم الشيخ سعد بن عبد الرحمن بن قاسم؛ قال: «الشيخ عبد الرحمن بن حمّاد العمر البدراني حَفِظَهُ ٱللَّهُ[2]، عالمٌ جليلٌ، وداعية إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة،

---

(١) قال شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ في تزكيته لمؤسسة الشيخ عبد الرحمن بن حمَّاد العمر الوقفية: «فإنَّ الشيخ عبد الرحمن بن حمّاد العمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عرفتُه وصحبتُه وعرفتُ فيه فضائل: من حسن الخُلق وحسن الصحبة، وصدق الدِّيانة، وحبِّ العلم، وإيصال الخير للغير، فقد كان من العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين -أحسبه كذلك ولا أزكّي على الله أحدًا-، وكانت له مقامات محمودة في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله اهتمامٌ في نشر العلم والدعوة إلى الإسلام، وله في ذلك مؤلفات نافعة، وأهمها وأوسعها انتشارًا: «الدين الحق»، غفر الله له وتغمّده برحمته...».

(٢) في الدرر السنية: «حَفِظَهُ ٱللَّهُ»؛ فالترجمة كُتبت في حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وُلد في «روضة سدير» في السابع عشر من شهر صفر عام أربعة وخمسين وثلاث مئة وألف من الهجرة، وتربَّى على يدي والديه، وتعلَّم مبادئ القراءة والكتابة على يد إمام جامع البلد: الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فنتوخ، وتعلَّم القرآن على فوزان القديري وابنه عبد الله، وأكمل دراسة القرآن، وحفِظ «الأصول الثلاثة وأدلتها»، و«شروطَ الصلاة وأحكامَها» على والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والتحق بالمدرسة الابتدائية عام تسعة وستين وثلاث مئة وألف، ثم بالمعهد العلمي بالرياض، ثم بكلية الشريعة فتخرَّج منها عام اثنين وثمانين - ثلاثة وثمانين، وأخذ قبل التخرُّج وبعده عن كثير من العلماء، وفي مقدمتهم: الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن محمد بن حُميد[١]، وكذا الشيخ سليمان بن حمدان[٢] رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وقد أجازه كتابةً بما أجازه أهل العلم، وأخذ العلم أيضًا عن غيرهم من أهل العلم[٣].

(١) قال شيخنا: «هؤلاء أعلام علماء هذه البلاد في وقتهم -رحمهم الله وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا-؛ فالثلاثة كلهم تعاصروا، وتبوؤا المنزلة الرفيعة في العلم والاعتبار، فالشيخ تتلمذ على الثلاثة».

(٢) قال شيخنا: «هذا معروف من العلماء الغيورين، والذين تولَّوا القضاء والتدريس: بمكة والطائف والمدينة».

(٣) وكتب الشيخ عبد الرحمن بن حمّاد العمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وثيقة بخط بيده، يوم السادس عشر من المحرم عام (١٤٢٤) عن العلماء الذين قرأ لهم، وأخذ عنهم، واستفاد منهم، وذكر من ضمنهم: شيخنا عبد الرحمن بن ناصر البراك حَفِظَهُ ٱللَّهُ. وهذا من اللطائف: أن يشرح الشيخ كتاب تلميذه.

وكان يكثر من قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وكتب أئمة الدعوة، والمراجعِ الكبار: في التفسير والحديث والأصول والفقه وغير ذلك. وله كتبٌ ورسائلُ بلغت ثمانية عشر[١]، طُبع بعضها وانتشر، منها: «في سبيل الحق»، و«الإرشاد إلى توحيد رب العباد»، و«الذكرى»، وكتاب: «دين الحق» وقد تُرجم إلى لغات كثيرة، وغير ذلك. وله مشاركة في المحاضرات والندوات في المساجد... وعمل مدرِّسًا بوزارة المعارف ما يقارب ثلاثين عامًا حتى تقاعد في سنة ١٤١٥هـ»[٢].

وهذا الكتاب بهذا العنوان مهم جدًّا، فمؤلفه يريد التعريف بأنَّ الدين الحق هو دين الإسلام لا غيره؛ فإنَّ كثيرًا من الناس قد يُلبَّس عليه فيظن اليهودية والنصرانية دينًا صحيحًا لأنها تنتسب إلى بعض رسل الله؛ كموسى وعيسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ولكنهم حرَّفوا وبدَّلوا، وبعد بعثة محمد ﷺ نُسخ العمل بشريعة موسى وعيسى؛ فاليهود والنصارى اليوم ليسوا على دينٍ صحيحٍ، فالدين الذي هم عليه إما مبدَّل أو منسوخ.

فالكتاب مبني على مضمون قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وعلى مسائل الأصول الثلاثة التي يُسأل

---

(١) وبلغت مؤلفاته الآن: (٢٧) مؤلَّفًا ما بين مطبوعٍ ومخطوطٍ، كما في تقريرٍ أرسلته لنا مؤسسة الشيخ عبد الرحمن بن حمّاد العمر الوقفية، في يوم الثلاثاء العشرين من شهر جمادى الآخرة عام (١٤٤٥).

(٢) ينظر: ملحق الدرر السنية (١٦/ ٤٩٠-٤٩١).

عنها الإنسانُ في قبره: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟[١] فعُلم بذلك أهمية هذا الكتاب لأن موضوعه أهم المهمات، وأوجب الواجبات: وهو الإيمان بأن الدين الحق هو دين الإسلام المبني على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وما يتبعهما من أركان الإسلام، والأصول الثلاثة التي يُسأل عنها الإنسان راجعةٌ إلى الشهادتين.

وهو دعوةٌ لجميع الناس ليُدخِل الكفار في الإسلام، ومن كان مسلمًا يثبت على الإسلام، ويخص الشيخ بالخطاب ذوي العقول ليفكروا في حقيقة الإسلام؛ فيعلموا أنه دين الفطرة والعقل والشمولية والكمال؛ فيعرفوا بذلك فضله على غيره من الأديان فيؤثروه، ويتمسَّكوا به طلبًا للنجاة من الخسران، ولهذا يقول في مقدمته: **(فهذه دعوةٌ إلى النجاة، أتقدم بها لكل عاقلٍ في الوجود -ذكرًا أو أنثى- راجيًا من الله العلي القدير أن يُسعد بها مَن ضلَّ عن سبيله)**.

تنبيه:

سمى الشيخ كتابه: «دين الحق»، والمناسب لمقصوده أن يكون بـ «أل» لا بالإضافة؛ فيُقال: «الدين الحق»، ويثبت على هذا الغلاف بهذا اللفظ على تقدير: هذا هو الدين الحق، وهو دين الإسلام المبني على

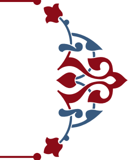
---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والترمذي (٣١٢٠) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الترمذي، وصححه البيهقي في شُعب الإيمان (٣٩٠). وأصله عند مسلم (٢٨٧١-٧٣) دون السؤال عن الدين ولفظه: «**فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد** ﷺ». وينظر: نظم المتناثر (١١١).

الشهادتين، وما يتبعهما من أركان الإسلام؛ ثبتنا الله عليه حتى نلقاه إنه تعالى سميع الدعاء.







المقدمة والإهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع رسل الله، وبعد: فهذه دعوةٌ إلى النجاة، أتقدم بها لكل عاقل في الوجود -ذكرًا أو أنثى- راجيًا من الله العلي القدير أن يُسعد بها مَن ضل عن سبيله، وأن يثيبني وكل مَن يساهم في نشرها أجزل الثواب، فأقول والله المستعان:

اعلم -أيها الإنسان العاقل- أنَّه لا نجاة ولا سعادة لك في هذه الحياة، وفي الحياة الآخرة بعد الممات إلا إذا عرفت ربك الذي خلقك، وآمنت به وعبدتَه وحده، وعرفت نبيك الذي بعثه ربك إليك، وإلى جميع الناس، فآمنتَ به واتبعتَه، وعرفتَ دين الحق الذي أمرك به ربك، وآمنت به، وعملت به.

وهذا الكتاب الذي بين يديك «دين الحق» فيه البيان لهذه الأمور العظيمة التي يجب عليك معرفتها والعمل بها، وقد ذكرت في الحاشيةِ ما تحتاج إليه بعض الكلمات والمسائل من زيادة إيضاح[١]، معتمدًا في ذلك كله على كلام الله تعالى وأحاديث رسوله

(١) وقد أثبتنا هذه الحواشي في مواضعها، وصدَّرناها بقولنا: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية.

عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ لأَنَّهما المرجع الوحيد لدين الحق الذي لا يَقبلُ اللهُ من أحد دينًا سواه.

وقد تركتُ التقليد الأعمى الذي أضلَّ كثيرًا من الناس؛ بل وذكرتُ جملةً من الطوائف الضالّة التي تدَّعي أنَّها على الحق، وهي بعيدة عنه، لكي يحذرها الجاهلون بحالها من المنتمين إليها وغيرهم، والله حسبي ونعم الوكيل.

قاله وكتبه:

الفقير إلى عفو الله تعالى:

عبد الرحمن بن حمَّاد آل عمر

أستاذ في العلوم الدينية.



قوله: (والصلاة والسلام على جميع رسل الله، وبعد): المناسب أن يُقال: «والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ»، وذِكر الرسل بعد ذِكر محمد عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّنا أخص بهذا الرسول، ولكن لعل العُدول عن العبارة المشهورة إلى ما ذكر؛ لأنَّ الدين الحق -دين الإسلام- هو ما بعث الله به رسله من أولهم إلى آخرهم. ولو قال: «أمَّا بعد» كان أولى.

قوله: (اعلم -أيها الإنسان العاقل- أنَّه لا نجاة ولا سعادة لك في هذه الحياة، وفي الحياة الآخرة بعد الممات إلا إذا عرفت ربك الذي خلقك،

وآمنت به وعبدتَه وحده، وعرفت نبيك الذي بعثه ربك إليك، وإلى جميع الناس، فآمنتَ به واتبعتَه، وعرفتَ دين الحق الذي أمرك به ربك، وآمنت به، وعملت بـه): هذه هي الأصـول الثلاثة التـي تضمنتها الرسـالة القيمة المشـهورة: «ثلاثة الأصول» أو «الأصـول الثلاثة» للإمـام المجدد محمد بن عبد الوهاب، فالشـيخ قصد تقرير هذه الأصول الثلاثة، وهي يُعبَّر عنها بمسـائل القبر التي يُسـأل عنها الميت في قبره: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟[1].

قولـه: (وهـذا الكتـاب الـذي بيـن يديـك «ديـن الحـق» فيـه البيـان لهـذه الأمـور العظيمـة التـي يجـب عليـك معرفتهـا والعمـل بهـا، وقـد ذكـرت فـي الحاشـيةِ مـا تحتـاج إليـه بعـض الكلمـات والمسـائل مـن زيـادة إيضـاح، معتمـدًا فـي ذلـك كلـه علـى كلام اللـه تعالـى وأحاديـث رسـوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّهمـا المرجـع الوحيـد لديـن الحـق الـذي لا يقبـل اللـه مـن أحـد دينًـا سـواه): المرجـع والطريـق فـي معرفـة ديـن الإسـلام ومـا تضمنـه مـن عقائـد وشـرائع هـو الكتـاب والسـنة، فهمـا المصـدر لمعرفـة مسـائل الديـن العلميـة الاعتقاديـة، والمسـائل العمليـة.

---

(١) أخرجه أحمـد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والترمـذي (٣١٢٠) عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسـنه الترمذي، وصححـه البيهقي في شُـعب الإيمان (٣٩٠). وأصله عند مسـلم (٢٨٧١-٧٣) دون السـؤال عن الديـن ولفظه: «**فيقـال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وينظر: نظم المتناثر (١١١).

قولـه: (وقد تركـتُ التقليـد الأعمى الـذي أضلَّ كثيـرًا مـن الناس):

المؤلف معروفٌ بتحرِّي الدليل في مسائل الأحكام، فهو لا يلتزم بمذهب ولا يتمذهب، فمنهجه منهج أهل الحديث، ولهذا يقول: إني تركت التقليد. وكثيرٌ من المنتسبين إلى المذاهب مقلِّدون للأئمة الذين ينتمون إليهم، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنده نزعة عدم المذهبية، وعدم التقليد، والتعويل على الدليل في كل ما يَطرح من المسائل العقدية، والعملية من مسائل الأحكام، ولا شك أنَّ هذا المنهج قيِّم عظيم؛ لأن فيه تجرُّدًا عن التعصب والتبعية، فمنهج المؤلف مبنيٌّ على قاعدة «كلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَد إلا الرسول ﷺ»[(١)]، وإن كان مَن يسلك هذه الطريقة محقًّا؛ فليس المراد أنه يرفض أقوال الأئمة فلا ينظر فيها، ولا ينتفع بأقوالهم واجتهاداتهم، بل المراد ترك التعصب والتقليد مع احترام الأئمة، ومعرفة فضلهم في استنباط الأحكام، والاستفادة من ذلك، وهذا ما أوصى به الأئمة الأربعة وغيرهم بعدم التعصب لأقوالهم[(٢)]، وأنَّه مَن استبانت له السنَّةُ؛ لا يحلُّ له أن يَعدل عنها لقول أحدٍ من الناس[(٣)]، فالشيخ في هذا المنهج هو في الحقيقة متَّبعٌ للأئمة، عاملٌ بوصاياهم.

---

(١) جاء بنحوه عن ابن عباس في المعجم الكبير (١١٩٤١)، وعن الحكم بن عُتيبة ومجاهد في جامع بيان العلم (٢/ ٩٢٥)، ونسبةُ هذا إلى الإمام مالك هو المشهور عند المتأخرين، وصححه عنه يوسف بن عبد الهادي في إرشاد السالك إلى مناقب مالك (ص٤٠٢). ينظر: خطبة الكتاب المؤمَّل للرد إلى الأمر الأوَّل (ص١٣٦).

(٢) تنظر أقوالهم في: أصل صفة صلاة النبي للألباني (١/ ٢٣).

(٣) يشير شيخنا لقول الشافعي: «أجمع المسلمون على أن مَنْ استبانت له سنةُ رسول الله ﷺ؛ لم يكن له أن يَدَعَها لقول أحدٍ من الناس» كما في إعلام الموقعين =

قوله: (بل وذكرت جملة من الطوائف الضالّة التي تدَّعي أنَّها على الحق، وهي بعيدة عنه، لكي يحذرها الجاهلون بحالها من المنتمين إليها وغيرهم، والله حسبي ونعم الوكيل): كثير من الطوائف المنتسبة للإسلام يدَّعون أنَّهم هم الطائفة المنصورة، والأمر بخلاف ما يقولون، فالطائفة المنصورة الناجية هي مَن بيَّنهم الرسول في قوله، قيل: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**»[1]، وفي لفظ: «**مَن كان على مِثل ما أنا عليه وأصحابي**»[2] فمَن كان على هدي الرسول وصحابته فهو الذي على الحق، وكل مَن حاد عن طريقهم فهو على الباطل. **وقوله: (والله حسبي ونعم الوكيل)**: يريد أن الله هو الموفِّق والمعين على بلوغ المراد، وإصابة الصواب.



= (١/ ١٠). وهو بنحوه في الرسالة (ص ٣٣٠) بلفظ: «إذا ثبتَ عن رسول الله الشيءُ فهو اللازم لجميع من عَرَفه، لا يُقَوِّيه ولا يُوهِنُه شيء غيرُه، بل الفرض الذي على الناس اتباعه، ولم يجعل الله لأحدٍ معه أمرًا يخالف أمرَه».

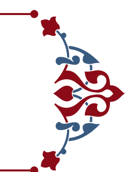
(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وابن عاصم في السنة (٦٣) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (٩٦٥) - واللفظ له- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وهذا الحديث له شواهد عديدة، وطرق كثيرة بألفاظ متقاربة كما في: تخريج أحاديث الكشّاف (١/ ٤٤٧ رقم ٤٥٥)، والصحيحة (٢٠٣، ٢٠٤، ١٤٩٢)، وقال الحاكم في المستدرك (١٠): «هذا حديثٌ كثُرَ في الأصول». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد».





الفصل الأول:
معرفة الله[١] الخالق العظيم



اعلم -أيها الإنسان العاقل- أنَّ ربك الذي خلقك من العدم وربَّاك بالنِّعم هو (الله) رب العالمين، والعقلاء المؤمنون بالله تعالى[٢] لم يروه بأعينهم، ولكنهم رأوا البراهين الدالّة على وجوده، وعلى أنَّه الخالق المدبِّر لجميع الكائنات فعرفوه بها، ومن هذه البراهين:

البرهان الأول: الكون والإنسان والحياة: فهي أشياء حادثة لها بداية ونهاية، ومحتاجة إلى غيرها، والحادث والمحتاج إلى غيره لا بدَّ أنَّه مخلوق، والمخلوق لا بدَّ له من خالق، وهذا الخالق العظيم هو (الله)، والله هو الذي أخبر عن نفسه المقدسة بأنَّه الخالق المدبِّر لجميع الكائنات، وهذا الإخبار جاء من الله تعالى في كتبه التي أنزلها على رسله.

وقد بلَّغ رسلُ الله كلامَه للناس، ودعَوهم إلى الإيمان به وعبادته وحده، قال الله تعالى في كتابه القرآن العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «"الله" اسم خاصٌّ بإله الكون والناس، وكل شيء، وهذا الاسم عَلم عليه، سمَّى به نفسه المقدَّسة ومعناه: "الإله الحق"».

(٢) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «"تعالى": كلمةُ تعظيم وثناءٍ على الله، ووصفٌ له بالعلو والتنزُّه، وكلمة: "سبحانه": أي تقدَّس الله وتنزَّه».

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف].

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يخبر اللهُ تعالى الناسَ جميعًا أنَّه ربهم الذي خلقهم، وخلق السموات والأرض في ستة أيام[1]، ويخبر أنَّه مستوٍ[2] على عرشه، والعرش فوق السموات، وهو أعلى المخلوقات وأوسعها، والله فوق هذا العرش، وهو مع جميع المخلوقات بعلمه وسمعه ورؤيته، لا يخفى عليه شيءٌ من أمرهم، ويخبر الله جل شأنه أنَّه جعل الليل يغطِّي النهار بظلامه، ويتبعه مسرعًا، ويخبر أنَّه خلق الشمس والقمر والنجوم، وجعلها جميعًا مذلَّلة تسير في أفلاكها بأمره، ويخبر أنَّ له وحده الخلق والأمر،

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «هذا التدرُّج في الخلق لحكمة أرادها الله سبحانه، وإلا فهو قادر على خَلْقِ الخَلقِ كلهم في أسرع مِن لَمْحِ البصر؛ لأنه أخبر أنه إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون».

(٢) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «استوى على الشيء في لغة العرب التي هي لغة القرآن معناه: علا عليه وارتفع، واستواء الله على عرشه: هو علوه عليه علوًّا يليق بجلاله لا يعلم كيفيته إلا هو، وليس معنى: استوى: استولى على الملك كما يزعمه الضُّلَّال الذين ينكرون حقيقة صفات الله التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسله، زاعمين أنهم إذا أثبتوا صفات الله على حقيقتها شبَّهوا الله بخلقه، وهذا زعمٌ فاسدٌ؛ لأن التشبيه هو أن يقال فيها: هي شِبه كذا أو مِثل كذا من صفات المخلوق، أما إثباتها على الوجه اللائق بالله بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل؛ فهو طريقة الرسل التي سار عليها السلف الصالح، وهي الحق الذي يجب على المؤمن أن يتمسك به وإن تركه أكثر الناس».

وأنَّه العظيم الكامل في ذاته وصفاته، الذي يعطي الخير الكثير الدائم، وأنَّه رب العالمين الذي خلقهم، وربّاهم بالنِّعم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت].

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يخبر الله تعالى أنَّ من آياته الدالة عليه: الليل والنهار والشمس والقمر، وينهى عن السجود للشمس والقمر؛ لأنَّهما مخلوقان كغيرهما من المخلوقات، والمخلوق لا يصح أن يُعبد، والسجود نوع من العبادة، ويأمر الله الناس في هذه الآية -كما يأمرهم في غيرها- أن يسجدوا له وحده؛ لأنَّه هو الخالق المدبِّر المستحق للعبادة.



قوله: (من العدم): الصواب أن يُقال: بعد العدم[1].

قوله: (والعقلاء المؤمنون بالله تعالى لم يروه بأعينهم، ولكنهم رأوا البراهين الدالّة على وجوده): وهي آياته الكونية، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ

(١) ينظر: مسألة حدوث العالم لابن تيمية (ص٤١-٤٢).

بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]، فالمؤمنون عرفوا الله بآياته، ودلائل وجوده وعلمه وحكمته وقدرته سبحانه، والآيات الكونية: هي كل المخلوقات، والآيات الشرعية: هي آيات القرآن.

قوله: (البرهان الأول: الكون والإنسان والحياة...) إلى آخره: في هذه الجملة الاستدلال بالمخلوق على الخالق، فإنَّ المخلوق لا بدَّ له من خالق، فالمُحدَث لا بدَّ له من مُحدِث، فإنَّ المخلوق لا يخلق نفسه، ولا يوجَد من غير خالق، كما قال تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾ [الطور]، فهذا برهانٌ عقليٌّ قاطعٌ، فالمخلوق المحدَثُ لا يوجِد نفسه؛ لأنَّه كان عدمًا، والعدم ليس بشيء، ولا يوجَد من غير موجِد، هذا نظرٌ عقلي ضروري، فلا يمكن لعاقل أن يقول: إنَّ هذا حدث من غير محدِث، ويضرب العلماء لتقريب هذا فيقولون: إنَّ هذا فطري في الإنسان، فالطفل الصغير لو ضربه ضارب ثم قال: مَن ضربني؟ فقيل له: لم يضربك أحد، فإنَّه لا يطيق ذلك، فهو مفطور على أن المحدثَ لا بدَّ له من محدِث، ولهذا يسأل يقول: مَن ضربني؟[1].

والله تعالى هو الخالق المدبِّر لجميع الكائنات كما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [يونس:٣]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥].

---

(١) ينظر: درء التعارض (٨/ ٣٠٥)، وشرح حديث النزول (ص١٢٤).

قوله: (يخبر اللـه تعالى الناس جميعًـا أنَّه ربهم الـذي خلقهم، وخلق السـموات والأرض في سـتة أيام...) إلـى آخره: ينبِّه الشـيخ إلـى أنَّ الله تعالى الذي أخبـر بأنَّه اسـتوى على العرش أنَّـه مع عباده كمـا في الآيات الأخرى، فيجب الإيمان بالعلو والمعيـة؛ بعلوه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فوق مخلوقاته مسـتويًا على عرشـه، والإيمان بأنَّه مع العباد كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ومعيَّتـه تعالـى إنمـا هي بعلمـه وسـمعه وبصره[١]، يعني: يعلم أحوال العباد وما ظهر وما خفي من أحوالهم، ويسـمع أقوالهم ويرى حركاتهم، إذن هو معهم كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، وهـذا أصلٌ من أصـول عقيدة أهـل السـنة والجماعة؛ الإيمـان بالعلو والمعية، فهـو تعالى عـالٍ في دُنـوِّه، قريبٌ في علـوِّه، وقد جمـع الله بين الصفتين في آيـة «الحديد» في قولـه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤][٢].

قوله: (وينهى عن السجود للشـمس والقمر؛ لأنَّهما مخلوقان كغيرهما من المخلوقـات، والمخلـوق لا يصـح أن يُعبـد...) إلى آخره: الشـمس والقمر هي التي تسجد لله، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ...﴾ [الحج:

---

(١) ينظـر: الرد علـى الجهميـة والزنادقة للإمـام أحمـد (ص٢٩٦)، والإبانـة الكبرى (٧/ ١٥٩-١٦١).

(٢) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخنا (ص١٨٤).

١٨] الآية، فكلها تسجد لله، وقال تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت].



البرهان الثاني: أنَّه خلق الذكر والأنثى: فوجود الإناث والذكور دليل على الله.

البرهان الثالث: اختلاف الألسن والألوان: فلا يوجد اثنان صوتهما واحدٌ، أو لونهما واحدٌ؛ بل لا بدَّ من فرقٍ بينهما.

البرهان الرابع: اختلاف الحظوظ: فهذا غني، وهذا فقير، وهذا رئيس، وهذا مرؤوس، في حين أنَّ كلًّا منهم صاحب عقلٍ وفكرٍ وعلمٍ، وحرصٍ على ما لم يتحصل عليه من الغنى والشرف والزوجة الحسناء، ولكن لا يقدر أحدٌ أن ينال سوى الذي قدَّره الله له؛ وذلك لحكمة عظيمة أرادها الله سبحانه؛ وهي اختبار الناس بعضهم ببعض، وخدمة بعضهم البعض الآخر؛ حتى لا تضيع مصالحهم جميعًا.

والذي لم يقدِّر الله له حظًّا في الدنيا، أخبر الله تعالى أنَّه يَدَّخر له حظَّه زيادة في نعيمه في الجنة إذا مات على الإيمان بالله، مع أنَّ الله منح الفقير مزايا يتمتع بها نفسيًّا وصحيًّا في الغالب لا توجد عند كثير من الأغنياء، وهذا من حكمة الله وعدله.



التَّعْلِيقُ

هذه البراهين -الثاني والثالث والرابع- كلها في الحقيقة تندرج في الأول وهو برهان الخلق، فإنَّ خَلْق الذكر والأنثى وخَلْق الناس متفاوتين في أحوالهم وأقدارهم كله مندرجٌ في الخلق، فالله خلق السموات والأرض ومَن فيهن، وخلق الناس وجعلهم أنواعًا وجعل لهم أحوالًا وطباعًا وأسبابًا، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعلها براهين وعدَّدَها من باب التفصيل بعد الإجمال؛ لأنَّ الأول شامل، فإنَّ الاستدلال بالخلق على الخالق برهان شامل، وما بعده داخلٌ فيه وتابعٌ له، فمن جملة خلقِهِ أن خلق الذكر والأنثى، ومن جملة تدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تدبيرُ أمرِ المخلوقين في أحوالهم من الغنى والفقر، والقوة والضعف، واختلاف الصفات والأصوات والصور، كما ينبِّه الشيخ على أنك مع كثرة الخليقة لا تجد صوتين على حدٍّ واحد أو صورتين متطابقتين من كلِّ وجه، وإن كان هناك تشابهٌ فقد تتشابه الصور؛ كأن تتشابه صورتان مثلًا، لكن لا تكون صورة إنسانين متطابقتين بحيث لا يظهر فرق بينهما من كلِّ وجه؛ بل لا بدَّ إذا اجتمعا تُفرِّق بينهما، وتارةً يقوى الشَّبه فيشتبه على بعض الناس، وهو مَن لا يدقق، وكل هذه الأمور من آيات الله الدالة على وجوده وعلى حكمته وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة].

◆◇◈◇◆

البرهان الخامس: النوم والرؤيا الصادقة التي يُطلع الله سبحانه فيها النائم على شيء من الغيب بشارةً أو إنذارًا.

البرهان السادس: الروح: التي لا يَعرِف حقيقتها إلا الله وحده.

البرهان السابع: الإنسان: وما في جسمه من الحواس، والجهاز العصبي، والمخ، والجهاز الهضمي، وغير ذلك.

التَّعْلِيقُ

قلت فيما مضى: إنَّ كل هذه البراهين تعود إلى البرهان الأول؛ وهو الاستدلال بالخلق على وجود الخالق وقدرته وحكمته، فكلها مما يَعرفُ به العبدُ ربَّه، فهذه البراهين فرع عن الأول وهي مندرجة فيه، ولكن كأن الشيخ قصد التفصيل والتنبيه على هذه بخصوصها، وجعل من هذه البراهين مسألة المنام وما يراه الإنسان في نومه، فهذا ليس إلى الإنسان واختياره وإرادته؛ بل الله يُري الإنسان في منامه أمورًا تتحقق؛ إمَّا بشارة وإمَّا نذارة، والرؤيا ثلاثة أنواع:

الأول: رؤيا من الله، وذلك بواسطة الملَك؛ يضرب للنائم أمثالًا لِمَا أراد الله كَوْنَه.

الثاني: رؤيا من حديث النفس؛ وهو ما يفكِّر فيه الإنسان من أمور حياته، يرى له صورًا في منامه.

الثالث: حلمٌ من الشيطان ليحزن المؤمن، فهذه أقسام المنامات، وقد جاء ذلك في حديث صحيح عن النبي ﷺ[(١)]، فالشيخ جعل النوم والرؤيا الصالحة من البراهين على ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنها يحصل بها كشف لبعض أمور الغيب، ومما يدل على أن النوم آية قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣].

قوله: (البرهان السادس: الروح: التي لا يعرف حقيقتها إلا الله وحده): هذا أيضًا من براهين وجود الله وقدرته وحكمته، فهذه الروح مخلوق -من مخلوقات الله- خفي، وهي في أبداننا ومع ذلك لا نعلم حقيقتها، ولها من الأحوال والتصرُّفات الأمور العجيبة، فهي التي تفيض على بدن الإنسان الحسَّ والحركة؛ فالبدن إذا خلا عن الروح فلا حس ولا حركة، فهي قوام البدن، وهي من أعظم آيات الله، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء][(٢)]، وقد أخبر الرسول ﷺ عن مبدأ الروح في الإنسان وأنَّها بواسطة الملَك: «**فينفخ فيه الروح**»[(٣)] أي: في الطَّور الأخير من أطوار الجنين ينفخ فيه الروح فيكون مستعدًّا للحس والحركة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تفسير الروح بأرواح الحيوان: هو رواية عن ابن عباس، واستظهره الواحدي، ونسبه ابن عطية للجمهور. وقيل: الروح هو جبريل، وقيل: هو مَلَكٌ، وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٦٩-٧١)، والتفسير البسيط (١٣/ ٤٦٢-٤٦٤)، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) -واللفظ له- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (البرهان السابع: الإنسان: وما في جسمه من الحواس، والجهاز العصبي، والمخ، والجهاز الهضمي، وغير ذلك): هذا هو البرهان السابع، وهو يتعلق بالجسد، والسادس يتعلق بالروح، إذن: فكلٌّ منهما من شأن الإنسان، فالإنسان آية من آيات الله؛ بل الإنسان آيات، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات]، فنبَّه إلى ما في الأرض من الآيات؛ كالجبال والأنهار والأشجار والأشياء المختلفة في ظاهر الأرض وباطنها، ثم نبَّه إلى ما في النفوس: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾، وهذا يشمل ما في الروح من الدلالة وما في البدن من الدلالة، والبدن فيه العجب العجاب! فآياته ظاهرة؛ فمنها ما هو ظاهر لعموم الناس، ومنها ما هو ظاهر لأصحاب التخصُّصات من أصحاب التشريح والطب، فسبحان الله العظيم! فماذا في الإنسان في هذا الكيان الهائل من الآيات والدلالات في باطنه وفي ظاهره من الأعضاء والقوى الظاهرة والخفية! قال بعض العلماء: إنَّ ما يأكله الإنسان تتعلق به ثلاث قوى: القوى الطالبة التي بها يشتهي الطعام ويجوع، والقوة الهاضمة التي ينهضم بها الطعام ويسلك بها مسالكه في البدن، والقوة المانعة التي تمنع انسلاله من البدن فور وقوعه في المعدة، والقوة الرابعة الدافعة التي تدفع الفضلات فيتخلص منها البدن، فهذه أربع من القوى المتعلقة بما يأكله الإنسان: طالبة وهاضمة ومانعة ودافعة، ذكر ذلك ابن القيم[1] في كلامه على قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾، وتكلَّم كلامًا كثيرًا في هذا

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٧٨٥).

الشأن، ونبَّه على آيات كثيرة في بدن الإنسان، ومن ذلك الشَّعر[١]، فالشعر الذي ينبت في بدن الإنسان كيف كان توزيعه، فللرأس منه نصيبٌ أوفر، ثم ذكر مواضع الشَّعر في البدن، ومناسبة كل شعر لموضعه؛ كالحاجبين وأهداب العينين والعارضين والذقن والعانة، وكل ذلك من آيات الله الدالة على قدرته وحكمته ورحمته، فهذا كله مما يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ .



البرهان الثامن: ينزِّل الله المطر على الأرض الميتة فتنبت النبات والأشجار المختلفة في أشكالها وألوانها، ومنافعها وطعمها، وهذا قليل من مئات البراهين التي ذكرها الله تعالى في القرآن، والتي أخبر أنَّها أدلة قائمة تدل على وجوده سبحانه وعلى أنَّه الخالق المدبِّر لجميع الكائنات.

البرهان التاسع: الفطرة التي فطر الله الناس عليها، تؤمن بوجود الله خالقها ومدبِّرها، ومَن أنكر ذلك فإنما يغالط نفسه ويُشْقِيها، فالشيوعي مثلًا يعيش في هذه الحياة تَعِسًا، ومصيره بعد الموت إلى النار، جزاء تكذيبه بربه الذي خلقه من العدم[٢]، وربّاه بالنعم إلا إن تاب إلى الله وآمن به وبدينه ورسوله.

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (ص٤٧٠).

(٢) تقدَّم أن الصواب أن يُقال: «بعد العدم». تنظر: (ص٢١).

البرهان العاشـر: البركة، وهي التكاثر في بعـض المخلوقات؛ كالغنم، وعكس البركة: الفشل؛ كما في الكلاب والقطط.

التعليق

قولـه: (البرهان الثامـن: ينزِّل الله المطـر علـى الأرض الميتة...) إلى آخره: هذا يؤكد ما سـبق: أنَّ كل هذه البراهين راجعـة إلى البرهان الأول؛ أي: إن كل برهـان منها جزء من البرهـان الأول؛ وهو الاسـتدلال بالخلق على الخالق، ومـن ذلك آية المطـر: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج]، فـالأرض القاحلـة الميتـة المغبرَّة ينـزل الله عليهـا المطـر؛ فتبتهج وتكتسـي بأنواع النبات، قال تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩﴾ [المؤمنون].

والتنبيه على هذا في القرآن كثير؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحل]، فالشأن في التفكُّر بالعقل.

قولـه: (البرهان التاسـع: الفطرة التـي فطر اللـه الناس عليهـا...) إلى آخره: البرهان التاسـع: الفطرة التي فُطر عليها الإنسـان، فالإنسان مفطور ومركوز فـي فطرتـه وعقله أنَّه لا بـدَّ له من خالـق، فلا يمكنه إن اسـتعمل فكره وفطرتـه إلا أن يُقرَّ بـأنَّ له خالقًا، فلو قيل له: إنك لسـت بشـيء، بل

أنت ليس لك خالقٌ ولا مبدعٌ؛ لم تَقبل فطرتُه ذلك، ولهذا مثَّل الشيخ بالشيوعي(١) الجاحد المنكر للخالق، الملحد أعظم إلحاد، فإنه يعيش في هذه الحياة حياة الشقاء؛ لأنَّه لا يعرف من أين جاء ولا إلى أين يذهب، فلا يُقرُّ بمبدأ ولا معادٍ، ومَن كانت هذه حاله كان في دنياه في شقاء عظيم: في تفكيره وفي علمه وفي عقله، فالرسل عرَّفوا العباد بمبدئهم ونهايتهم وبمصيرهم، ومَن لا يؤمن بالرسل ولم يتبع ما جاؤوا به؛ لا يعرف مبدأً ولا معادًا ولا لماذا وُجد، فهو في هذه الحياة في حيرةٍ من أمره، وقد تضمَّن القرآن الإجابة على هذه الأسئلة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، فالإنسان جاء من ربه الذي بدأ خلقه، وقد خلقه ليعبده ثم هو ذاهب إليه بعد موته ليجزيه، ولهذا قال الرجل الصالح صاحب ياسين لقومه: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [يس].

---

(١) الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسَّدت في الثورة البُلْشُفِية التي ظهرت في روسيا سنة (١٩١٧م) بتخطيط من اليهود، وتوسَّعت على حساب غيرها بالحديد والنار. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٩١٩).

قولـه: (البرهـان العاشـر: البركـة: وهـي التكاثـر فـي بعـض المخلوقات...) إلـى آخره: الله تعالى نـوَّع المخلوقات وفَـاوَتَ بينها في الطباع، فالشـيخ كأنـه ينبِّه إلـى أنَّ من المخلوقـات ما جعل اللـه فيه صفةَ النمو والتكاثر والنفـع، ومثَّل بالغنم؛ فهي نوع من أنواع الحيوان من شـأنه أنَّه يتكاثر وينمـو بكثرة المواليـد، وفيها منافـع عظيمة ينتفع العبـاد بأكلها وشـرب لبنها وبجلودها وصوفها؛ ففيها بركةٌ في ذاتها وفـي منافعها، فهي من النوع المبارك، وأنواع أخرى من الحيوانـات ليس فيها هذا التكاثر وإن كان فيها منافـع؛ كالإبل والبقر، ومـن الحيوانات ما يتكاثـر تكاثرًا عظيمًا، وليس فيه منفعة للإنسـان بل هو مؤذٍ له، ولكن الله خلقـه لحكمة يعلمها، ويمكن التمثيل بذلـك بالنَّمل، فكأن هذا البرهان يرتكـز على آية من آيات الله، وهي تنوُّع المخلوقـات، فالله نوَّع المخلوقات ونـوَّع طباعها، فلكلِّ نوعٍ من الحيـوان طبيعةٌ، وله آثـار ومنافع أو مضار، ومن آيـات الله: خلق الأضـداد فـي الـذوات والصفـات، قـال ابـن القيـم: «خلـقُ الأضـدادِ والمتقابلات هو من كمال الربوبية، كالليل والنهـار، والحر والبرد، واللذة والألم، والخير والشر، والنعيم والجحيم»[1].

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وعكس البركة: الفشـل): فيه نظرٌ، ولا سيما حين مثَّل للفشـل بالكلاب والقطط؛ فـلا يُعرَف وصـفُ القطط والكلاب بالفشـل، والمعروف أنَّ الفشـل هو خيبة الإنسـان فيما يؤمِّله؛ كالهزيمة أمام العدو، والخسـارة في التجارة؛ قال تعالـى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ [الأنفال: ٤٦]،

(١) مدارج السالكين (١/ ١٩٦).

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٢][(١)]، نعم، الكلاب والقطط ليس فيها كثير منفعة للإنسان، وعكس البركة: هو قلَّة المنافع[(٢)]، فتدبَّر.



ومن صفات الله تعالى: أنَّه الأوَّل بلا بداية، وحيٌّ دائمٌ، لا يموت ولا ينتهي، وغني قائم بذاته، لا يحتاج إلى غيره، وواحد لا شريك له، قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾.

معنى الآيات: لما سأل الكفار خاتم المرسلين عن صفة الله؛ أنزل الله عليه هذه السورة، وأمره فيها أن يقول لهم: الله واحدٌ لا شريك له، الله هو الحي الدائم المدبِّر، له وحده السيادة المطلقة على الكون والناس وكل شيء، وإليه وحده يجب أن يرجع الناس في قضاء حاجاتهم.

لم يلد ولم يولد، ولا يصح أن يكون له ابن أو بنت أو أب أو أم؛ بل نفى عن نفسه ذلك كله أشد النفي في هذه السورة وفي غيرها؛ لأنَّ التسلسل والولادة من صفات المخلوق، وقد رد الله على النصارى

(١) ينظر: لسان العرب (١١/ ٥٢٠).
(٢) لأن أصل البركة: النماء والزيادة. ينظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٥).

قولهم: المسيح ابن الله، وعلى اليهود قولهم: عُزَيرٌ ابن الله، وعلى غيرهم قولهم: الملائكة بنات الله، وشنَّع عليهم هذا القول الباطل.

وأخبر أنَّه خلق المسيح عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من أم بلا أب بقدرته، مثلما خلق آدم أبا البشر من تراب، ومثلما خلق حواء أم البشر من ضلع آدم، فرآها إلى جنبه، ثم خلق ذرية آدم من ماء الرجل والمرأة، فقد خلق كل شيء في البداية من العدم، وجعل بعد ذلك لمخلوقاته سنة ونظامًا لا يستطيع أحد أن يغيِّرهما سواه، وإذا أراد أن يغيِّر من هذا النظام شيئًا غيَّره كما يشاء، كما أوجد عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أم بلا أب، وكما جعله يتكلم وهو في المهد.

وكما جعل عصا موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيَّة تسعى، ولما ضرب بها البحر انشق فصار سوقًا عَبَرَ منه هو وقومه، وكما شَقَّ القمر لخاتم المرسلين محمد ﷺ، وجعل الشجر يسلِّم عليه إذا مرَّ به، وجعل الحيوان يشهد له بالرسالة بصوت يسمعه الناس، فيقول: أشهد أنك رسول الله، وأُسري به على البُراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِج به إلى السماء ومعه الملك جبرائيل حتى وصل فوق السماء فكلَّمه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وفَرض عليه الصلاة، وعاد إلى المسجد الحرام في الأرض، ورأى في طريقه أهل كل سماء، وذلك كله في ليلة واحدة قبل طلوع الفجر،

وقصة الإسراء والمعراج مشهورة في القرآن وأحاديث الرسول وكُتب التاريخ.



التَّعليق

لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ البراهين على وجود الله وربوبيته وإلهيته شرع في ذكر أسمائه تعالى وصفاته، فذكر بعض أسمائه المتضمنة لوجوده أزلًا وأبدًا كـ «الأول» و«الآخر»؛ **فقال: (الأوَّل بلا بداية)** كما قال الطحاوي: «قديم بلا ابتداء»[(١)]، ولو قال الشيخ: «هو الأوَّل فليس قبله شيء» كان أولى ليوافق قوله ﷺ: «**اللهم أنت الأوَّل فليس قبلك شيء**»[(٢)]، فالرسول ﷺ ذكر الاسم، وذكر معناه.

وقوله: (وحيٌّ دائم، لا يموت ولا ينتهي): تعبير عن اسمه «الآخر»، ولو قال: «وهو الآخر فليس بعده شيء» كان أولى؛ كما قال الرسول ﷺ[(٣)].

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أسمائه ما يدل على كماله؛ مثل اسمه «الغني»؛ فإنه يدل على غناه عن كل ما سواه، فلا افتقار فيه إلى شيء لا في وجوده ولا في صفاته ولا أفعاله، فإنه خالق وليس بمخلوق، وقادر على كل شيء، وما له مُعِينٌ في شيء من أفعاله، وذلك لكمال غناه.

(١) الطحاوية بشرح شيخنا (ص٣٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) وهو تتمة الحديث السابق.

ومن الأسماء التي ذكر الشيخ: «الواحد» الدال على نفي الشريك، ثم استدل بسورة الإخلاص لتضمنها اسمه تعالى «الأحد»، وهو بمعنى «الواحد»، ثم عبَّر الشيخ عن معنى اسمه «الصمد» المذكور في السورة، ومما فُسِّر به: أنه الذي يصمد إليه العباد في حوائجهم، وقيل بأنَّه الكامل في جميع الصفات: السيد الكامل في سؤدده؛ في علمه وقدرته وحكمته وغناه[1]، وأن من صفاته تعالى: أنه لم يلد ولم يولد، وفي هذا ردٌّ على اليهود والنصارى والمشركين الذين نسبوا إلى الله الولد، وأشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن الله أنكر عليهم، وأغلظ الإنكار، وبيَّن أنه لا شبهة للنصارى في تأليه المسيح، وزعمهم أنه ابن الله، لا شبهة لهم في أنه مخلوق من أم بلا أب؛ لأن الله على كل شيء قدير، فخَلْق عيسى كخَلْق آدم من تراب، فكلاهما مخلوقٌ بأمر الله وإرادته، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران]، وقال في شأن عيسى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥﴾ [مريم]، ومن فضل هذه السورة أنها تعدل ثُلُثَ القرآن[2]، وأنها صفة الرحمن، وفي الحديث الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان

---

(١) وقيل غير ذلك. ينظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٢٥٢)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٧٣١).

(٢) جاء ذلك في حديث أبي سعيد الخدري كما في البخاري (٥٠١٣)، (٥٠١٥)، وأبي هريرة كما في مسلم (٨١١)، (٨١٢)، وقال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٧٠): «والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر». وينظر: نظم المتناثر (١٩٨).

يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ «قل هو الله أحد»، فلما رجعوا ذكروا[١] ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه لأيِّ شيءٍ يصنع ذلك؟**»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أنَّ الله يحبه**»[٢].

وأمَّا **قول الشيخ: (خلق كل شيء من العدم)**: فالصواب أن يُقال: «بعد العدم»[٣].

ثم ذكر الشيخ أن الله جعل لهذا العالم نظامًا لا يتغير شيءٌ منه إلا بمشيئة الله، وهذا النظام هو ما سمَّاه الله سُنَّةً، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٦٢﴾ [الأحزاب]، ولكنه تعالى قادرٌ على خرق العادة كيف شاء، كما خلق عيسى وآدم وزوجه على خلاف السُّنَّة في خلق البشر، ومن قدرة الله على خرق العادة إنطاقُ بعض الحيوانات بكلام مفهوم، ومن خوارق العادات قطع المسافات البعيدة في أقصر وقت كما في قصة الإسراء والمعراج، وقد ذكر الشيخ ذلك كله.

وقوله: (وأمره فيها أن يقول لهم: الله واحد لا شريك له): لو قال: «أمره الله أن يقول: الله أحد» لكان أولى؛ ليطابق لفظ الآية، ولكنه أراد تفسيرَ الأحد بالواحد، وهو حقٌّ[٤].

---

(١) هكذا في بعض نسخ صحيح مسلم، وفي بعضها: «ذُكر».

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) واللفظ له.

(٣) تنظر: (ص٢١).

(٤) تفسير الأحد بالواحد قال به: ابن عباس وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى، وفرَّق قوم بينهما. ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٣١٦)، وزاد المسير (٤/ ٥٠٦).

وقوله: (وجعل الشجر يسلم عليه إذا مر به): يشير إلى ما جاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى بعض نواحي مكة بين الجبال والشجر، فلم يمرَّ بشجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[١].

وقوله: (وجعل الحيوان يشهد له بالرسالة): أي جعل الله الحيوان يشهد للنبي بالرسالة، والشيخ يشير بهذا إلى قصة الذئب التي أخرجها البخاري في «التاريخ»[٢] وغيره، وفيها: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه... فقال الذئب: عمدتَ إلى رزق رزقنيه الله عَزَّ وَجَلَّ انتزعته مني. فقال الرجل: تالله إن رأيتُ كاليوم ذئبًا يتكلم، قال الذئب: أعجبُ من هذا رجلٌ في المدينة بين الحرَّتَين، يخبركم بما مضى وبما هو كائنٌ بعدكم[٣].

وقوله: (وكُتب التاريخ): يريد كتب السيرة[٤].



(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٨٩) بنحوه.

(٢) في التاريخ الكبير (٢/ ٣٦٥ رقم ١٦٢٨) عن أنيسِ بن عمرو عن أُهْبَان بن أَوس قال: كنتُ في غنم لي فكلَّمه الذئب، فأتى النبي ﷺ فأسلم. وقال البخاري: «وإسنادُه ليس بالقويِّ».

(٣) أخرجه أحمد (٨٠٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أيضًا (١١٧٩٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وصححه الحاكم (٨٤٤٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٢). وينظر: البداية والنهاية (٩/ ٢٢)، والصحيحة (١٢٢).

(٤) أي: ما تضمنته تلك الكتب من ذكر قصة الإسراء والمعراج. ينظر على سبيل المثال: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٩٦)، وزاد المعاد (٣/ ٤١) وما بعدها.



ومن صفات الله تعالى: السمع والبصر، والعلم والقدرة، والإرادة، يسمع ويرى كل شيء، لا يحجب سمعَه ورؤيتَه حجابٌ.

ويعلم ما في الأرحام، وما تخفيه الصدور، وما كان وما سيكون، وهو القدير الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون.

ومن صفاته التي وصف بها نفسه المقدَّسة: الكلام بما يشاء متى شاء: وقد كلَّم موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكلَّم خاتم الرسل محمدًا ﷺ، والقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، أنزله على رسوله محمد ﷺ، فهو صفة من صفاته، وليس مخلوقًا كما يقول المعتزلة الضالُّون.

ومن صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسله: الوجه واليدان، والاستواء والنزول[١] والرضا والغضب فهو يرضى عن عباده المؤمنين، ويغضب على الكافرين، وعلى مرتكبي موجبات غضبه، ورضاه وغضبه كباقي صفاته، لا تشبه صفات المخلوق ولا تُأوَّل ولا تُكيَّف.

وثبت في القرآن والسنة أنَّ المؤمنين يرون الله تعالى عيانًا بأبصارهم في عرصات القيامة وفي الجنة، وصفات الله تعالى مفصَّلة في القرآن

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «لحديث: «ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا...» إلخ».

العظيم، وأحاديث الرسـول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فلتُراجع.

التَّعْلِيقُ

هـذه صفـاتٌ ذاتيـة وفعليـة، فالذاتيـة؛ كاليديـن والوجـه، والفعلية؛ كالاسـتواء والنزول، فمـا كان بمشـيئته فهو صفـةٌ فعلية، وما لـم تتعلق به المشيئة صفةٌ ذاتية[١].

وواضح في ترتيب الشـيخ بأنَّ مضمون التعريف بالله: العلم بأسـمائه وصفاته، فذَكَرَ مـا ذَكَرَ أخذًا من الكتاب والسـنة، فالكتاب والسـنة تضمَّنا التعريف بالله؛ فإنَّ الرسل بعثهم الله بثلاثة أنواع من المعرفة[٢]:

الأول: معرفة الله: بأسمائه وصفاته وأفعاله.

الثانـي: معرفـة الديـن الـذي شـرعه، وفرضه علـى عباده، وهـو دين الإسـلام الذي أصلـه التوحيد، وهـو عبادة اللـه وحده لا شـريك له، وقد جعل الله هذا الدين هو الطريق الموصل إليه والفوز بمحبته ورضوانه.

الثالث: تعريف الناس بمآلهم ومصيرهم من السـعادة والشقاوة، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٥٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٥-٩٦)، والصواعق المرسلة (٢/ ١٠٦٤).

فهذه أنــواع العلم الشــرعي: العلــم بالله: بأســمائه وصفاتــه، والعلم بشــرعه: أوامره ونواهيه وأحكام الحلال والحرام، والعلم بجزاء الأعمال: وهو ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر، وهذه العلوم الثلاثة هي أقســام العلم الشرعي التي قال فيها ابن القيم:

والعلــم أقســامٌ ثــلاثٌ مــا لهــا ... مِــن رابــعٍ والحــق ذو تبيــان

علــمٌ بأوصــاف الإلــه وفِعلــه ... وكذلــك الأســماء للرحمــن

والأمــر والنهــي الذي هــو دينه ... وجــزاؤه يــوم المعــاد الثانــي[1]

فالشــيخ ضمَّن هذا الفصل ما يتعلــق بالأصل الأول، وهــو معرفة الله بأسمائه وصفاته، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجزاه الله خيرًا.



(١) النونية (٣/ ٨٣٩ رقم ٤٢٥٣-٤٢٥٥).




الشيء الذي من أجله خلق الله بني الإنسان والجن

إذا عرفت -أيها العاقل- أنَّ الله هو ربك الذي خلقك؛ فاعلم أنَّ الله لم يخلقك عبثًا، وإنما خلقك لعبادته، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات]

المعنى الإجمالي للآيات:

يخبر الله تعالى في الآية الأولى: أنه خلق الجن[1] وبني الإنسان من أجل أن يعبدوه وحده، ويخبر في الآيتين الثانية والثالثة أنه غني عن عباده، فلا يريد منهم رزقًا ولا إطعامًا؛ لأنه هو الرزاق القوي، الذي لا رزق للناس وغيرهم إلا من عنده، فهو الذي ينزل المطر، ويخرج الأرزاق من الأرض.

وأما المخلوقات الأخرى التي في الأرض غير العقلاء، فقد أخبر الله تعالى أنه خلقها من أجل الإنسان، ليستعين بها على طاعته، ويتصرف نحوها على شريعة الله، وكل مخلوق وكل حركة وسكون في الكون

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «الجن: خلقٌ عقلاء خلقهم الله لعبادته مثل بني آدم، ويسكنون مع بني الإنسان في الأرض، ولكن بني الإنسان لا يرونهم».

فإنَّ الله أوجده لحكمة بيَّنها في القرآن، ويعرفها العلماء بشريعة الله كلٌّ على قدر علمه، وحتى اختلاف الأعمار والأرزاق والأحداث والمصائب، كل ذلك يجري بإذن الله؛ ليختبر عباده العقلاء، فمن رضي بقدر الله واستسلم له واجتهد في العمل الذي يرضيه فله الرضا من الله، والسعادة في الدنيا والآخرة بعد الموت، ومن لم يرض بتقدير الله، ولم يسلِّم له ولم يطعه فله من الله السخط، وله الشقاء في الدنيا والآخرة، نسأل الله رضاه، ونعوذ به من سخطه.



التَّعليق

انتهى المؤلف من ذكر ما يتعلق بمعرفة الله ومعرفة حقه على عباده، فالله تعالى الذي خلقنا وخلق كلَّ شيءٍ له حقٌّ على العباد، وحقه على عباده كما قال النبي لمعاذ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[١]، وليت الشيخ ذكر هذا الحديث لأنه في صميم الموضوع[٢]، والآية تدل على أنَّ العبادة هي الغاية؛ أي: الحكمة من خلق الثقلين: الجن والإنس، فنُسأل: لمَ خلق الله الجن والإنس؟ فنقول: خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وهذا أسلوب حصر، وهذه هي الحكمة من إرسال الرسل وإنزال

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) ينظر تعليق شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ عليه في: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص٢٧).

الكتب أَمْرُ الناس بعبادة الله التي خلقهم الله لها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، فالله غني عن العباد، فما خلقهم ليستعين بهم، أو ليُطعموه أو يرزقوه أو يتقوى بهم مِن ضَعْفٍ، أو يتعزز بهم مِن ذِلَّةٍ؛ إنما خلقهم ليعبدوه[(١)]، وقد بيَّن في آيات أخرى أنه خلق هذا الوجود كلَّه بأسره لحكمة الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ [الكهف].



(١) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص٢١-٢٣).





البعث بعد الموت والحساب والجزاء على الأعمال والجنة والنار



إذا عرفت -أيها العاقل- أنَّ الله خلقك لعبادته؛ فاعلم أن الله أخبر في جميع كتبه التي أنزلها على رسله بأنه سوف يبعثك حيًّا بعد الموت، وسيجازيك على عملك في دار الجزاء بعد الموت، وذلك لأنَّ الإنسان ينتقل بالموت من دار العمل والفناء -وهي هذه الحياة- إلى دار الجزاء والخلود، وهي ما بعد الموت، فإذا تمت المدة التي قدَّر الله للإنسان أن يعيشها أمر الله ملك الموت فقبض روحه من جسده، فيموت بعدما يذوق مرارة الموت قبل خروج روحه من جسده.

أما الروح، فإن الله يجعلها في دار النعيم (الجنة) إن كانت مؤمنة بالله مطيعة له؛ وإن كانت كافرة بالله، مكذِّبة بالبعث والجزاء بعد الموت، جعلها الله في دار العذاب (النار) حتى يأتي موعد نهاية الدنيا فتقوم الساعة، ويموت كل مَن بقي من الخلق، فلا يبقى إلا الله وحده، ثم يبعث الله الخلق كلهم -حتى الحيوان- ويعيد كل روح إلى جسدها بعدما يعيد الجسد كاملًا كما خلقه أوَّل مرة، وذلك ليحاسب الناس، ويجازيهم على أعمالهم: الذكر والأنثى، والرئيس والمرؤوس،

والغنـي والفقير، فـلا يظلم أحـدًا، ويقتـص للمظلوم مـن ظالمه، حتى الحيوانـات يقتص لهـا ممـن يظلمها، ويقتـص لبعضها مـن بعض، ثم يقول لها: كوني ترابًا، لأنها لا تدخل جنة ولا نارًا.

ويجازي بني الإنسـان والجـن كلًّا بعملـه؛ فيُدخل المؤمنيـن به الذين أطاعوه واتبعوا رسـله الجنة؛ ولو كانوا أفقر النـاس، ويُدخل الكافرين المكذبيـن النار ولـو كانوا أغنـى الناس وأشـرفهم في الدنيـا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

والجنة: هي دار النعيـم، فيها من أصنـاف النعيم ما لا يقـدر أحد على وصفه، فيها مئة درجة[(١)]، لكل درجة سُـكَّان على قدر قوة إيمانهم بالله وطاعتهم لـه، وأقل درجةٍ فـي الجنة يُعطـى أهلها من النعيـم مثل نعيم أَنْعَم مَلِك في الدنيا سبعين مرة[(٢)].

والنار -أعاذنا الله منها- هي دار العذاب فـي الآخرة بعد الموت، فيها من أصناف العذاب والنَّكال ما يَهُول ذكرُه القلوبَ، ويبكي العيون.

ولـو كان المـوت يوجد فـي الـدار الآخـرة لمات أهـل النـار بمجرد رؤيتها، ولكن الموت مرة واحدة ينتقل به الإنسـان من الحياة الدنيا إلى الآخرة، وقد جاء في القـرآن العظيم الوصف الكامـل للموت، والبعث والحساب والجزاء، والجنة والنار، وفيما ذكرنا إشارة إليه.

(١) أخرجـه البخـاري (٢٧٩٠) عـن أبـي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وينظـر: حـادي الأرواح (١/١٥٦-١٥٩).

(٢) لم نجده. وسيأتي كلام شيخنا حَفِظَهُ اللَّهُ في التعليق.

والأدلة على البعث بعد الموت والحساب والجزاء كثيرة جدًّا، قال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه]، وقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن].

المعنى الإجمالي للآيات:

يخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآية الأولى: أنه خلق بني الإنسان من الأرض، وذلك حينما خلق أباهم آدم من تراب، ويخبر أنه يعيدهم فيها بعد الموت في القبور كرامةً لهم، ويخبر أنه يخرجهم منها مرة أخرى، فيَخرجون من قبورهم أحياء من أولهم إلى آخرهم، فيحاسبهم الله ثم يجازيهم.

وفي الآية الثانية: يَرُدُّ الله على الكافر المكذِّب بالبعث الذي يستغرب حياة العظام بعد فنائها، يردُّ الله عليه، فيخبر أنه يحييها؛ لأنه الذي أنشأها أول مرة من العدم.

وفي الآية الثالثة: يَرُدُّ الله على الكافرين المكذِّبين بالبعث بعد الموت زعمهم الفاسد، ويأمر رسوله أن يقسم لهم بالله قسمًا مؤكدًا أنَّ الله سوف يبعثهم، وسوف ينبِّئهم بما عملوا، ويجازيهم عليه، وأنَّ ذلك يسير على الله.

وأخبر الله في آية أخرى أنه إذا بعث المكذبين بالبعث والنار عذبهم في نار جهنم، وقيل لهم: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة].



التَّعْلِيقُ

هذا هو الأصل الخامس من أصول الإيمان: وهو الإيمان بالبعث بعد الموت، ويعبَّر عنه بالإيمان باليوم الآخر، فإنه لا يوم بعده فهو يومٌ مستمرٌّ على أهل الجنة والنار، والإيمان باليوم الآخر يدخل فيه الإيمان بكل ما يكون بعد الموت؛ كأحوال أهل القبور من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، كله داخل في حكم الإيمان باليوم الآخر، لأنَّ دار البرزخ هي تابعة لدار الجزاء، فالدور ثلاث: دار الدنيا وهي دار العمل والابتلاء، ودار البرزخ وهي ما بين الموت والبعث ويلقى فيها المكلَّفون شيئًا من جزاء أعمالهم خيرًا أو شرًّا(١).

فممَّا يجب الإيمان به ما أخبر الله به ورسوله مما يكون بعد الموت وقبل البعث؛ فالقيامة قيامتان: القيامة الكبرى: وهي البعث بعد الموت التي يقوم فيها جميع الأولين والآخرين لرب العالمين، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين]،

(١) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخنا (ص١٩٩).

والقيامة الصغرى: هـي الموت، فمَن مـات قامت قيامتـه[1]، لأنه بالموت يُشرف على نتيجة عمله، ويُطلعه الله على مصيره: الجنة أو النار، حتى أنه فـي قبره يَـرى مقعده مـن الجنـة ومقعده مـن النـار، فيُقال للمؤمـن: هذا مقعدك في الجنة، وهـذا مقعدك في النـار أبدلك الله به مقعـدًا في الجنة، والكافر بالعكس، قال في الحديث: «**فيراهما جميعًا**»[2].

وقول المؤلف: (والأدلـة على البعث بعد الموت والحسـاب والجزاء كثيرة جدًّا...) إلى آخره:

يبيِّن الشـيخ ما جاء به القـرآن في الأصل الخامس مـن أصول الإيمان وهو اليـوم الآخـر، ذلك اليـوم الذي تكـون فيه الأحـداث العظيمـة التي أعظمهـا البعث، وهو وسـيلة إلـى ما بعـده: من الحسـاب والجـزاء ثوابًا وعقابًـا، وقد أخبر اللـه بهذا الأمر العظيـم -أعني: البعث- فـي آيات كما ذكر الشيخ، وهي أدلة خبرية، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ

(١) لما أخرجه البخاري (٦٥١١) -واللفظ له- ومسـلم (٢٩٥٢) عن هشام، عن أبيه، عن عائشـة، قالت: كان رجال من الأعراب جفـاة، يأتون النبي ﷺ فيسـألونه: متى السـاعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «**إن يعش هذا لا يدركـه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**»، قال هشام: يعني موتهم.
قال ابن كثير في البدايـة والنهاية (١٩/ ٣٢): «وفي بعض الأحاديث، أنه ﷺ سـئل عن السـاعة، فنظر إلى غـلام فقال: «**لن يـدرك هذا الهـرم حتى تأتيكم سـاعتكم**». والمراد: انخرام قرنهم، ودخولهم فـي عالم الآخرة، فإن كل من مات فقد دخل في حكم الآخـرة، وبعض الناس يقول: من مـات فقد قامت قيامته. وهـذا الكلام بهذا المعنى صحيح...».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه]؛ فهذه أدلة خبرية لا تُقنع الكافر بالرسول وبالقرآن.

لكن في القرآن أدلة عقلية على قدرته تعالى على البعث، وهي التي يُردُّ بها على المكذِّبين[١]:

منها: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى، وذكر الشيخ من شواهدها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس].

ومنها: إحياء الأرض بعد موتها؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩].

ومنها: خلق السموات والأرض وهي أعظم، ومن دليل ذلك قوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف].

(١) وذكر ابن تيمية غيرها. ينظر: درء التعارض (١/ ٣٢-٣٥)، والرد على المنطقيين (ص ٣٦٤- ٣٦٦).

وهذه الأدلة الثلاثة يأتي ذكرها في القرآن في مواضع متعددة، بأساليب منها ما هو مبسوطٌ، ومنها ما هو موجز[١].

والحديث عن اليوم الآخر والبعث والنشور والجزاء في القرآن كثير واسع؛ بل في القرآن سور مخلَصة لهذا المعنى؛ كسورة القيامة، وسورة الواقعة، وسورة القارعة، وسورة الحاقة، كلها سور من أولها إلى آخرها في تقرير البعث، وهذه الحجج العقلية يرد بها على المكذبين الذين يقولون: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾ [ق]، ويستبعدون البعث ويستعظمونه، يقولون: «كيف نُعاد بعد أن كنا ترابًا وعظامًا ورُفاتًا؟!».

وقوله: (فيها مئة درجة): يريد بالدرجات: الجنات، ولا شك أن الجنة جناتٌ كثيرة ليست واحدة، وأعلاها الفردوس[٢]، ويَشهد لِما قال الشيخ من إطلاق الدرجات على الجنات قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه].

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٢٤٢-٢٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وينظر: حادي الأرواح (١/ ٢١٠).

وقوله: (مثل نعيم أنعـم مَلِك في الدنيا سـبعين مرة): تقديـر ما يُعطاه المؤمن بسـبعين مرة يحتاج إلى مراجعة ما نقل منه الشـيخ، والمشهور في «صحيح مسلم» وغيره تقديرُه بعشرة[1].



ضبطُ أعمال الإنسان وأقواله:

وقد أخبر عَزَّوَجَلَّ أنه قد علم ما سـوف يقول كل إنسان ويعمل من خير أو شـر، سـرًّا أو علانية، وأخبر أنه قد كتـب ذلك في اللـوح المحفوظ عنده قبل أن يخلق السـموات والأرض والإنسـان وغيره، وأخبر أنه مع هذا قد وكَّل بكل إنسـان ملكيـن: واحدًا عـن يمينه يكتب الحسـنات، والآخـر عـن شـماله يكتـب السـيئات، لا يفوتهما شـيء، وأخبـر الله سـبحانه أنَّ كل إنسـان يُعطى يوم الحسـاب كتابه الذي كُتب فيه أقواله وأعماله، فيقرؤها لا يُنكر منها شـيئًا، ومَن أنكر شـيئًا أنطق الله سـمعه وبصره ويديه ورجليه وجلده بجميع ما عمل.

(١) لم نجده بعد البحث فيما تيسَّـر لنا من مراجع. وفي مسـلم (١٨٩) قال المغيرة بن شـعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «سـأل موسـى ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة، قال: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنـة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقـول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهـم، وأخذوا أَخَذَاتهـم، فيقال له: أترضى أن يكـون لك مثل مُلك مَلك من ملـوك الدنيا؟ فيقول: رضيـت رب، فيقول: لك ذلك، ومثلـه ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسـة: رضيـت رب، فيقول: هذا لك وعشـرة أمثالـه، ولك ما اشتهت نفسك، ولذَّت عينك، فيقول: رضيت رب...».

وفي القرآن العظيم بيان ذلك بالتفصيل، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

شرح الآيات:

يخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه وكّل بكل إنسان ملكين: واحدًا على يمينه رقيبٌ يكتب حسناته، والآخر على شماله عتيدٌ يكتب سيئاته، ويخبر الله في الآيتين الأخيرتين أنه وكّل بالناس ملائكة كرامًا، يكتبون جميع أفعالهم، وأخبر أنه جعل لهم القدرة على العلم بجميع أفعالهم، وكتابتها كما قد علمها وكتبها لديه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم.

شهادة:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، وأشهد أنَّ الجنة حق، والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث مَن في القبور للحساب والجزاء، وأنَّ كل ما أخبر الله به في كتابه أو على لسان رسوله حق، وأدعوك -أيها العاقل- إلى الإيمان بهذه الشهادة وإعلانها، والعمل بمعناها، فهذا سبيل النجاة.



التَّعْلِيقُ

هذه الشـهادة ثمرة لِمـا تقدم، فبعـد تقرير ما تقـدَّم من ربوبيتـه تعالى وإلهيته، وتقرير الإيمان بالرسـول ﷺ والبعث؛ وجب علـى مَن عرف هذا أن يشهد هذه الشـهادة، فيشـهد بأنه لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ السـاعة آتية، وهذا هـو الإقـرار بالبعث، والسـاعة هي القيامـة، ولها أسماء كثيرةٌ[(١)]؛ كالسـاعة، ويوم البعث، ويوم النشـور، ويوم الجزاء، ويوم الحساب، إلى غير ذلك، فواجبٌ على كلِّ مكلَّف وكلِّ عاقلٍ عرف أنَّ الله تعالى خالقُه وخالقُ السـموات والأرض أن يشـهد هذه الشـهادة، وهاتان الشهادتان هما أصل الدين.

ولا بدَّ مع هذه الشـهادة من الإيمان بأصول الإيمان السـتة ولا سـيما اليوم الآخر؛ ولهذا نصَّ الشـيخ عليه بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج]، وهذا المعنى جرت عادة السلف في كتابة هذه الشهادة في وصاياهم؛ كما جاء في «مصنف عبد الرزاق»[(٢)] عن أنس، فيقول الموصي: هذا ما أوصـى به فلان، وهو يشـهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسـول الله، وأن السـاعة آتية لا ريـب فيها وأنَّ اللـه يبعث مَن في القبور، وأنَّ الجنـة حقٌّ، والنـارَ حقٌّ، وهذا نـصُّ ما رواه عبـد الرزاق عن أنس؛ قال: «كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: بسم الله الرحمن الرحيم،

---

(١) جمعها الغزالي ثم القرطبي فجاوزت ثمانين اسـمًا. ينظر: إحيـاء علوم الدين (٩/ ٥٤٤ - ٥٤٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٥٤٣ - ٥٤٤).

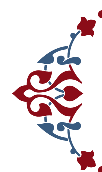
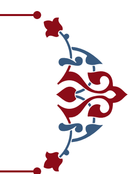
(٢) برقم (١٦٣١٩).

هذا ما أوصى به فلان: إنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج]، وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة]»[1].

والإيمان بالجنة والنار والبعث داخلٌ في الإيمان باليوم الآخر؛ فإنَّ الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكلِّ ما يكون بعد الموت.

فلا بدَّ لمن دخل في الإسلام أو أراد الدخول في الإسلام من هذه الشهادة، فمَن امتنع من شيءٍ منها لم يكن مسلمًا، فإن كان أظهر الإسلام وامتنع من شيءٍ من هذه الشهادة صار مرتدًّا.

(١) وأخرجه بنحوه: سعيد بن منصور (٣٢٦)، والدارقطني (٤٣٠٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٦٤٧).

الفصل الثاني:
معرفة الرسول

إذا عرفت -أيها العاقل- أنَّ الله هو ربك الذي خلقك، وأنه سوف يبعثك ليجازيك على عملك، فاعلم أنَّ الله أرسل إليك وإلى جميع الناس رسولًا، أمرك بطاعته واتباعه، وأخبر أنه لا سبيل لمعرفة العبادة الصحيحة له إلا باتباع هذا الرسول، وعبادة الله بشريعته، التي أرسله بها.

وهذا الرسول الكريم، الذي يجب على جميع الناس الإيمان به واتباعه هو خاتم المرسلين، ورسول الله إلى الناس جميعًا محمد النبي الأمي، الذي بشَّر به موسى وعيسى في أكثر من أربعين موضعًا في التوراة والإنجيل، يقرؤها اليهود والنصارى قبل أن يتلاعبوا بهذين الكتابين ويحرِّفوهما[١].

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «انظر البشارات بمحمد ﷺ كما وردت في التوراة والإنجيل في كتاب: «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» ج «١» لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، وانظر كتاب: «هداية الحيارى» للعلامة محمد ابن القيم، وانظر كتاب: «السيرة النبوية» لابن هشام، وانظر: معجزات النبوة في «تاريخ ابن كثير» وغيره».

وهذا النبـي الكريم الذي ختم الله به رسـله، وبعثه إلـى الناس جميعًا، هـو محمد بن عبـد الله بـن عبد المطلب الهاشـمي القرشـي، أشـرف وأصدق رجل في أشـرف قبيلة على وجه الأرض، تسلسلت من صلب نبي الله إسماعيل ابن نبي الله إبراهيم، وقد وُلد خاتم المرسلين محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مكـة سـنة ٥٧٠م. وفـي الليلة التـي وُلد فيهـا، وفي لحظـة خروجه من بطـن أمه أضـاء الكون نـورٌ عظيم، أدهـش الناس، وسُـجل في كتب التاريخ، وانتكسـت أصنام قريش التـي يعبدونها عند الكعبة في مكة، واهتز إيوان كسـرى ملـك الفرس، وتسـاقط منه بضع عشـرة شـرفة، وانطفأت نار الفرس التـي يعبدونها، وكانت لـم تنطفئ قبل ذلك بألفي[1] عام.

وكل هـذا إعـلان من اللـه تعالـى لأهـل الأرض بمولـد خاتم المرسلين الذي سـوف يحطِّـم الأصنـام التي تُعبد مـن دون اللـه، وسـيدعو الفرس والـروم إلـى عبـادة اللـه وحـده، والدخـول فـي دينـه الحـق، فـإذا أبـوا جاهدهـم هـو ومَـن يتبعـه، فينصـره اللـه عليهـم، وينشـر دينـه الـذي هـو نـوره فـي الأرض، وهـذا هـو مـا حصـل بالفعـل بعدما بعـث الله رسـوله محمدًا ﷺ.

وقـد ميَّـز اللـه خاتـم رسـله محمـدًا ﷺ مـن بيـن إخوانـه الرسـل قبلـه بميزات منها:

(١) في المصادر التاريخيـة والحديثية: «بألف عام». ينظر: تاريـخ الطبري (٢/ ١٦٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٢٦).

أولًا: أنه خاتم المرسلين فليس بعده رسول ولا نبي.

ثانيًا: عموم رسالته إلى جميع الناس، فالناس كلهم أمة لمحمد، مَن أطاعه واتبعه دخل الجنة، ومَن عصاه دخل النار.

حتى اليهود والنصارى مكلَّفون باتباعه، ومَن لم يتبعه ويؤمن به فهو كافر بموسى وعيسى وبجميع الأنبياء، وموسى وعيسى وكل الأنبياء بريئون من كل إنسان لا يتبع محمدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ الله أمرهم أن يبشروا به، وأن يدعوا أممهم إلى اتباعه إذا بعثه الله، ولأنَّ دينه الذي بعثه الله به هو الدين الذي بعث الله به رسله، وجعل كماله ويسره على عهد هذا الرسول الكريم خاتم المرسلين، فلا يجوز لأحد بعد بعثة محمد أن يعتنق دينًا غير الإسلام الذي بعثه الله به؛ لأنه الدين الكامل الذي نسخ الله به جميع الأديان، ولأنه دين الحق المحفوظ.

أمَّا اليهودية والنصرانية فهي دين محرَّف، ليس كما أنزله الله، فكلُّ مسلمٍ متَّبعٌ لمحمد يُعتبر متبعًا لموسى وعيسى وجميع الأنبياء. وكل خارج عن الإسلام يعتبر كافرًا بموسى وعيسى وجميع الأنبياء، وإن ادعى أنه من أتباع موسى أو عيسى!

ولهذا سارع جماعة من أحبار اليهود ورهبان النصارى العقلاء المنصفون إلى الإيمان بمحمد ﷺ، والدخول في الإسلام.

التَّعْلِيق

جعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ البعث من توابع الإيمان بالله، ولهذا يَقرن الله كثيرًا بين الإيمان به وباليوم الآخر، قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [آل عمران:١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة:٨]، وهذا يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، فالله هو الذي بدأ الخلق وهو الذي يعيد الخلق ويبعثهم، فالشيخ أخذ على هذا التأصيل بين الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولهذا قدَّم الكلام في البعث على ذكر الإيمان بالرسول ﷺ. والإيمان بالبعث لا شك أنه من توابع الإيمان بالله؛ لأنَّ الإيمان بالبعث راجع إلى الإيمان بكمال قدرة الله وحكمته، فهو على كل شيء قدير، إذن: فهو قادر على بعث الأموات من قبورهم وإحيائهم مرة أخرى كما بدأهم، والإيمان بالحكمة كذلك تقتضي ألا يترك الناس سدى، لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يجزيهم، فالجزاء هو من مقتضيات الحكمة، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية].

وتقدَّم التنبيه[١] أنَّ الشيخ بنى هذا المؤلَّف على الأصول الثلاثة: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام، وهي الأصول التي بنى عليها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته المشهورة بـ «الأصول الثلاثة»، وهذه الأصول سماها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١) تنظر: (ص١١).

«مسائل القبر»[١]، فإنَّ الميت يُسأل عن هذه الثلاثة: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟[٢] فهذه مسائل القبر.

وقوله: (وأخبر أنه لا سبيل لمعرفة العبادة الصحيحة له إلا باتباع هذا الرسول...) إلى آخره: سبحان مَن اصطفاه ﷺ، وسبحان الذي يخلق ما يشاء ويختار، فهو صفوةٌ مِن صفوة، جاء في الحديث: «**إنَّ الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كِنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[٣]؛ فهو خيار مِن خيار مِن خيار.

وقوله: (الذي بشَّر به موسى وعيسى في أكثر من أربعين موضعًا في التوراة والإنجيل[٤]، يقرؤها اليهود والنصارى قبل أن يتلاعبوا بهذين الكتابين ويحرفوهما[٥]): أُشير إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، وقال في الآية الأخرى: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ولكنهم حرَّفوا

---

(١) ينظر: كتاب التوحيد (ص١٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والترمذي (٣١٢٠) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الترمذي، وصححه البيهقي في شُعب الإيمان (٣٩٠). وأصله عند مسلم (٢٨٧١-٧٣) دون السؤال عن الدين ولفظه: «**فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد** ﷺ». وينظر: نظم المتناثر (١١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) بنحوه عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: الجواب الصحيح (٥/ ١٩٧) وما بعدها، وهداية الحيارى (ص١١٩) وما بعدها.

(٥) ومع تحريفهم فقد ذكر هيثم طلعت في كتابه: رسول الأميين (ص٥١) وما بعدها، جملةً طيبة من البشارات، وهي موجودة إلى الآن في كتبهم. وينظر: إظهار الحق (٤/ ١١١٥-١٢١٣).

وكتموا، ولا سيما اليهود، فإنَّ الله أخبر عن تحريفهم للكتابين وعن الكتمان، وأكثر ما تلاعبوا فيه ما يتصل برسالة محمد ﷺ وصفته، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة]، يعني: لعنة الله عليهم؛ أي: على اليهود.

وقوله: (وهذا النبي الكريم، الذي ختم الله به رسله، وبعثه إلى الناس جميعًا): المناسب أن يُقال: «ختم الله به أنبياءه»؛ لأنَّ الله قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ولم يقل خاتم المرسلين؛ لأن ختم الرسالة لا يستلزم ختم النبوة، وأما ختم النبوة فيستلزم ختم الرسالة؛ ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنه لا نبي بعدي**»[(١)]، ولم يقل: لا رسول بعدي، فعُلم أنه ﷺ لا رسول بعده ولا نبي، بل هو خاتم النبيين والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقوله: (وقد وُلد خاتم المرسلين محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مكة سنة ٥٧٠م[(٢)]): اعتمد الشيخ التاريخ الميلادي؛ لأن التاريخ الهجري لم يأت وقته.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) -واللفظ له- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) ينظر: السيرة النبوية للندوي (ص١٥٧)، وقد حقّق محمود باشا الفلكي أن ذلك كان صبيحة يوم الإثنين تاسع ربيع الأوّل الموافق لليوم العشرين من أبريل سنة (٥٧١م)، وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل. ينظر: نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره (ص٢٠).

وقوله: (وفي الليلة التي وُلِد فيها، وفي لحظة خروجه من بطن أمه أضاء الكون نورٌ عظيم...) إلى آخره: كذا يذكر المؤرخون -والله أعلم- هذه الحوادث[(١)]، لكن لا شك أنَّ مولده يعتبر حدثًا عظيمًا له شأن؛ بل مولد خاتم النبيين ومبعثه هو أول أشراط الساعة؛ لأنَّ بعثه مؤذِنٌ بانقضاء وانصرام الدنيا، ولهذا يقول ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ﷺ[(٢)].

وقوله: (فالناس كلهم أمة لمحمد، مَن أطاعه واتبعه دخل الجنة، ومَن عصاه دخل النار): الأمة أمتان: أُمة الدعوة وهي كل الناس، وأُمة الإجابة هم مَن شهدوا أنَّ محمدًا رسول الله، ويُعرفون عند أهل العلم بأُمة الإجابة، وجميع الناس هم أُمة الدعوة[(٣)]، ولكن أكثر ما يطلق العلماء «أُمة محمد» على أُمة الإجابة.

وقوله: (حتى اليهود والنصارى مكلَّفون باتباعه، ومَن لم يتبعه ويؤمن به فهو كافر بموسى وعيسى وبجميع الأنبياء، وموسى وعيسى وكل الأنبياء بريئون من كل إنسان لا يتبع محمدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ الله أمرهم أن

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ١٥٥)، ودلائل النبوة لأبي نعيم (ص١٣٥)، (ص٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عن جماعة من الصحابة. ينظر: نظم المتناثر (٢٨٧).

(٣) ينظر: الكليات (ص١٧٦). وقد ذكر هذا التقسيم جماعة من العلماء منهم: نجم الدين النسفي في التيسير في التفسير (٤/ ١٩٩-٢٠٠)، والبيضاوي في تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (١/ ٤٣) والطيبي في الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٤٤٩) وغيرهم.

يبشروا به، وأن يدعوا أممهم إلى اتباعه إذا بعثه الله): أخذ الله ميثاقًا على كل رسول أن يأخذ على أمته الميثاق: لئن بُعِثَ محمد ﷺ ليؤمننَّ به ولينصُرنَّه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

وقوله: **(ولأنَّ دينه الذي بعثه الله به هو الدين الذي بعث الله به رسله، وجعل كماله ويسره على عهد هذا الرسول الكريم خاتم المرسلين...) إلى آخره**: حقيقة دين الإسلام: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه الحقيقة يدين بها أهل السموات من ملائكة الله، وهي دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فدين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هو الإسلام، يدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] أي: الدين المرضيّ المعتبر في حكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الإسلام، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] ، وهذه ليست خاصة بما جاء به محمد ﷺ؛ بل هذا عام في الأولين والآخرين؛ من ابتغى غير دين الإسلام فلن يُقبل منه.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون]. وقوله

ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لِعَلَّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[١].

فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء بالإسلام؛ لأنه جاء يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وذكر الله عنه أنه قال لقومه: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود:٢٦] وقال: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح]، وقال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [يونس]، وهكذا مَن جاء بعده مِن الرسل، كإبراهيم ويعقوب، قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة]، ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١]، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس]، والسحرة لما آمنوا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦﴾ [الأعراف]، وهكذا الحواريون أتباع المسيح: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝١١١﴾ [المائدة].

فالإسلام دين الله، لكن يجب أن يُعلم أنه بعد أن بعث الله محمدًا ﷺ صار الإسلام هو ما جاء به، وكل مَن لم يؤمن بشريعة محمد ﷺ ويلتزم بمتابعته فليس على الإسلام مهما تديَّن، حتى ولو لم يشرك.

فاليهود والنصارى وإن انتسبوا إلى الأنبياء، وإلى التوراة والإنجيل، فليسوا بمسلمين؛ لأنهم جمعوا بين أنواع من الكفر والشرك، وانضاف

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) -واللفظ له- ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلى ذلك كفرهم برسالة محمد ﷺ؛ فالنصارى يقوم دينهم الباطل على الشرك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة].

واليهود كفروا بما ارتكبوا من العظائم؛ كتحريف كتب الله، والتلاعب بدينه، وقتل الأنبياء، وقد ذكر الله بعض قبائحهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء] الآيات.

ولهذا جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسُ محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(١)].

ومَن يقول: إن اليهود والنصارى على دين صحيح؛ فإنه كافر؛ لأن ذلك يناقض ما وصفهم الله به، وأخبر عنهم، وهذه قضية ينبغي التنبُّه لها؛ لأنه قد اشتهر في هذا العصر الدعوة إلى وحدة الأديان، واعتقاد أن اليهود والنصارى والمسلمين كلهم على دين صحيح[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: شرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص٢٢).

وقوله: (فكل مسلمٍ متبَّع لمحمد يُعتبر متبعًا لموسى وعيسى وجميع الأنبياء): قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فنحن مكلَّفون بأن نؤمن بجميع الرسل إجمالًا، وتفصيلًا فيما فصَّل الله لنا وقصَّ علينا، ونؤمن بمحمد ﷺ إجمالًا وتفصيلًا.

وقوله: (ولهذا سارع جماعة من أحبار اليهود ورهبان النصارى العقلاء المنصفون إلى الإيمان بمحمد ﷺ، والدخول في الإسلام): وأشهرهم عبد الله بن سلام وأصحابه[1]، والنجاشي[2]، وقصة إسلامهما مفصَّلة في كتب السنَّة.



(١) قصة إسلامه أخرجها البخاري (٣٩١١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) والدليل على إسلام النجاشي: صلاة النبي عليه واستغفاره له. ينظر: صحيح البخاري (٥/ ٥١)، وصحيح مسلم (٣/ ٥٤) وما بعدها، وينظر: مسند أحمد (١٧٤٠)؛ ففيه سرد لقصة هجرة الصحابة إلى الحبشة، وما جرى من الحوار بينه وبين جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.





معجزات[١] الرسول ﷺ:

وقد عدَّ علماء سيرة الرسول محمد ﷺ معجزاته الدالة على صدق رسالته، فبلغت أكثر من ألف معجزة[٢]، منها:

١. خاتم النبوة الذي أنبته الله بين كتفيه، وهو (محمد رسول الله)، على هيئة الثآليل.

٢. تظليل الغمام له إذا مشى في شمس الصيف الحارة.

٣. تسبيح الحصى في يديه، وتسليم الشجر عليه.

٤. إخباره بالغيبيات التي ستحصل في آخر الزمان، وها هي تحصل شيئًا فشيئًا طِبق ما أَخبر.

وهذه الأمور الغيبية التي تحدث بعد وفاة خاتم المرسلين محمد ﷺ إلى نهاية الدنيا، والتي أطلعه الله عليها وأخبر بها، مدوَّنة في كتب الحديث وكتب أشراط الساعة. مثل: «النهاية» لابن كثير[٣]، وكتاب «الأخبار المشاعة في أشراط الساعة»، و«أبواب الفتن

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «واسمها في القرآن: آيات وهو الأصح، وذِكر لفظ المعجزات لأنه خُصَّ بخوارق العادة».

(٢) ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم منهم البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٠)، وذكر ابن العربي المالكي أنه جمعها في كتابٍ، ولعبد الله بن محمد بن أبي علَّان المعتزلي كتاب في «معجزات النبي ﷺ» جمع له فيها ألف معجزة، ولا نعلمهما مطبوعين. ينظر: القبس (ص١٢٠٠)، وعارضة الأحوذي (١٢/ ١٧٥)، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٥/ ١٢٩).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٣).

والملاحم» في كتب الحديث، وهذه المعجزات شبيهة بمعجزات الأنبياء قبله، ولكن الله اختصه بمعجزة عقلية باقية على صفحات الدهر إلى نهاية الدنيا؛ لم يعطها الله لغيره من الأنبياء، وهي: القرآن العظيم (كلام الله)، الذي تكفَّل الله بحفظه، فلا تستطيع يد التحريف أن تمتد إليه، ولو حاول أحد تغيير حرف منه لانكشف، فها هي مئات ملايين النسخ من القرآن بأيدي المسلمين لا تختلف واحدة عن الأخرى، ولا بحرف واحد، أما نُسخ التوراة والإنجيل فهي متعددة يختلف بعضها عن بعض؛ لأنَّ اليهود والنصارى تلاعبوا بهما وحرَّفوهما لما وكَّل الله إليهم حفظهما، أما القرآن فلم يَكِلْ حفظه لأحد سواه؛ بل تكفَّل هو بحفظه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].



التَّعْلِيقُ

معجزات الرسول هي الأدلة الدالة على صِدقه؛ وهي الخوارق الدالة على صِدق الرسول، ويُسمِّيها المتكلمون المعجزات، وشيخ الإسلام يقول: اللفظ الشرعي هو البراهين والآيات والبينات[1]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء]، وقوله تعالى في آيتي موسى: العصا واليد: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]، وقال

---

(١) ينظر: النبوات (١/ ٢١٥)، (٢/ ٨٢٨)، والجواب الصحيح (٥/ ٤١٢-٤١٩).

تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤﴾ [الأنعام]؛ فالتعبير عن دلائل الرسل ودلائل نبوتهم بـ «معجزات» مصطلح كلامي عند الأشاعرة والمعتزلة، ويريدون بالمعجزات: خوارق العادات، ويقصرون إثبات النبوة عليها، والصواب: أن أدلة النبوة متنوعة وكثيرة، ولا تختص بما يسمى «معجزات» من خوارق العادات[(١)]، لكن المصطلح الكلامي صار مشهورًا عند الناس فيُعبر به كثير من أهل العلم، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كأنه عبَّر بالمعنى المشهور عند الناس، وقد انتبه الشيخ لهذا فذكر الاسم الشرعي لدلائل النبوة، وهو الآيات كما في حاشية الكتاب.

قوله: (خاتم النبوة الذي أنبته الله بين كتفيه، وهو (محمد رسول الله)، على هيئة الثآليل[(٢)]): ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن خاتم النبوة ثابت عند أهل العلم بالأحاديث الصحيحة، لكن قوله: **(محمد رسول الله)** يوهم أنَّ ذلك مكتوب على الذي بين كتفيه ﷺ، وقد ورد ذلك في حديث ضعيف[(٣)]، و«محمد رسول الله» مكتوب في خاتمه الذي يختم به الكتب التي يبعث بها، وهو الخاتم الذي يلبسه في يده[(٤)]، وخاتم النبوة الذي بين

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٨٨-٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤٦) عن عبد الله بن سَرْجِس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) أخرجه ابن حبان (٦٣٠٢) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وضعفه ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٦٣)، وقال الألباني في الضعيفة (٦٩٣٢): «منكر».

(٤) أخرجه البخاري (٦٥)، (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٠٩٢)، (٢٠٩١) عن أنس وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

كتفيه قالـوا كزر الحَجَلة[١]، وهو شـكل مـدوَّر كالبيضـة[٢]. **وقوله: (على هيئة الثآليل)**: يعني مثل الثآليل، والثآليل: هي أشـياء لَحْمِية تبرز في بعض مواضع الجسـم، وليسـت قروحًا ذات صديـد، لكن لونها لـون الجلد مع اسوداد يسير[٣].

وقولـه: (تظليل الغمام له إذا مشـى في شـمس الصيف الحـارة): هذا ورد في قصته عندما سـافر مع عمـه، رآه الراهب بحيرا وعـرف أنه النبي؛ لأنه رأى أنَّ السـحاب يُظلُّه ويمشـي معـه، فاتصـل الراهب بحيـرا بعمِّه، وقال: احذر أن تَقدم به على اليهود[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥) عن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن الأثير: «الزِّرُّ: واحد الأزرار التي تُشـدُّ بها الكِلَل والسُّتور على ما يكون في حَجَلَة العروس» وقال: «الحَجَلـة بالتحريك: بيت كالقبة يُسـتر بالثياب، وتكون له أزرار كبـار، وتجمع على حجـال». النهاية في غريب الحديـث والأثر (٢/ ٣٠٠)، (١/ ٣٤٦).

(٣) ينظر: النهاية (١/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه الترمـذي (٣٦٢٠)، وأبو نعيم في دلائـل النبوة (١٠٩)، وابن عسـاكر في تاريـخ دمشـق (٣/ ٥) عن أبي موسـى الأشـعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه ابن سـعد في الطبقات (١/ ٩٩)، (١/ ١٢٨) عن أبي مِجْلَز مرسلًا، وصححه الحاكم (٤٢٢٩)، وقال ابن حجر فـي الإصابـة (١/ ٦٤٣): «وقد وردت هـذه القصة بإسـناد رجاله ثقات مـن حديث أبي موسـى الأشـعري، أخرجها الترمـذي وغيره ولم يسـم فيها الراهب، وزاد فيهـا لفظة منكرة؛ وهي قولـه: «واتبعه أبو بكر بـلالًا»»، وقد جاءت تسميته في السير والمغازي لابن إسـحاق (ص٧٣)، وطبقات ابن سعد (١/ ٩٩)، ومعرفة الصحابة لابـن منده (ص٣١٤). وينظر: «حادثة الراهب المسـمّى «بحيرا» حقيقة لا خرافة» في مقالات الألباني (ص١١٨).

وقوله: (تسبيح الحصى في يديه[١]، وتسليم الشجر عليه[٢]): هذا كله ورد في السيرة، وهو مشهور عند العلماء في دلائل النبوة، ونظائر هذا كثيرة مروية في الصحيحين وغيرهما؛ كتسبيح الطعام كما جاء في صحيح البخاري[٣].

وقوله: (إخباره بالغيبيات التي ستحصل في آخر الزمان، وها هي تحصل شيئًا فشيئًا طِبق ما أَخبر): يعني من دلائل نبوته ﷺ: ما أخبر به من الأمور المستقبلة ثم تحدث كما أخبر، وهذا وقع كثيرًا في حياته وبعد وفاته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا تزال دلائل نبوته تظهر حينًا بعد حين لمن علم ما جاء في السُّنة وعرف الواقع.

وقوله: (وكتاب «الأخبار المشاعة في أشراط الساعة»): هذا كتاب غير موجود، ومؤلفه غير معروف، ولكن يوجد مختصره للشيخ عبد الله بن سليمان المشعلي[٤].

---

(١) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٦٤). وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٩٢) «...وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها».

(٢) تقدم في (ص٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) وعنوانه: «مختصر الأخبار المشاعة في الفتن وأشراط الساعة وأخبار المهدي» طُبع قديمًا سنة (١٣٩١).

والشيخ عبد الله بن سليمان المشعلي: وُلد عام (١٣٤٢) في دخنة، وعمل عضوًا في الوعظ والإرشاد بمكة المكرمة، ثم مديرًا لمدارس المذنب، ثم مديرًا لمدرسة العجيبة ببريدة، ثم موجِّهًا في إدارة التعليم، ثم مفتشًا بوزارة العدل، ثم تقاعد مديرًا لفرع وزارة العدل بالمدينة، وله من الكتب: «مجموعة أخبار آخر الزمان»، و«خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة». ينظر: معجم أُسَرِ بريدة (١٩/ ٦٤٨)، وتوفي الشيخ عبد الله المشعلي سنة (١٤٣٥).

وقولـه: (لا تختلف واحدة عـن الأخرى...) إلـى آخره: هـذا باعتبار القراءة المشـهورة: قراءة حفص عـن عاصم، أمَّـا باعتبار تعـدد القراءات فالقراءات مختلفة في بعض الأحرف، وهذا لا يقدح في حفظ القرآن؛ لأن القراءات كلها مروية عن النبي ﷺ.

وقوله: (أمَّا القرآن فلم يَكِلْ حفظه لأحد سـواه؛ بـل تكفَّل هو بحفظه، كما قـال تعالـى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجـر]**)**: ومع ذلك فحفظ الله لـه إنما يكون بحفظ الأمـة له أيضًا، فالله جعـل لِما يريده أسـبابًا، ولهذا قيَّض الله الصحابة أن يتلقوا القرآن من الرسـول ويحفظونه حفظ الصدور، ثم هُدوا إلى جمعـه وكتابته والاتفاق عليـه، فحِفظ القرآن حصل بحفظ الله وبهداية الأمة لحفظه لفظًـا وكتابة، فما فعله الصحابة من جمعه وكتابته هو مِن حِفظ الله له.









البرهان العقلي والأدلة من كلام الله تعالى على أنَّ القرآن كلام الله تعالى وعلى أنَّ محمدًا رسول الله

ومن البراهين المنطقيـة العقلية الدالـة على أنَّ القـرآن كلام الله تعالى وعلـى أنَّ محمدًا رسـول اللـه: أنَّ الله تحدَّى كفـار قريش لمـا كذَّبوا محمدًا ﷺ كغيرهم مـن مكذبي الأنبيـاء في الأمم السـابقة، وقالوا: إنَّ القرآن ليس كلام الله، تحداهم الله أن يأتـوا بمثله، فعجزوا على الرغم من أنـه بِلُغَتِهم. وبالرغـم من أنهم أفصـح الناس، وعلـى الرغم أنَّ مِن بينهم كبـار الخطبـاء والبلغـاء وفحول الشـعراء، ثم تحداهـم أن يأتوا بعشـر سُـوَر مثلـه مَكْذُوبـات؛ فعجزوا، ثـم تحداهـم أن يأتوا بسـورة واحدة؛ فعجزوا، ثم أعلن عجزهم.

وعجز جميع الجن والإنس عن الإتيان بمثلـه، ولو كان بعضهم لبعض مُعينًـا، فقـال سـبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء].

فلو كان القرآن مـن كلام محمد أو غيره من الناس لقَـدِر غيره من أهل لغته الفصحاء أن يأتـوا بمثله، ولكنه كلام الله تعالـى، وفضلُ كلام الله وسُمُوُّه على كلام البشر كفضل الله على البشر.

وبما أنه ليس لله مثيل فليس لكلامه مثيل؛ وبهذا يتبين أنَّ القرآن كلام الله تعالى، وأنَّ محمدًا رسول الله؛ لأنَّ كلام الله لا يأتي به إلا رسول من عنده، وقال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨﴾ [سبأ]، وقال الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء].

المعنى الإجمالي للآيات:

يخبر الله تعالى في الآية الأولى أنَّ محمدًا ﷺ رسوله إلى الناس كلهم، وأنه خاتم أنبيائه، فليس بعده نبي، ويخبر أنه اختاره لحمل رسالته، وليكون خاتمًا لرسله؛ لأنه يعلم أنه أصلح الناس لذلك، ويخبر الله سبحانه في الآية الأخرى: أنه أرسل رسوله محمدًا للناس جميعًا: الأبيض والأسود، والعرب وغير العرب، ويخبر أنَّ أكثر الناس لا يعلمون الحق، لذا ضلوا وكفروا بعدم اتباعهم لمحمد ﷺ.

ويخاطب الله رسوله محمدًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الآية الثالثة، فيخبره أنه أرسله رحمة للعالَم أجمع، فهو رحمة الله التي تكرَّم بها على الناس، فمن آمن به واتبعه فقد قَبِل رحمة الله، وله الجنة، ومَن لم يؤمن بمحمد ولم يتبعه، فقد ردَّ رحمة الله، واستحق النار والعذاب الأليم.

نداء للإيمان بالله وبرسوله محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

لذا ندعوك -أيها العاقل- إلى الإيمان بالله ربًّا، وبرسوله محمد رسولًا، وندعوك إلى اتباعه، والعمل بشريعته التي بعثه الله بها، وهي دين الإسلام الذي مصدره القرآن العظيم (كلام الله)، وأحاديث خاتم المرسلين محمد ﷺ التي ثبتت عنه؛ لأنَّ الله عصمه، فلا يأمر إلا بأمر الله، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه، فَقُل من قلب مخلص: آمنت بأنَّ الله ربي وإلهي وحده، وقل: آمنت بأنَّ محمدًا رسول الله، واتبعه، فإنه لا نجاة لك إلا بذلك، وفقني الله وإياك للسعادة والنجاة آمين.



التَّعْلِيقُ

كل البراهين التي ذكرها المؤلف هي عقلية نقلية، ولكنه خصَّ القرآن بأنه البرهان العقلي لأنه أعظم دليل جعله الله حجة على صدق مَن جاء به؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت]، وفي الحديث الصحيح قال ﷺ: **«ما مِن الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وكان الذي أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلي»** -يعني القرآن- **«فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

وقد أوضح المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف دلَّ القرآن على أنه كلام الله، وعلى أن محمدًا رسول الله، وذلك بأن الله تحدَّى به العرب، بل الجن والإنس أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة؛ فلم يقدروا على شيءٍ من ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ...﴾ [البقرة] الآية، ولهذا كان القرآن هو المعجزة الخالدة إلى آخر الدهر، والبرهان الأعظم على رسالة محمد ﷺ.









الفصل الثالث:
معرفة دين الحق (الإسلام)

إذا عرفت –أيها العاقل– أنَّ اللـه تعالى هو ربك الذي خلقك ورزقك، وأنه الإله الواحد الحق الذي لا شريك له، وأنه يجب عليك أن تعبده وحده، وعرفت أنَّ محمدًا رسول الله إليك، وإلى جميع الناس؛ فاعلم أنه لا يصح إيمانك بالله تعالى ورسوله محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا إذا عرفت دين الإسلام، وآمنت به، وعملت به؛ لأنه الدين الذي رضيه الله تعالى، وأمر به رسله، وبعث به خاتمهم محمدًا ﷺ إلى جميع الناس، وأوجب عليهم العمل به.



التَّعْلِيقُ

الإيمان بالرسول يستلزم الإيمان بما جاء به، والرسول جاء بدين الإسلام، وجاء بالتوحيد، والتوحيد هو أصل دين الإسلام، فهذه الأصول الثلاثة متلازمة لا يصح الإيمان بواحد دون الأصلين الآخرين، وهي التي يُسأل عنها الإنسان في قبره: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟[(١)].

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والترمذي (٣١٢٠) عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحسنه الترمذي، وصححه البيهقي في شُعب الإيمان (٣٩٠). وأصله عند مسلم (٢٨٧١-٧٣) دون السؤال عن الدين ولفظه: «**فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ**». وينظر: نظم المتناثر (١١١).

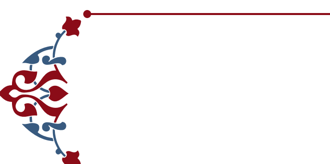
ودين الإسلام يدخل فيه الإيمان بالله ورسوله، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ودين الإسلام مبني على الشهادتين، فإن الإسلام مبني على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله، ويتبع هذه الأصول بقية الشرائع من الفرائض والنوافل، واجبات ومستحبات، واسم الإسلام يعمُّها، فكلُّ شريعةٍ أو حُكمٍ دلَّ عليه الكتاب والسنة فهو من دين الإسلام، وتقدَّم[١] أن الشيخ بنى هذا الكتاب على هذه الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها الإنسان في قبره: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟



(١) تنظر: (ص١١)، (ص٥٩).




تعريف الإسلام



قال خاتم المرسلين، ورسول الله إلى الناس أجمعين: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا». متفق عليه.

فالإسلام هو الدين العالمي الذي أمر الله به جميع الناس، وآمن به رسل الله، وأعلنوا إسلامهم لله، وأعلن الله تعالى بأنه الدين الحق، وأنه لا يقبل من أحد دينًا سواه؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران].

المعنى الإجمالي للآيتين:

يخبر الله تعالى أنَّ الدين لديه الإسلام فقط، وفي الآية الأخرى أخبر أنه لن يقبل من أحد دينًا غير الإسلام، وأنَّ السعداء بعد الموت هم المسلمون فقط، وأنَّ الذين يموتون على غير الإسلام خاسرون في الدار الآخرة، ويُعذَّبون في النار.

ولهـذا أعلن جميـع الأنبيـاء إسـلامهم لله، وأعلنـوا براءتهـم ممن لا يسـلم، فمن أراد من اليهـود والنصارى النجـاة والسـعادة فليدخل في الإسـلام، وليتبع رسـول الإسـلام محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتـى يكون تابعًا حقًّا لموسى وعيسى عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأنَّ موسى وعيسى ومحمدًا وجميع رسـل الله مسـلمون دعـوا جميعًا إلى الإسـلام؛ لأنـه دين الله الـذي بعثهم به، ولا يصـح لأحد ممن وُجـد بعد بعثة خاتم المرسـلين محمـد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلـى نهايـة الدنيـا، لا يصح له أن يسـمي نفسـه مسـلمًا لله، ولا يقبل الله منه هذا الادعاء إلا إذا آمن بمحمد رسولًا من عند الله، واتبعه، وعمل بالقرآن الذي أنزله الله عليه.

قـال الله تعالـى فـي القـرآن العظيـم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران].

المعنى الإجمالي للآية:

يأمر الله رسـوله محمدًا أن يقول لمن يدعي محبة الله: إن كنتم تحبون اللـه حقًّـا فاتبعونـي يحببكم اللـه، فـإنَّ اللـه لا يحبكـم ولا يغفر لكم ذنوبكم، إلا إذا آمنتم برسوله محمد واتبعتموه.

وهذا الإسـلام الذي بعث الله به رسـوله محمدًا ﷺ إلى الناس جميعًا هو الإسلام الكامل الشامل السمح، الذي كمَّله الله ورضيه لعباده دينًا، لا يقبل منهم دينًا غيره، وهو الذي بشَّـر بـه الأنبياء وآمنوا بـه، قال الله تعالـى فـي القـرآن العظيـم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

المعنى الإجمالي: يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة التي أنزلها على خاتم المرسلين محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو واقف مع المسلمين بعرفات بمكة في حجة الوداع[1]، يناجون الله ويدعونه، وكان ذلك في آخر حياة الرسول محمد ﷺ بعدما نصره الله، وانتشر الإسلام، وتكامل نزول القرآن.

يخبر الله سبحانه أنه أكمل للمسلمين دينهم، وأتم عليهم نعمته ببعثة الرسول محمد ﷺ، وإنزال القرآن العظيم عليه، ويخبر أنه رضي لهم الإسلام دينًا، لا يسخطه أبدًا، ولا يقبل من أحد دينًا سواه أبدًا.

ويخبر تعالى أنَّ الإسلام الذي بعث به رسوله محمدًا إلى الناس جميعًا؛ هو الدين الكامل الشامل الصالح لكل زمان ومكان وأمة، فهو دين العلم واليسر والعدالة والخير، وهو المنهاج الواضح الكامل القويم لشتى مجالات الحياة، فهو دينٌ ودولةٌ، فيه المنهاج الحق للحكم والقضاء والسياسة والاجتماع والاقتصاد، ولكل ما يحتاجه البشر في حياتهم الدنيا، وهو الذي فيه سعادتهم في الحياة الآخرة بعد الموت.



(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التَّعْلِيقُ

قولـه: (قـال خاتـم المرسـلين، ورسـول اللـه إلـى النـاس أجمعين: «الإسـلام أن تشـهد أن لا إله إلا اللـه ...»...) إلـى آخره: هـذا طرفٌ من حديث جبريل[١]، قال: أخبرني عن الإسـلام؟ قال: «**الإسـلام أن تشهد أن لا إله إلا اللـه ...**» إلى آخره، كما ذكر الشـيخ، وهذه أصول دين الإسـلام العملية، وأركانه: الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج.

قوله: (فالإسـلام هو الدين العالمي الذي أمر الله بـه جميع الناس...) إلـى آخره: يعنـي الدين عنـد الله وفـي حكم اللـه هو الإسـلام فقط، قال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وما سـواه فليس بدين مرضيٍّ، ويفسِّر هذه الآية الآيةُ التي بعدها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمـران: ٨٥]. **وقولـه: (الديـن العالمـي):** يريد أنـه دين عام يجـب علـى جميع النـاس، كمـا قـال تعالـى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

قولـه: (وأعلن اللـه تعالى بأنـه الديـن الحق): لـو قال: «وأعلـم الله سبحانه أن دين الإسلام هو الدين الحق» لكان أولى.

(١) أخرجه مسـلم (٨) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بهذا اللفظ. وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مختصرًا.

قوله: (ولهذا أعلن جميع الأنبياء إسلامهم لله، وأعلنوا براءتهم ممن لا يسلم...) إلى آخره: دين الرسل كلهم هو الإسلام، جاءوا به ودعوا إليه؛ فالإسلام ليس خاصًّا بما جاء به محمد ﷺ، فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأتباعهم مسلمون، قال تعالى عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [يونس]، وقال في إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٣١﴾ [البقرة]، وقال عن إبراهيم ويعقوب: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة]، وقال عن الحواريين: ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝١١١﴾ [المائدة]، وقال في أنبياء بني إسرائيل: ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ [المائدة: ٤٤] أي: التوراة ﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا...﴾ [المائدة: ٤٤] الآية، وقال عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥] يعم دين الرسل كلهم[1]، وبناء على ما سبق فاليهود والنصارى اليوم ليسوا على دين صحيح ولو زعموا أنهم يتبعون التوراة أو الإنجيل، ولو تمسكوا بكتبهم ولم يؤمنوا بمحمد لم ينفعهم ذلك.

قوله: (وهو واقف مع المسلمين بعرفات بمكة في حجة الوداع): عرفة ليست بمكة بل قرب مكة.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص٥٧٢)، (ص٥٨٠).

قولــه: (ويخبــر تعالى أنَّ الإســلام الــذي بعث به رســوله محمــدًا إلى النــاس جميعًا؛ هــو الديــن الكامل الشــامل...) إلــى آخره: دين الإســلام موصوف بالكمــال والشــمول، فهو دين حاكــم على جميع أمور الإنســان فــردًا أو جماعــة، فيجب على المســلم وعلــى جماعــة المســلمين وعلى الدولة تحكيم الإســلام على جميع التصرفات والتدابير، فإنه لا يخرج عن دين الإســلام شــيء، فليس هنالك شــيءٌ يُقال: إنه لا علاقــة للدين به؛ بل الدين مُحكَّم، يجب تحكيمه في كلِّ شــيءٍ: في السياســة وفــي الاقتصاد، وفي أمور الروابــط والاجتماع، وفي الأســرة، وفي المجتمــع، لكن بعض الأمور أحكامــه فيها مفصَّلــة، وبعضه أحكامــه مجمَلة بتقريــر قواعد؛ فهو مثلًا لا يشــرح أنواع الصنائــع أو صفة الزراعــة وما إلى ذلــك، لكنه يجب تحكيمــه فيها، بحيث لا تُــزرع المحرَّمات، ولا يُعتدى باســم الزراعة على أحد؛ فلا ظُلم ولا فساد، وهكذا في جميع الأمور.

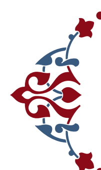
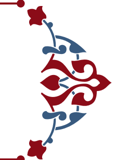
والعلــوم يجــب أن تكون خاضعــة لأصول الإســلام وقواعــده العامة المتضمنة للعدل ورفض الظلم ومنع الفساد، فهذه أحكام عامة.

وفيه الأحــكام التفصيليــة للعبــادات والمعاملات؛ فأحــكام العبادات والمعاملات جاء الإسلام بها مفصَّلةً.

والسياســة كذلك، يجب أن تكون خاضعــة وجارية علــى وفق منهاج الإســلام؛ فيجب أن تقوم السياســة على العدل ورفع الظلم، وعلى تحقيق المصالح ودرء المفاســد، وأعظم ذلك إقامة دين الله في الأمة، فهذا أعظم المسؤوليات على ولي الأمر.

وقوله: (فهــو دينٌ ودولةٌ): يريد أن دين الإســلام عبادةٌ وسياســةٌ، كما يُقال: دين ودنيا؛ أي: إنه متضمن لمصالح الدنيا والآخرة.



أركان الإسلام

والإسلام الكامل الذي بعث الله به رسوله محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مبني على خمسة أركان، لا يكون الإنسان مسلمًا حقًّا حتى يؤمن بها ويؤديها، وهي:

١. أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله.

٢. يقيم الصلاة.

٣. يؤتي الزكاة.

٤. يصوم رمضان.

٥. يحج بيت الله الحرام إن استطاع إليه سبيلًا[١].

الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله:

وهذه الشهادة لها معنى يجب على المسلم معرفته والعمل به، أما الذي يقولها بلسانه ولا يعرف معناها ولا يعمل به فإنه لا ينتفع بها،

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» متفق عليه، والأدلة من القرآن تأتي في ذكر الأركان على التفصيل».

ومعنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحقٍّ في الأرض ولا في السماء إلا الله وحده، فهو الإله الحقُّ، وكلُّ إلهٍ غيره باطل، والإله معناه: المعبود.

والذي يعبد غير الله كافرٌ بالله مشركٌ به، ولو كان معبوده نبيًّا أو وليًّا، ولو كان بحجة التقرُّب به إلى الله تعالى والتوسل إليه؛ لأنَّ المشركين الذين قاتلهم الرسول ﷺ ما عبدوا الأنبياء والأولياء إلا بهذه الحجة، لكنها حجة باطلة مردودة؛ لأنَّ التقرُّب إلى الله تعالى والتوسل إليه لا يكون بصرف العبادة لغيره، وإنما يكون بأسمائه وصفاته، وبالأعمال الصالحة التي أمر بها؛ كالصلاة والصدقة والذكر والصوم والجهاد والحج وبر الوالدين، ونحو ذلك، وبدعاء المؤمن الحي الحاضر لأخيه إذا دعا.

والعبادة أنواع كثيرة:

منها الدعاء: وهو طلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، مثل: إنزال المطر، وشفاء المريض، وتفريج الكربات التي لا يفرِّجها المخلوق، ومثل: طلب الجنة، والنجاة من النار، وطلب الأولاد، والرزق، والسعادة، ونحو ذلك.

فهذا كله لا يُطلب إلا من الله، فمن طلب من المخلوق -حيًّا أو ميتًا- شيئًا من ذلك فقد عبده، قال الله تعالى آمرًا عباده بدعائه وحده، ومخبرًا أنَّ الدعاءَ عبادةٌ، مَن صرفه لغيره فهو من أهل النار: ﴿وَقَالَ

رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر].

وقال تعالى مخبرًا أنَّ مَن سواه من المدعوين لا يملكون لأحد نفعًا ولا ضرًّا، ولو كانوا أنبياء أو أولياء: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء]، **والآية التي بعدها.**

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

ومن العبادة: الذبح والنذر وتقريب القرابين:

فلا يصح أن يتقرب الإنسان بسفك الدم، أو بتقريب قُربان، أو بنذرٍ إلا لله وحده، ومَن ذبح لغير الله؛ كمن يذبح للقبر أو للجن؛ فقد عبد غير الله واستحق لعنة الله، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال الرسول ﷺ: «لعن الله مَن ذبح لغير الله»، حديث صحيح، رواه مسلم(١).

وإذا قال إنسان: لفلان عليَّ نذر إن حصل لي كذا أن أتصدَّق بكذا أو أفعل كذا، فهذا النذر شرك بالله؛ لأنه نذرٌ لمخلوق، والنذر عبادة لا يكون إلا لله، والنذر المشروع هو أن يقول: لله عليّ نذرٌ أن أتصدَّق بكذا، أو أفعل كذا من الطاعة إذا حصل لي كذا.

(١) برقم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن أنواع العبادة: الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة، فلا يُستغاث ولا يُستعان ولا يُستعاذ إلا بالله وحده، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، وقال الرسول ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله» حديث صحيح، رواه الطبراني[(١)].

وقال ﷺ: «إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله» حديث صحيح، رواه الترمذي[(٢)].

والإنسان الحي الحاضر يصح أن يُستغاث به ويُستعان به في الشيء الذي يقدر عليه فقط، أمَّا الاستعاذة فلا يستعاذ إلا بالله وحده. والميت

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩ رقم ١٧٢٧٦) من حديث عبادة بن الصامت؛ فمسند عُبادة من القسم المفقود من المعجم. قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث». وأخرج ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٨٧)، وأحمد (٢٢٧٠٦) أن رجلًا سمع عبادة بن الصامت يقول: فذكره بلفظ: فقال أبو بكر قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقام لي، إنما يقام لله**».
وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٦٠٢) بسياق أطول. قال ابن كثير في التفسير (٥/ ٣٣٣) بعد أن ساق رواية ابن أبي حاتم: «وهذا الحديث غريبٌ جدًا.»

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، (٢٧٦٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وابن منده في التوحيد (٢٥١) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا. وقال ابن منده: «هذا إسناد مشهور، رواه ثقاة، وقيس بن الحجاج مصري روى عنه جماعة، ولهذا الحديث طُرق عن ابن عباس، وهذا أصحها»، وصححه الترمذي والألباني. وينظر: تخريج السنة (١/ ١٣٨ رقم ٣١٦).

والغائب لا يُستغاث به ولا يُستعان به البتة؛ لأنَّه لا يملك شيئًا، ولو كان نبيًّا أو وليًّا أو ملَكًا.

والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فمَن ادعى أنه يعلم الغيب فهو كافرٌ يجب تكذيبه، ولو تكهَّن بشيء فوقع فهو من باب الموافقة، قال رسول الله ﷺ: «مَن أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد» رواه الإمام أحمد والحاكم[1].

ومن العبادة: التوكل والرجاء والخشوع:

فلا يتوكل الإنسان إلا على الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يخشع إلا لله وحده.

ومما يُؤسَف له أنَّ كثيرًا من المنتسبين للإسلام يشركون بالله، فيدعون غيره من الأحياء المعظَّمين، ومن أهل القبور، ويطوفون بقبورهم، ويطلبون منهم حوائجهم، وهذا عبادة لغير الله، فاعلها ليس مسلمًا وإن ادعى الإسلام وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصلَّى وصامَ وحجَّ البيت.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر].

(١) أخرجه أحمد (٩٥٣٦)، والحاكم (١٥)، ومن طريقه البيهقي (١٦٥٧٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ونقل المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٣) عن الحافظ العراقي أنه قال في أماليه: «حديث صحيح». وصححه الذهبي في المهذب في اختصار السنن (١٢٧٩٩). وينظر: الصحيحة (٣٣٨٧)، وإرواء الغليل (٢٠٠٦).

وقال الله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة].

وأمر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف].

وهؤلاء الجهال غرَّهم علماء السوء والضلال الذين عرفوا بعض الفروع، وجهلوا التوحيد الذي هو أساس الدين، فصاروا يدعون إلى الشرك، جهلًا منهم بمعناه باسم الشفاعة والوسيلة، وحُجتهم في ذلك التأويلات الفاسدة لبعض النصوص والأحاديث المكذوبة قديمًا وحديثًا على رسول الله ﷺ، والحكايات وأحلام المنام التي نسجها لهم الشيطان، وما شابه ذلك من الضلالات التي جمعوها في كتبهم؛ ليؤيدوا بها عبادتهم لغير الله اتباعًا للشيطان وللهوى، وتقليدًا أعمى للآباء والأجداد، كحال المشركين الأوَّلين.

والوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥] هي الأعمال الصالحة: من توحيد الله والصلاة والصدقة والصيام والحج، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الرحم، ونحو ذلك، أما دعاء الأموات والاستغاثة بهم عند الشدائد والكربات؛ فهذا عبادة لهم من دون الله.

وشفاعة الأنبياء والأولياء وغيرهم من المسلمين الذين يأذن الله لهم في الشفاعة حقٌّ نؤمن بها، ولكنها لا تُطلب من الأموات؛ لأنها حقٌّ لله لا تحصل لأحد إلا بإذنه تعالى، فيطلبها الموحِّد لله من الله تعالى قائلًا: «اللهم شفِّع فيَّ رسولك وعبادك الصالحين»، ولا يقول: «يا فلان اشفع لي»؛ لأنه ميت، والميت لا يُطلَب منه شيءٌ أبدًا، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ [الزمر].

ومن البدع المحرمة المخالفة للإسلام والتي نهى عنها رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين والسنن: اتخاذ المساجد، والسُّرج على القبور[(١)]، والبناء عليها، وتجصيصها[(٢)] والكتابة عليها[(٣)]،

(١) أخرجه أحمد (٢٠٣٠)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣) عن ابن عباس، قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج».
وقال مسلم في كتاب التفصيل -فيما نقله ابن رجب في فتح الباري (٣/ ٢٠٢)-: «هذا الحديث ليس بثابت، وأبو صالح باذام قد اتقى الناس حديثه، ولا يثبت له سماع من ابن عباس».
أما أحاديث لعن زوَّرات القبور فثابتة، وقد رواها جماعة من الصحابة؛ كأبي هريرة، وحسَّان بن ثابت، وعبد الله ابن عباس. ينظر: أحكام الجنائز (ص٢٣٥-٢٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٠-٩٤) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٢٦)، والترمذي (١٠٥٢)، والنسائي (٢٠٢٧) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الترمذي، والحاكم (١٣٦٩). وينظر: أحكام الجنائز للألباني (ص٢٦٠-٢٦١).

وإلقاء الستور عليها[١]، والصلاة في المقبرة[٢]، كل هذا نهى عنه الرسول الكريم ﷺ؛ لأنه من أعظم أسباب عبادة أصحابها.

وبهذا يتبين أنَّ من الشرك بالله ما يفعله الجهّال عند بعض القبور في كثير من البلدان، مثل: قبر البدوي والسيدة زينب في مصر، وقبر الجيلاني في العراق، والقبور المنسوبة لآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في النجف وكربلاء في العراق، وقبور أخرى في كثير من البلدان من الطواف حولها، وطلب الحوائج من أهلها، واعتقاد النفع والضر فيهم.

ويتبين أنَّ هؤلاء بفعلهم هذا مشركون ضالون، وإن ادعوا الإسلام وصلوا وصاموا وحجوا البيت، ونطقوا بلا إله إلا الله محمد رسول الله؛ لأنَّ الناطق بلا إله إلا الله محمد رسول الله لا يُعتبر موحِّدًا لله حتى يعرف معناها، ويعمل به، كما تقدَّم بيان ذلك.

أما غير المسلم فإنه يدخل في الإسلام ابتداء بنطقه بها، ويسمى مسلمًا حتى يتبين منه ما ينافيها من بقائه على الشرك كهؤلاء الجهّال، أو إنكاره لشيء من فرائض الإسلام بعد بيانها له، أو إيمانه بدين

(١) لعل المصنف يشير لما جاء في مسلم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**».

(٢) أخرج مسلم (٩٧٢) عن أبي مرثد الغنوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها**». وينظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني (ص١٤)؛ فقد ذكر أربعة عشر حديثًا.

يخالف دين الإسلام، والأنبياء والأولياء[١] بريئون ممن يدعوهم ويستغيث بهم؛ لأنَّ الله تعالى أرسل رسله لدعوة الناس إلى عبادته وحده، وترك عبادة مَن سواه نبيًّا أو وليًّا أو غيرهما.

ومحبة الرسول ﷺ، والأولياء المقتدين به ليست في عبادتهم؛ لأنَّ عبادتهم عداوة لهم، وإنما محبتهم في الاقتداء بهم والسير على طريقتهم، والمسلم الحقيقي يحب الأنبياء والأولياء، ولكنه لا يعبدهم، ونحن نؤمن بأنَّ محبة الرسول ﷺ واجبة علينا فوق محبة النفس والأهل والولد والناس أجمعين.



التَّعْلِيقُ

قوله: (والإسلام الكامل الذي بعث الله به رسوله محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مبني على خمسة أركان...) إلى آخره: هذا كما جاء في حديث جبريل، قال له: ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا**

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «أولياء الله هم الموحِّدون لله المطيعون له، المتبعون لرسوله ﷺ، منهم من يُعرف بسبب علمه وجهاده، ومنهم من لا يُعرف، والمعروف منهم لا يرضى أن يقدِّسه الناس، والأولياء حقًّا لا يدَّعون أنهم أولياء بل يرون أنهم مُقَصِّرون، وليس لهم لباس مخصوص أو هيئة مخصوصة إلا التأسي بالرسول ﷺ في ذلك، وكل مسلم موحِّد لله متبع لرسوله فيه من الولاية لله بقدر صلاحه وطاعته، وبهذا يتبين أن الذين يدَّعون أنهم أولياء لله، ويلبسون لباسًا خاصًّا لكي يعظمهم الناس ويقدسوهم، يتبين أنهم ليسوا أولياء لله ولكنهم كذَّابون».

الله...» إلى آخره[١]، وقال في حديث ابن عمر: «**بني الإسلام على خمس...**»[٢] فدل على هذه الأصول حديث جبريل وحديث ابن عمر في الصحيحين، فهذه أصول الإسلام العملية: الشهادتان وما بعدها.

قوله: (الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله...) إلى آخره: كلمةُ التوحيد لها ركنان: النفيُ والإثبات، فهي مركَّبةٌ من نفيٍ وإثبات، ولا يتحقَّقُ مقصودُها إلَّا بذلك، ومعناها باختصار: لا معبود بحقٍّ إلا الله، ومعنى إله: مألوه، من «أَلَهَ» إلهة أي: عَبَدَ عبادةً[٣]، فدلَّت على نفي إلهيةِ ما سوى الله، وإثباتِ الإلهية لله وحده؛ فالنفيُ يتضمَّنُ الكفرَ بالطاغوت، والإثباتُ يتضمَّنُ الإيمانَ بالله والإقرارَ له بالإلهيَّة وحده دون ما سواه[٤].

ولا بدَّ أن تصدرَ هذه الشهادة عن علم، ويقين، وقبول، وانقياد، ومحبة، وصدق، وإخلاص؛ فهذه إجمالُ الشروطِ التي استنبطها العلماءُ من النصوص[٥]، وقد نظم بعضُهم هذه الشروط فقال:

---

(١) أخرجه مسلم (٨) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا اللفظ. وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مختصرًا.

(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٧).

(٤) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص٢٣)، (ص٤٨)، (ص١٦٠)، (ص١٦٧).

(٥) أوَّل من ذكر هذه الشروط السبعة مجتمعة هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ. ينظر: فتح المجيد (١/ ١٩٠)، والدرر السنية (٢/ ٢٤٦). وانظر شرحًا وافيًا لهذه الشروط في: معارج القبول (٢/ ٥١٨-٥٢٨).
والشرط الثامن ذكره الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -كما سيأتي- وذكره الشيخ عبد الرحمن بن القاسم في حاشية الأصول الثلاثة (ص٨٤-٨٥).

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مع
محبـةٍ وانقيـادٍ والقبـولُ لهـا
وزيـد ثامِنُهـا الكفـران منك بما
سوى الإله من الأشياء قد أُلِهَا(١).

قوله: (والذي يعبد غير الله كافرٌ بالله مشـركٌ به، ولـو كان معبوده نبيًّا أو وليًّـا، ولـو كان بحجـة التقرُّب بـه إلى اللـه تعالى والتوسـل إليـه؛ لأنَّ المشـركين الذين قاتلهم الرسـول ﷺ ما عبدوا الأنبياء والأوليـاء إلا بهذه الحجة، لكنهـا حجة باطلة مـردودة): قال اللـه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، هكـذا يقولون فاتخذوا الأنبياء والصالحين والأولياء واسـطة بينهم وبين الله، بحجة أنهم يقربونهـم ويشـفعون لهـم كمـا قـال تعالـى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨]؛ فيعبدونهم من دون الله بهذه الشبهة.

قولـه: (لأنَّ التقـرب إلى اللـه تعالـى والتوسـل إليه لا يكـون بصرف العبادة لغيره، وإنما يكون بأسـمائه وصفاته، وبالأعمـال الصالحة التي أمر بها؛ كالصـلاة والصدقة والذكـر والصوم والجهـاد والحج وبـر الوالدين،

(١) البيتان للشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقال الشيخ ابن باز بعد أن ساق البيتين «هذا الشرط الثامن قاله شيخنا الشـيخ سـعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ». فتاوى نور على الدرب لابن باز (١/ ٤٥).

ونحو ذلك، وبدعاء المؤمن الحي الحاضر لأخيه إذا دعا): جاء في الشرع من أنواع التوسل في الدعاء[١]:

١. التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وشواهد هذا في السنة كثيرة، ومن ذلك ما تضمَّنه سيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[٢].

٢. التوسل إلى الله بالافتقار إليه، والاعتراف له بإنعامه، والاعتراف بالتقصير، كما في سيد الاستغفار: «**أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي**».

٣. التوسل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح، كما في قوله تعالى عن عباده الذاكرين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران] الآيتين، وكما في قصة الثلاثة أصحاب الغار[٣].

---

(١) ينظر: الدرر السنية (٢/ ١٦٠-١٦٢)، والتوسل أنواعه وأحكامه للألباني (ص٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) عن شدَّاد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

٤. التوسـل إلى اللـه بالفقر إليه في رزقه وكشـف ضـره، كما في قول موسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص]، وقـول أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء].

٥. التوسـل بدعاء من دعا مِن نبي وصالح، كما في قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنا كنا نتوسـل إليك بنبينا...» -أي بدعائه- «وإنا نتوسـل إليك بعم نبينا...»[1]؛ أي: بدعائه[2].

قوله: (والعبـادة أنواع كثيـرة): العبـادة بأنواعها كلها للـه تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، وقـال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي: لا نعبد غيرك.

والعبادة أنواع كثيرة:

منها أعمـال قلبية؛ مثـل: الخوف والرجـاء والتوكل والرغبـة والرهبة والخشية.

ومنها أعمـال ظاهرة؛ وهي أعمال الجوارح؛ كالاسـتعانة والاسـتعاذة والاسـتغاثة والذبـح والنذر، ومنهـا: الركوع والسـجود والصيـام والحج والجهاد، وهناك أنواع أخرى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه (ص٥١).

وعبادة الله تعالى تتضمن كمال الذل لله تعالى، والحب له، وذلك يستلزم كمال طاعته.

وهنا تعريفان للعبادة:

أحدهما: أنَّ العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[(١)].

الثاني: كمال الحب، مع كمال الذل له سبحانه[(٢)].

فالأول: اسم لما يُتَعَبَّد به. والثاني: اسم لحقيقة العبادة.

والصلاةُ ونحوها شعائرُ العبادة؛ لأنها يُتعبَّد بها ويتذلل بها لله تعالى، فهي عبادة، ولهذا لا ينبغي أن تسمى مظاهر العبادة؛ لأنها هي التي يحصل بها التذلل والتقرب إلى الله تعالى.

والشعائر الشركية تذللٌ وتَعَبُّدٌ لغير الله؛ كالذبح مثلًا، فالذبحُ على وجه التعظيم والتقرب عبادةٌ.

فالشركُ عبادةُ غير الله مع الله، أو اتخاذُ ندٍّ لله تعالى.

قال ابن القيم:

والشركُ فاحذره فشركٌ ظاهر
ذا القسمُ ليس بقابلِ الغفرانِ

(١) ينظر: العبودية لابن تيمية (ص٤٤).
(٢) ينظر: العبودية (ص٤٨)، ومدارج السالكين (١/ ١١٥-١١٦).

وهـو اتخـاذُ النِّـد للرحمـنِ أيَّـ
ـاً كان مـن حجـرٍ ومن إنسـانِ
يدعـوه بـلْ يرجـوه ثـم يخافُه
ويحبُـه كمحبـةِ الديـانِ[1]

قوله: (منهـا الدعاء: وهو طلـب الحاجات التي لا يقـدر عليها إلا الله تعالى...) إلى آخره: قسَّم العلماء الدعاء إلى قسمين[2]:

١. **دعاءُ المسـألة:** وهو الطلب الصريح؛ كقول العبـد: اللهم اغفر لي، اللهـم ارحمنـي، اللهـم اهدنـي، وكما فـي قوله تعالـى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ .

٢. **ودعاءُ عبادةٍ:** وهو سـائر العبادات؛ فالصلاة دعـاء، والصيام دعاء، والحج دعـاء، والذكر كله دعاء، أي: دعـاء عبادة، وسُـمِّيت العبادة دعاء؛ لأن العبد طالب للثواب.

قوله: (ومن العبادة: الذبح والنذر وتقريـب القرابين): الذبح تقرُّبًا إلى الله أنواع:

- الأضحية.

- والهدي في الحج أو العمرة.

---

(١) النونية (٣/ ٧٥١ رقم ٣٤٩٣- ٣٤٩٥).
(٢) ينظـر: مجمـوع الفتـاوى (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨)، (١٥/ ١٠-١١)، وجـلاء الأفهـام (ص١٦٠).

- والعقيقة، وكلها من القرابين والأنساك التي جاءت بها الشريعة.

قوله: (فلا يصح أن يتقرب الإنسان بسفك الدم، أو بتقريب قربان، أو بنذرٍ إلا لله وحده، ومَن ذبح لغير الله؛ كمن يذبح للقبر أو للجن؛ فقد عبد غير الله واستحق لعنة الله): المراد بالذبح لغير الله: ما يُذبح من بهيمة الأنعام وغيرها، على وجه التقرُّب بإراقة الدم تعظيمًا، ولا بدَّ من هذا التقييد: «على وجه التقرُّب بإراقة الدم تعظيمًا للمذبوح له»؛ ليخرج الذبح تكريمًا بتقديم الطعام واللحم، لا تقرُّبًا وتعظيمًا بإراقة الدم، أما الذبحُ على وجه التقرُّب إليه؛ كالذبح للملوك والسلاطين والعظماء عند مقْدَمِهِم -كما نصَّ أهل العلم على ذلك- فهذا من نوع الذبح لغير الله، الذي هو شِرك أكبر[1]، فمقصود الأول هو التقربُ والتعظيم والعبادة لهذا المذبوح له، أمَّا الثاني فلا، إنما هو تكريم له بالطعام؛ ولهذا لا يُقصد مما يُذبح على وجه التقرُّب: اللحم، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، ولهذا لا يُجزئُ عن الأضحية أن تشتري لحمًا وتتصدَّق به، فلو اشترى الإنسانُ لحمًا وتصدَّق به أيامَ الأضحية لم يكن مضحِّيًا.

---

(١) ينظر: الدر المختار بحاشية ابن عابدين (٦/ ٣٠٩-٣١٠)، والعزيز شرح الوجيز للرافعي (١٢/ ٨٤-٨٥).

قولـه: (وقـال الرسـول ﷺ: «لعـن الله مَـن ذبح لغيـر اللـه»، حديث صحيـح، رواه مسـلم[(١)]): اللعنُ: هـو الطردُ والإبعـادُ عن رحمـة الله[(٢)]، ويكون مـن الرَّبِّ قـولًا وفعـلًا، واللهُ تعالـى ذكـرَ اللعنَ فـي مواضعَ من القرآن، فهو تعالى يلعنُ مَن يشـاء كما يغضبُ على مَن يشاء؛ قال تعالى في قاتـل المؤمـنِ عمـدًا: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء]، وقال في إبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾ [ص].

وقولُ رسـولِ اللهِ ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير اللـه**»: أي: ذبح له تقرُّبًا إليه وتعظيمًا له؛ لأنه بذلك أشركَ بالله.

وقولُـه: «**لعن اللـه**»: يحتمـل -والله أعلـم- أنَّـه إخبارٌ عن لعـن اللهِ وطردِه لمن ذبحَ لغير اللـه، ويحتمل أن يكون دعاءً مـن النبي ﷺ على مَن فعل ذلك، بأن يلعنه اللـه، ويطردَه عن رحمته، والاحتمـالُ الأوَّلُ أبلغُ في الزجر؛ لأنَّ الخبرَ يُفيدُ تحقُّقَ المخبَر، بخلاف الدعاء[(٣)].

فيدلُّ هذا على تحريـم الذبحِ لغير الله، وأنَّه من كبائـر الذنوبِ، بل إنَّه شركٌ؛ لأنَّه صرفٌ للعبادة لغيره، والعبادةُ محضُ حقِّه سبحانه.

---

(١) برقم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: النهاية (٤/ ٢٥٥).

(٣) ويؤيده ما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قـال: قال النبي ﷺ: «**ملعون من ذبح لغيـر اللـه**». أخرجـه أحمـد (١٨٧٥)، وحسـنه الألبانـي فـي أحـكام الجنائـز (ص٢٦٠). وينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٢٢).

قوله: (وإذا قال إنسان: لفلان عليّ نذر إن حصل لي كذا أن أتصدق بكذا أو أفعل كذا، فهذا النذر شرك بالله؛ لأنه نذر لمخلوق، والنذر عبادة لا يكون إلا لله، والنذر المشروع هو أن يقول: لله عليّ نذر أن أتصدق بكذا، أو أفعل كذا من الطاعة إذا حصل لي كذا): يوضحه ما يفعله القبوريون من النذر للأموات؛ كمن ينذر للسيد فلان؛ كالبدوي أو الدسوقي أو غيرهما، بأن يذبح له كذا وكذا، وهذا كمَن يصلي له، فإنه يقصد إلى التقرب إليه بالنذر، فكما أنَّ مَن نذر لله أن يتقرب إليه بذبح أو نحر يكون عابدًا له مثابًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]؛ فكذلك مَن نذر لغيره، فالنذر لغيره شرك، والنذر لله عبادة له، وهذا باعتبار الوفاء، أمَّا عقد النذر فإنه جاء النهي عن النذر[1]، فلا يُشرع للإنسان أن ينذر، فيقول: لله عليّ أن أصوم شهرًا أو أتصدق بكذا وكذا؛ فهذا منهيٌّ عنه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**النذر لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل**»[2]، ولكنه يكون عبادةً باعتبار المآل؛ لأنَّ الناذر ينذر عبادة يقصد بذلك التقرُّب للمنذور له، وقول الشيخ في نذر الشرك: **(لفلان عليّ نذر)**؛ يريد: كقول عُبَّاد البدوي: للسيد عليَّ أن أذبح له كذا خروفًا أو بقرة؛ أي: تقرُّبًا إليه، فتتضح عبارة الشيخ، ويتبين مراده إذا قرنت فلانًا بالسيد؛ فقلتَ: للسيد فلان؛ أي: كالبدوي أو الدسوقي مثلًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، (٦٦٩٢)، ومسلم (١٦٣٩) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٢)، ومسلم (١٦٣٩-٤) -واللفظ له- عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: (ومن أنواع العبادة: الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة: فلا يُستغاث ولا يُستعان ولا يُستعاذ إلا بالله وحده...) إلى آخره: هذا كله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالاستعانة بالأموات، والاستعانة بالمخلوق؛ وكالنجاة من الكروب، كمَن غرق في البحر فاستغاث بالولي؛ فهذا هو الشرك؛ لأنه أنزله منزلة الله؛ فلا يستغاث في الكروب إلا بالله وحده، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩]، أمَّا الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه فهذا جائز؛ كالذي استغاث بموسى، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص:١٥].

وكالاستغاثةِ: الاستعانةُ والاستنصارُ، فإنَّه يجوز بالمخلوق فيما يقدر عليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾ [الأنفال]. فيجوز أن تقول: انصرني يا فلان على هذا العدوِّ، وكذلك طلبُ الحوائج ممَّن يقدرُ على قضائها، مثلما يكون بين النَّاس من التَّعاون، أمَّا الاستغاثةُ بالأموات كما يفعل المشركون القبوريُّون الذين يعبدون الموتى والصَّالحين، أو مَن يُدَّعى لهم الصَّلاح؛ فلا يجوز؛ لأن بالاستغاثة بهم تشبيه لهم بالله، وعبادة لهم مع الله، ومع ذلك هم لا يقدرون على ما يُطلَب منهم؛ فكان عُبَّاد القبور كعُبَّاد الأصنام الذين يَدعون ما لا ينفعهم ولا يَضرُّهم[1].

---

(١) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص٢٩٧-٣٠٠).

قوله: (والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فمن ادعى أنه يعلم الغيب فهو كافر يجب تكذيبه، ولو تكهَّن بشيء فوقع فهو من باب الموافقة، قال رسول الله ﷺ: «مَن أتى كاهنًا أو عرّافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد» رواه الإمام أحمد والحاكم[1]): هذا الحديث تضمَّن التحذير من إتيان الكُهَّان وسؤالهم وتصديقهم، وأنَّ مَن أتى كاهنًا أو عرَّافًا فسأله عن شيءٍ فصدقه بما يخبره به فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ وهو القرآن؛ لأنَّ الكاهن يدَّعي علم الغيبِ، ومَن يسأله ويصدقه قد كفر بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، فلا أحد من الخلق يعلمُ الغيبَ حتى الرسل إلا ما يُطلعهم الله عليه، ولهذا أمر الله نبيه أن يقول للناس: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن]، ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ الغيبَ نوعان: غيبٌ مطلقٌ، وهو ما لا يعلمه إلا الله؛ كعدد الملائكةِ والخمس المذكورة في آية لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

والنوع الثاني: غيبٌ نسبيٌّ، وهو ما يعلمُه بعضُ الخلق دون بعض بأسبابٍ كونية أو شرعية؛ كعدد الأنبياءِ، وأعدادِ الشعوب، فمَن ادَّعى

---

(١) أخرجه أحمد (٩٥٣٦)، والحاكم (١٥)، ومن طريقه البيهقي (١٦٥٧٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ونقل المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٣) عن الحافظ العراقي أنه قال في أماليه: «حديث صحيح». وصححه الذهبي في المهذب في اختصار السنن (١٢٧٩٩). وينظر: الصحيحة (٣٣٨٧)، وإرواء الغليل (٢٠٠٦).

العلمَ بالنوع الأول فهو الذي كفر بما أُنزل على محمد، ومَن ادَّعى الثاني فقد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا، كما دلَّ هذا الحديثُ على حُكمِ مَن أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقه بما يقول، وهو أنَّه قد كفر بذلك، وفي هذا الكفرِ للعلماء ثلاثة أقوال:

قيل: إنَّه كفرٌ أكبر؛ أي مخرجٌ من الملَّة، فمَن يفعل ما ذُكر فهو مرتدٌّ.

وقيل: إنَّه كفرٌ دون كفرٍ؛ أي: معصيةٌ من كبائر الذنوب[1].

وقيل بالتوقُّفِ عن الجزم بأحد الحُكمين، وإجراءِ الأحاديثِ على إطلاقها؛ لأنَّ ذلك أبلغ في الزجر.

وروي عن الإمام أحمد القولُ الأول والثالث[2]، والذي يظهرُ لي -والله أعلم- أنَّ حالَ السائلين تختلف[3]؛ فمَن كان يعتقد أنَّ الكاهنَ يعلمُ الغيبَ فهو كافر، ومَن كان لا يعتقد ذلك، بل يقول: إنَّ الكاهنَ له قرناء من الجن يخبرونَه مما يجيء به مسترقُ السمع، أو مما يشاهده الجن من أحوال الناس؛ فمثل هذا لا يكفرُ؛ بل هو عاصٍ؛ لأنَّه لم يعتقد أنَّ الكاهنَ يعلم الغيب.

قوله: (ومما يُؤسَف له أنَّ كثيرًا من المنتسبين للإسلام يشركون بالله، فيدعون غيره من الأحياء المعظَّمين، ومن أهل القبور، ويطوفون

(١) وإليه يميل ابن القيم؛ فقد مثَّل به في الكفر الأصغر. ينظر: كتاب الصلاة (ص٨٨-٩٠)، ومدارج السالكين (١/ ٥١٧-٥١٨).

(٢) ينظر: الفروع (١٠/ ٢١٢).

(٣) ينظر: فيض القدير (٦/ ٢٣).

بقبورهم، ويطلبون منهم حوائجهم، وهذا عبادة لغير الله، فاعلها ليس مسلمًا وإن ادعى الإسلام، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصلى وصام وحج البيت): لأنه لم يحقق «لا إله إلا الله»، فمَن عبد مع الله غيره، ولو قال: لا إله إلا الله، لا يكون بهذا موحِّدًا؛ بل هو يقولها بلسانه وينقضها بفعله، وسيذكر المؤلف ما يوضح ذلك بما يأتي مِن ذكر نواقض الإسلام[1].

قوله: (وبهذا يتبين أنَّ من الشرك بالله ما يفعله الجهّال عند بعض القبور في كثير من البلدان...) إلى آخره: رحم الله الشيخ، يوضِّح بهذا الكلام حالَ كثير من المنتسبين للإسلام في الأقطار الإسلامية، فإنَّ القبورية قد رسَخت في كثير من البلدان، فيشيِّدون القِباب على قبور بعض الصالحين، أو مَن يُظن فيهم الصلاح، ثم يجعلونها مزارًا يحُجُّون إليها ويذبحون عندها الذبائح، وينذرون لها النذور، ويطوفون بها كما يطوفون بالبيت العتيق، كل ذلك تقرُّبًا إلى أصحاب تلك القبور، وهذا شرك صُراح، وأغلظ وأشد ذلك عند الرافضة وهم الأصل في القبورية، وهم الذين أدخلوا القبورية في الأمة الإسلامية، فكل إمام من أئمتهم عليه

---

(١) تنظر: (ص١٨٨).

ضريح يحجون إليه، ويفعلون عنده ما يفعله المسلمون عند الكعبة، وأشهر هذه الأضرحة، وأعظمها عندهم ضريح عليٍّ في كربلاء[(١)].



الفرق الناجية:

المسلمون كثيرون في العدد لكنهم قليلون في الحقيقة، والطوائف التي تنتسب إلى الإسلام كثيرة تصل إلى ٧٣ فرقة، عدد أفرادها ألف مليون وزيادة[(٢)]، ولكن الطائفة المسلمة حقًّا واحدة، وهي التي تُوحِّد الله تعالى وتَسِير على طريقة الرسول محمد ﷺ، وأصحابه في العقيدة والعمل الصالح، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا

(١) وقد ألَّف محمد بن النعمان الرافضي الملقب بـ «المفيد»، كتابًا في مناسك حج المشاهد! كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في غير مواضع، ينظر: قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص٦٨-٦٩)، ومنهاج السنة (٣/ ٤١٩). وجاء في كتاب التوضيح عن توحيد الخلَّاق (ص٢١٧): أن أحد الغلاة ألف كتابًا سماه: «مناسك حجِّ مشاهد الأبرار لمن عنى إليهم من المقيمين والزوَّار»، ولعله نفسه، والله أعلم.

(٢) **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «أي وقت تأليف الكتاب».**

واحدة»، قال الصحابة: مَن هي يا رسـول الله؟ قال: «مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[١]، رواه البخاري ومسلم[٢].

والذي عليه النبـي ﷺ وأصحابه: هو اعتقاد معنى لا إلـه إلا الله محمد رسـول الله، والعمل به بدعـاء الله وحـده، والذبح والنـذر لله وحده، والاسـتغاثة والاسـتعانة والاسـتعاذة بالله وحده، واعتقاد النفع والضر فيـه وحـده، وأداء أركان الإسـلام بإخـلاص لـه سـبحانه والتصديـق بملائكتـه وكتبه ورسـله، والبعث والحسـاب، والجنة والنـار، وبالقدر خيـره وشـره كله مـن اللـه تعالـى، وتحكيـم القرآن والسـنة في شـتى المجالات، والرضـا بحكمهما، ومـوالاة أولياء الله، ومعـاداة أعدائه، والدعـوة إليـه، والجهاد فـي سـبيله، والاجتمـاع على ذلك، والسـمع والطاعة لولي الأمر المسـلم إذا أمر بالمعروف، وقول كلمة الحق أينما كانـوا، ومحبة أزواج النبي وآلـه وتوليهم، ومحبة أصحاب رسـول الله وتقديمهـم على قـدر فضلهـم، والترضي عنهـم جميعًـا، والكف عما شـجر بينهم، وعدم التصديق بقدح المنافقين فـي بعضهم، ذلك القدح

(١) أخرجه الترمـذي (٢٦٤١)، والأصبهاني فـي الحجة (٢٤) -واللفـظ له- عن عبد الله بـن عمـرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وهـذا الحديث له شـواهد عديـدة، وطرق كثيـرة بألفاظ متقاربـة كما فـي تخريـج أحاديـث الكشّـاف (١/ ٤٤٧ رقـم ٤٥٥)، والصحيحة (٢٠٣، ٢٠٤، ١٤٩٢) وقـال الحاكم في المسـتدرك (١٠): «هذا حديـث كَثُر في الأصـول». وقـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة فـي مجمـوع الفتـاوى (٣/ ٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور في السنن والمساند».

(٢) لم نجده في البخاري ولا في مسـلم، ولعـل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذهـب ذهنه لحديث الطائفة المنصورة كما ذكر شيخنا حَفِظَهُ اللَّهُ في التعليق.

الـذي قصـدوا بـه تفريـق المسـلمين، وانخـدع بـه بعـض علمائهـم ومؤرخيهم فأثبتوه في كتبهم عن حسن نية، وهذا خطأ.

والذين يدَّعون أنهم من آل البيت، ويُسمون بالسادة، عليهم أن يتأكدوا من صحة نَسبهم؛ لأنَّ الله لعن مَن انتسب إلى غير أبيه[1]، فإذا ثبت نَسبهم فعليهم أن يقتدوا بالرسول وآله في إخلاص التوحيد لله، وترك المعاصي، وعدم الرضا بانحناء الناس لهم، وتقبيل ركبهم وأقدامهم، وأن لا يتميزوا عن إخوانهم المسلمين بزي خاص؛ لأنَّ ذلك كله مخالف لما عليه الرسول، وهو منه بريء، والأكرم عند الله الأتقى، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليمًا.



التَّعليق

هذه الجملة شرح فيها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مذهب أهل السنة والجماعة أخذًا من قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما قيل له: مَن الفرقة الناجية؟ قال: «**مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، فأهل السنة والجماعة هم الذين اقتفوا آثار الصحابة رضوان الله عليهم وتحرَّوا سنة رسول الله بأقواله وأفعاله، وآمنوا بكل ما أخبر به من أسماء الله وصفاته، وما أخبر به عن اليوم الآخر، وقاموا بالحقوق: بحق النبي ﷺ إيمانًا ومحبةً وتوقيرًا

---

(١) أخرج مسلم (١٣٧٠) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ مرفوعًا: «**ومن ادَّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين**»، وهو في البخاري (٧٣٠٠) دون محل الشاهد.

وتعزيرًا لـه، وبحق الصحابـة رضوان الله عليهـم اعترافًـا بفضلهم وإنزالًا لهم بمنازلهـم، وكذلك أزواج النبـي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فمذهب أهل السـنة والجماعة يقوم على الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسـوله وعلى طاعة الله ورسـوله، فالفرقة المسـتقيمة على ما كان عليه الرسـول ﷺ وأصحابه هي الفرقة الناجيـة؛ لقوله ﷺ فـي هذا الحديـث: «**كلها في النـار إلا واحدة**»؛ وهي المنصورة؛ لقوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتـي ظاهرين على الحق لا يضرهـم من خذلهـم، حتى يأتي أمـر الله وهـم كذلك**»[1]، فهـي موصوفة بالنجاة وبالنصر.

والفرقـة الناجية المنصـورة هم أهل السـنة والجماعة، الذيـن التزموا طريقة الرسـول ﷺ، ومـا عليه جماعـة المسـلمين، واعتصَمـوا بحبل الله جميعًا، وجانبوا الفُرقة وأسبابها. والفرقة والطائفة معناهما متقارب.

وقوله: (الفـرق الناجية): الصـواب: الفرقة الناجية كمـا في الحديث: «**إلا واحدة**».

وقول الشـيخ في حديث الفـرق: (رواه البخاري ومسـلم) خطأ، إنما رواه أهل السنن، قال شيخ الإسـلام عن الحديث: إنه حديث مشهور رواه

(١) أخرجه مسـلم (١٩٢٠) عـن ثوبـان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وللبخـاري (٣٦٤١)، (٧٣١١) عن معاوية بـن أبـي سـفيان، والمغيـرة بـن شـعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ نحـوه، ورواه جماعة من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهو حديث متواتر. ينظر: نظم المتناثر (١٤٥).

أهل السنن والمسانيد(١)، ولعل الشيخ انتقل ذهنه إلى حديث الطائفة المنصورة؛ فإنه في الصحيحين عن جماعة من الصحابة.

وقوله: **(وانخدع به بعض علمائهم ومؤرخيهم فأثبتوه في كتبهم عن حسن نية، وهذا خطأ)**: لا يستقيم المعنى المقصود بهذه العبارة، فينبغي أن تكون: فانخدع بهم بعض مؤرخي المسلمين من أهل السنة أو غيرهم؛ فأثبتوه في كتبهم عن حسن نية، وهو خطأ كما قال المؤلف.

وقوله: **(والذين يدَّعون أنهم من آل البيت، ويُسمون بالسادة، عليهم أن يتأكدوا من صحة نَسبهم؛ لأنَّ الله لعن مَن انتسب إلى غير أبيه، فإذا ثبت نَسبهم فعليهم أن يقتدوا بالرسول وآله في إخلاص التوحيد لله، وترك المعاصي، وعدم الرضا بانحناء الناس لهم، وتقبيل ركبهم وأقدامهم)**: يعني على المنتسبين لبيت النبي ﷺ الذين يسمون الأشراف أن يتواضعوا ولا يفخروا على الناس بنسبهم، ولا يرضون من الناس بالغلو فيهم.



(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥).







الحكم والتشريع حق لله وحده وحيث يكون الشرع تكون العدالة والرحمة والفضيلة

ومن معنى لا إله إلا الله الذي يجب اعتقاده والعمل به: أنَّ الحكم والتشريع حق لله وحده، فلا يجوز لأحد من البشر أن يضع قانونًا مخالفًا لشريعة الله في أي أمر من الأمور، ولا يجوز للمسلم أن يحكم بغير ما أنزل الله، ولا يجوز له أن يرضى بحكم يخالف شريعة الله، ولا يجوز لأحد أن يحل ما حرم الله، أو يحرم ما أحل الله، فمن فعل ذلك متعمدًا المخالفة أو رضي به فهو كافر بالله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة].

ووظيفة الرسل التي بعثهم الله بها: هي دعوة الناس إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، والعمل بمدلولها وهو عبادة الله وحده، والخروج من عبادة المخلوق وشريعته إلى عبادة الخالق وشريعته وحده، لا شريك له.

ومن قرأ القرآن العظيم بتدبر وبُعد عن التقليد الأعمى أدرك تمامًا أنَّ ذلك الذي بيناه هو الحق، وأدرك أنَّ الله حدَّد علاقة الإنسان معه سبحانه ومع الخلق، فجعل علاقة عبده المؤمن به أن يعبده بجميع أنواع العبادة، فلا يصرف منها شيئًا لغيره، وجعل علاقته بالأنبياء وعباد

الله الصالحين محبتهم محبة تابعة لمحبته سبحانه والاقتداء بهم، وجعل علاقته بأعدائه الكافرين بغضهم؛ لأنَّ الله يبغضهم، وأن يدعوهم مع هذا إلى الإسلام، ويبينه لهم لعلهم يهتدون، وأن يجاهدهم المسلمون إذا رفضوا الإسلام، ورفضوا الخضوع لحكم الله، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فهذه المعاني لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يجب على المسلم أن يعرفها، وأن يعمل بها لكي يكون مسلمًا حقًّا.



التَّعْلِيقُ

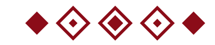
قوله: (الحكم والتشريع حق لله وحده، وحيث يكون الشرع تكون العدالة والرحمة والفضيلة): لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فالحكم لله وحده فهو الذي يحكم الأحكام الكونية، فالكون كله بمشيئته وتقديره وتدبيره، وكذلك الحكم الشرعي، فالشرائع كلها بأمره ووحيه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، جاء هذا في الأمر الكوني والأمر الشرعي، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف]؛ فالتحليل والتحريم والإيجاب والاستحباب كل ذلك راجع إلى شرعه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله[1]، وقد أشار الشيخ إلى

---

(١) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٣)، (ص١٧١)، (ص١٨٥)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٣٨٨)، (١١/ ٤٩٨).

بعض خصائص شريعة الله؛ وهي العدالة والرحمة والفضيلة، فأحكامها كلها متضمنة للعدل والرحمة؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد، وتنزيل من الرحمن الرحيم، لذا كانت أفضل الشرائع، وأحكامها كلها حق، وكل ما خالفها باطل.

قوله: (ووظيفة الرسل التي بعثهم الله بها: هي دعوة الناس إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والعمل بمدلولها؛ وهو عبادة الله وحده): كلمة التوحيد تتضمن كل معاني التوحيد: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فهو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وهو الموصوف بكل كمال، وهو ربُّ كل شيءٍ ومليكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، و«لا إله إلا الله» تتضمن هذا كله، ومِن مقتضياتها: اتباعُ شرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتحكيم كتابه وسنة نبيِّه ﷺ.



معنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله:

ومعنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: أن تعلم وتعتقد بأنَّ محمدًا رسول الله إلى الناس جميعًا، وأنه عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب؛ بل يطاع ويُتَّبع، مَن أطاعه دخل الجنة، ومَن عصاه دخل النار، وأن تعلم وتعتقد بأنَّ تلقِّي التشريع سواء في شعائر العبادات التي أمر الله بها، أو في نظام الحكم والتشريع في شتى المجالات، أو في التحليل

والتحريم، لا يكون إلا عن طريق هذا الرسول الكريم محمد ﷺ؛ لأنه رسول الله المبلِّغ عنه شريعتَه، فلا يجوز للمسلم أن يقبل تشريعًا أتى من غير طريق الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

معنى الآيتين: يأمر الله في الآية الأولى المسلمين أن يطيعوا رسوله محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في جميع ما أمرهم به، وأن ينتهوا عن جميع ما نهاهم عنه؛ لأنه إنما يأمر بأَمْرِ الله وينهى بنَهْيِه، وفي الآية الأخرى يقسم الله سبحانه بنفسه المقدَّسة أنه لا يصح إيمان إنسان بالله وبرسوله حتى يحكِّم الرسول فيما شجر بينه وبين غيره، ثم يرضى بحكمه ويُسلِّم، له أو عليه، وقال الرسول ﷺ: «مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» رواه مسلم وغيره[1].

نداء:

إذا عرفت -أيها العاقل- معنى: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وعرفت أنَّ هذه الشهادة هي مفتاح الإسلام وأساسه الذي يُبنى عليه؛ فقل من قلب مخلص: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨-١٨) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وللبخاري (٢٦٩٧) نحوه.

رسـول الله»، واعمل بمعنى هذه الشهادة لتنال السـعادة في الدنيا وفي الآخرة، ولتنجو من عذاب الله بعد الموت.

واعلـم أنَّ من مقتضـى شـهادة «أن لا إله إلا اللـه محمد رسـول الله» العمل ببقية أركان الإسـلام؛ لأنَّ الله فرض هذه الأركان على المسـلم ليعبـده بأدائها بصدق وإخـلاص من أجلـه تعالى، ومَن تـرك ركنًا منها بدون عذر مشـروع فقد أخلَّ بمعنى «لا إله إلا الله»، ولا تعتبر شـهادته صحيحة.



التَّعليق

قولـه: (ومعنى شـهادة أنَّ محمـدًا رسـول اللـه: أن تعلم وتعتقـد بأنَّ محمدًا رسـول الله إلى الناس جميعًا، وأنه عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب؛ بل يطاع ويتَّبع): ذكر في هذه الشـهادة صفتين للنبي ﷺ لا بدَّ من الشـهادة بهما للرسول: وصفُ العبودية، ووصفُ الرسالة.

الوصفُ الأوَّلُ: العبودية؛ فلا بدَّ من الشـهادة بأنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ عبدٌ للـه، ليس له شـيءٌ مـن خصائـص الإلهية؛ فهـو عابدٌ لربِّـه، بل هـو أعبدُ الناس، وأكملُهم عبوديةً، وقد ذكره اللهُ بهـذا الوصف في أجلِّ المقامات: مقامِ التحدِّي، ومقامِ الإسراءِ، ومقامِ النَّذارةِ، ومقامِ الدعاءِ، وشواهدُ ذلك فـي القـرآن، وهـي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقـرة: ٢٣]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسـراء:١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجنّ:١٩].

الوصفُ الثاني: الرسالة؛ فهو عبدُ الله ورسولُه، فلا بدَّ من الشهادة بأنه رسولُ اللهِ إلى جميع الناس، بل إلى الثقلين: الجنِّ والإنسِ، أرسلَهُ اللهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ، وأنه خاتمُ النبيين، فلا بدَّ أن تتضمَّنَ الشهادةُ هذين الأمرين؛ وهما: الإقرارُ بأنَّ محمدًا ﷺ عبدُ الله ورسوله، وهذا هو الصراطُ المستقيمُ في شأن الرسولِ ﷺ، فإنَّ الناسَ منهم مَن كذَّبه وجَحَدَ رسالتَه -وهم أكثرُ الخلق- ومنهم مَن غلا فيه ورفعَه عن منزلة العبودية إلى منزلة الإلهية؛ فجعل له بعضَ خصائصِها؛ كعلم الغيبِ المطلقِ، أو توجَّه إليه بأنواع من العبادة كالدعاء والرجاء والاستغاثة.

فلا بدَّ في هذه الشهادة من الجمع في شأن الرسولِ بين الإقرار له بالعبودية، والإقرارِ له بالرسالة بأنَّه ﷺ عبدٌ لا يُعْبَد، ورسولٌ لا يُكَذَّب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٢٨﴾ [الفتح]، فمَن غلا فيه: انحرفَ عن الصراط المستقيم، ومَن كذَّبه: زاغَ عن الصراط المستقيمِ.

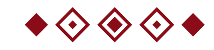
(ومعنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله): أي حقيقة الإقرار والتصديق واليقين بأنه رسول من عند الله إلى جميع الناس، ومقتضى هذه الشهادة[1]: طاعته فيما أمر، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن:١٢] في مواضع كثيرة، ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ

(١) ذكر هذه المقتضيات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وزاد: «وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع». ينظر: الأصول الثلاثة بشرح شيخنا (ص٣٢).

﴿١٥٨﴾ [الأعراف]، وتصديقه فيما أخبر؛ فهو أصدق الناس، واجتناب ما نهى عنه وزجر.

قوله: (ويُسَلِّم، له أو عليه): أي: سلَّم للرسول حكمه سواء كان الحكم له؛ أي: في مصلحته أو عليه؛ أي: ضده.

قوله: (واعلم أنَّ من مقتضى شهادة «أن لا إله إلا الله محمد رسول الله»...) إلى آخره: يريد الشيخ: أن مَن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ يجب أن يحقق ذلك لأداء بقية أركان الإسلام: الزكاة والصلاة والصوم والحج، وكلها فرائض فرضها الله على كل مسلم.



الركن الثاني من أركان الإسلام: الصلاة:

اعلم -أيها العاقل- أنَّ الركن الثاني من أركان الإسلام هو الصلاة، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة، شرعها الله تعالى؛ لتكون صلة بينه وبين المسلم، يناجيه فيها ويدعوه، ولتكون ناهية للمسلم عن الفحشاء والمنكر، فيحصل له من الراحة النفسية والبدنية ما يسعده في الدنيا والآخرة.

وقد شرع الله للصلاة طهارة البدن والثياب والمكان الذي يُصلَّى فيه؛ فيتنظف المسلم بالماء الطَّهور من النجاسات مثل: البول والبراز، لكي يطهر بدنه من النجاسة الحسية، وقلبه من النجاسة المعنوية.

والصلاة هي عمود الدين، وهي أهم أركانه بعد الشهادتين، يجب على المسلم أن يحافظ عليها منذ سنِّ البلوغ حتى يموت، ويجب أن يأمر بها أهله وأولاده منذ سنِّ السابعة، لكي يعتادوا عليها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ۝١٠٣﴾ [النساء]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

المعنى الإجمالي للآيتين:

يخبر الله تعالى في الآية الأولى أنَّ الصلاة فرض محتَّم على المؤمنين، وأنَّ عليهم أن يؤدوها في أوقاتها المحددة لها، وفي الآية الأخرى: يخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ الأمر الذي أمر به الناس وخلقهم من أجله هو أن يعبدوه وحده، وأن يخلصوا له عبادتهم، وأن يقيموا الصلاة، ويعطوا الزكاة للمستحقين.

والصلاة واجبة على المسلم في جميع أحواله حتى في حال الخوف والمرض، فإنه يصلي على قدر استطاعته: قائمًا أو قاعدًا أو مضطجعًا، حتى لو لم يقدر إلا إشارة بعينه أو بقلبه، فإنه يصلي بالإشارة، وقد أخبر الرسول ﷺ أنَّ تارك الصلاة ليس بمسلم رجلًا أو امرأة، فقال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمَن تركها فقد كفر»[1] حديث صحيح.

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (١٤٥٤)، والحاكم (١١).

والصلوات الخمس هي: صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء.

ووقت صلاة الفجر يبدأ بظهور نور الصباح في المشرق، ويخرج عند بزوغ الشمس، ولا يجوز تأخيرها إلى آخر وقتها، ووقت صلاة الظهر يبدأ من زوال الشمس حتى يصير ظلُّ الشيء طولَه بعد ظلِّ الزوال، ووقت صلاة العصر يبدأ بعد نهاية وقت الظهر إلى اصفرار الشمس، ولا يجوز تأخيرها إلى آخر وقتها؛ بل تُصلَّى ما دامت الشمس بيضاء نقيَّة، ووقت المغرب يبدأ بعد غروب الشمس، وينتهي بمغيب الشفق الأحمر، ولا تؤخَّر إلى آخر وقتها، ووقت صلاة العشاء يبدأ بعد نهاية وقت صلاة المغرب إلى آخر الليل، لا تؤخَّر بعده.

ولو أخَّر المسلمُ صلاةً واحدةً عن وقتها حتى يخرج من غير مانع شرعي خارج عن إرادته؛ فإنه قد ارتكب ذنبًا عظيمًا، عليه أن يتوب إلى الله ولا يعود، قال الله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون].



التَّعليق

أفرد الشيخ الصلاة بحديث خاص بها؛ لعظم شأنها، وبيَّن منزلتها من الدين، فهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي أعظم الواجبات بعد التوحيد، وبيَّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المراد بها بأنها الصلوات الخمس التي كتبها الله على عباده في كل يوم وليلة، وذكر الشيخ جملة من أحكامها؛ مثل اشتراط الطهارة من الحدث والخبث؛ فلا تصح من مُحدِثٍ أو مُلابسٍ للنجاسة ببدنه أو ثوبه أو مُصلَّاه.

والطهارة في الشرع ثلاثة أنواع:

طهارة القلب بالتوحيد، وطهارة البدن بالماء الطَّهور، والطهارة من الذنوب بالتوبة[١].

ومَن توضأ فأسبغ الوضوء، وأتى بالذكر المشروع بعد الوضوء؛ اجتمعت له أنواع الطهارة الثلاثة، ودخل في الصلاة وهو بأكمل طهارة[٢].

كما نبَّه الشيخ على أن للصلوات أوقات تجب مراعاتها، فلا يجوز تأخير صلاةٍ عن وقتها، وفصَّل في وقت بعض الصلوات: كالفجر والمغرب والعشاء، وبيَّن حكم تارك الصلاة، وهو الكفر مستدلًا بالحديث الصحيح؛ قال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمَن تركها فقد كفر**».

قوله في وقت صلاة العشاء: (إلى آخر الليل): أراد وقت الضرورة؛ كامرأة لم تطهر إلا بعد نصف الليل، وأمَّا وقت العشاء الاختيار فينتهي منتصف الليل[٣]؛ لقوله ﷺ: «**ووقت العشاء إلى نصف الليل**»[٤].



---

(١) ينظر: شرح عمدة الفقه لابن تيمية (٢/ ٤١٥-٤١٦).

(٢) ينظر: الكلام على مسألة السماع (ص ١١٧-١١٨)، وإغاثة اللهفان (١/ ٩٥-٩٦).

(٣) وهو قول الثوري، وابن المبارك، وأحد قولي الشافعي وغيرهم. ينظر الخلاف في: المجموع شرح المهذَّب (٣/ ٤٢)، والمغني (٢/ ٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (٦١٢) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.





أحكام الصلاة:

أولًا: الطهارة: قبل أن يدخل المسلم في الصلاة لا بدَّ له من الطهارة؛ فينظف أولًا المخرج، إن كان قد خرج منه بول أو براز ثم يتوضأ.

والوضوء: ينوي في قلبه الطهارة، ولا يتلفظ بالنية؛ لأنَّ الله به عليم؛ ولأنَّ الرسول ﷺ لم يتلفظ بها، ويقول: بسم الله، ثم يتمضمض، ويستنشق الماء في أنفه وينثره، ويغسل جميع وجهه، ثم يغسل يديه مع الذراعين والمرفقين بادئًا باليمنى، ثم يمسح جميع رأسه بيديه، ويمسح أذنيه، ثم يغسل رجليه مع الكعبين بادئًا باليمنى.

وإذا خرج من الإنسان بعدما يتطهر بولٌ أو برازٌ أو ريحٌ، أو زال عقله بنوم أو إغماء؛ فإنه يعيد التطهر إذا أراد الصلاة، وإن كان المسلم جنبًا قد خرج منه المني بشهوة ولو في المنام ذكرًا أو أنثى؛ فإنه يتطهر بغسل جميع جسده من الجنابة، والمرأة إذا طهُرت من الحيض أو النفاس وجب عليها أن تتطهر بغسل جميع جسدها؛ لأنَّ الحائض والنفساء لا تصح صلاتهما، ولا تجب عليهما الصلاة حتى تطهُرا، وقد خفَّف الله عنهما فأسقط عنهما قضاء ما فاتهما أيام الحيض والنفاس، أما ما عدا ذلك فيجب عليهما قضاء ما فاتهما كالرجل.

ومَن عَدِم الماء، أو كان يضره استعماله كالمريض فإنه يتطهر بالتيمم، وصفة التيمم: ينوي الطهارة في قلبه، ويسمي الله، ثم يضرب بيديه على التراب ضربة واحدة، ويمسح بهما وجهه، ثم يمسح ظهر اليد

اليمنى ببطن اليد الشمال، ويمسح ظهر الشمال ببطن اليمنى، وبذا يكون قد تطهر، وهذا التيمم لكل من الحائض والنفساء إذا طهُرتا، وللجنب، ولمن يريد الوضوء عند فقدِ الماء أو الخوف من استعماله.

ثانيًا: صفة الصلاة:

١. صلاة الفجر:

ركعتان يتوجه المسلم ذكرًا أو أنثى نحو القبلة، وهي الكعبة التي في المسجد الحرام في مكة، وينوي في قلبه أن يصلي صلاة الفجر (الصبح)، ولا يتلفظ بالنية، ثم يكبِّر قائلًا: «الله أكبر»، ثم يقرأ دعاء الاستفتاح ومنه: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرك»[(١)]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ فاتحة القرآن وهي:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾،

(١) أخرجه مسلم (٣٩٩) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا بنحوه، وجاء مرفوعًا من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٤٢)، وابن ماجه (٨٠٤). ومن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند أبي داود (٧٧٦)، وصححه العقيلي في الضعفاء (١/ ٢٨٨)، والحاكم في المستدرك (٨٥٩). وينظر: نصب الراية (١/ ٣١٨)، وإرواء الغليل (٣٤٠)، (٣٤١).

ولا بدَّ أن يقرأ القرآن باللغة العربية[١] مع الاستطاعة، ثم يقول: «الله أكبر»، ويركع فيخفض رأسه وظهره، ويجعل باطن كفيه على ركبتيه ثم يقول: «سبحان ربي العظيم»، ثم يرفع قائلًا: «سمع الله لمن حمده»، فإذا وقف قائمًا قال: «ربنا ولك الحمد»، ثم يقول: «الله أكبر»، ويسجد على الأرض على أطراف أصابع رجليه وركبتيه ويديه وجبهته وأنفه، ثم يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى»، ثم يجلس قائلًا: «الله أكبر»، ويقول إذا جلس: «رب اغفر لي»، ثم يقول: «الله أكبر»، ويسجد على الأرض ثانية ويقول: «سبحان ربي الأعلى»، ثم يقوم قائمًا قائلًا: «الله أكبر»، ثم يقرأ الفاتحة، وهي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ إلى آخرها كما تقدَّم في الركعة الأولى، ثم يكبِّر ويركع، ثم يرفع، ثم يسجد، ثم يجلس، ثم يسجد ثانية، قائلًا في تلك المواضع مثلما قاله في المرة الأولى.

ثم يجلس ويقول: «التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله[٢]، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم،

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «لأنه لو قرأ القرآن بغير العربية ما صار قرآنًا، ولذا فإن ألفاظ القرآن لا تُتَرْجَم، وإنما تترجم معانيها، لأنه إذا تُرجِمت حروفه وكلماته ذهبت بلاغته وإعجازه، وسقطت بعض حروفه، ولم يكن قرآنًا عربيًّا».

(٢) أخرج هذه الصيغة: البخاري (١٢٠٢) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[١]، ثم يلتفت إلى يمينه قائلاً: «السلام عليكم ورحمة الله»، ثم يلتفت عن شماله قائلًا: «السلام عليكم ورحمة الله»، وبذا تمت صلاة الصبح.

٢. أمَّا صلاة الظهر والعصر والعشاء الآخرة:

فإن كل واحدة منها أربع ركعات، يصلي الركعتين الأُولَيَيْن مثلما صلى ركعتي الفجر، ولكنه إذا جلس بعدهما للتشهد وقال مثلما قاله في جلوسه قبل السلام لا يسلِّم، بل يقوم ويأتي بركعتين مثل الأُولين، ثم يجلس مرة ثانية للتشهد، ويقول ما قاله في جلوسه الأوَّل، ويصلي على النبي محمد، ثم يسلِّم على يمينه، ثم على شماله، كما سلَّم في صلاة الفجر.

٣. أمَّا صلاة المغرب فهي ثلاث ركعات، يصلي الركعتين الأُولين مثلما تقدم، ثم يجلس ويقول ما قاله في جلوسه للصلوات الأخرى، ولكنه لا يسلِّم، بل يقوم ويأتي بركعة ثالثة، ويقول ويفعل فيها مثلما قاله وفعله فيما قبلها، ثم يجلس بعدما يسجد السجدة الثانية، ويقول في جلوسه ما قاله في جلوس كل صلاة، ثم يسلِّم على يمينه، ثم على شماله، وإذا كرَّر المصلي ما يقوله في ركوعه وسجوده فهو أفضل.

والرجال يجب عليهم أن يصلُّوا هذه الفرائض الخمس جماعة في المساجد يتقدَّمهم إمام، يكون أحسنهم قراءة للقرآن، وأعرفهم

(١) أخرج هذا الجزء من الصيغة: البخاري (٣٣٧٠) -واللفظ له-، ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالصلاة، وأصلحهم في دينه، ويجهر الإمام بالقراءة في قيامه قبل الركوع في صلاة الفجر، وفي الركعتين الأوليين من صلاة المغرب والعشاء، ويستمع له من خلفه.

والنساء تصليها في البيوت بتستُّر وتحفُّظ، تستر جميع جسمها حتى اليدين والقدمين، لأنها كلها عورة إلا وجهها، وتؤمر بتغطيته عن الرجال، لأنه فتنة تُعرَف به فتُؤذى، وإذا رغبت المسلمة أن تصلي في المسجد فلا مانع على شرط أن تخرج متستِّرة وغير متطيِّبة، وتصلي خلف الرجال لكي لا تفتنهم، ولا تُفتتن بهم.

وعلى المسلم أن يصلي لله بخشوع وخضوع وقلبٍ حاضر، ويطمئن في قيامه وركوعه وسجوده، ولا يسرع، ولا يعبث، ولا يرفع بصره إلى السماء، ولا يتكلم بغير القرآن وأذكار الصلاة، كلُّ شيء في موضعه[1]؛ لأن الله تعالى أمر بالصلاة لذكره.

وفي يوم الجمعة يصلي المسلمون صلاة الجمعة ركعتين، يجهر الإمام فيهما بالقراءة مثل صلاة الفجر، ويخطب قبلها خطبتين يُذكِّر فيهما المسلمين، ويعلِّمهم أمور دينهم، ويجب على الرجال حضورها مع الإمام، وهي صلاةُ ظُهرِ يوم الجمعة.

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «إلا إذا أراد أن ينبِّه أحدًا أو يَرُدَّ عليه، فإنه يقول: «سبحان الله»، يقولها المأموم للإمام إذا أخطأ في فعل أو زاد أو نقص؛ لكي ينتبه، ويقولها المصلي لمن يناديه مثلًا، والمرأة تنبِّه بالتصفيق، ولا تتكلَّم؛ لأن صوتها فتنة».

التَّعليق

بنى المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام على أركان الإسلام الخمسة كما ورد في الحديث: «**بُني الإسلام على خمس**»[١]، فذكر ما يتعلق بالشهادتين، ثم الصلاة، وذكر حكمها، وفرضها: خمس صلوات في كل يوم وليلة، وفي هذا الفصل قصد إلى ذكر صفة الصلاة، وصفتها مأخوذة من فعل النبي ﷺ وقوله، وقد صلى وعلَّم الناس الصلاة ووفد إليه بعض الناس وصلوا معه، فلما أرادوا أن ينصرفوا قال: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**»، كما في حديث مالك بن الحُوَيْرِث[٢].

وقد بيَّن الشيخ ما يُشرع، وأنَّ الصلوات خمسٌ، وأنَّ صلاة الفجر ركعتان، والظهر والعصر أربع ركعات وكذلك العشاء، وأنَّ المغرب ثلاث ركعات، وبيَّن ما يُشرع من الأذكار في الركوع والسجود، فتضمن كلامه صفة الصلوات الخمس، فمَن صلى على هذه الصفة كما جاءت عن النبي ﷺ فقد أقام الصلاة، والله تعالى يقول: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، وإقامة الصلاة: هو أداؤها على الوجه المشروع الذي بيَّنه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالرسول قال في الصلاة: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، كما قال في الحج: «**خذوا عني مناسككم**»[٣]، وقال سبحانه:

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه، وهو بهذا اللفظ عند البيهقي (٩٦٠٠).

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، فالرسول بيَّن أفعال وأقوال الصلاة بقوله وفعله، بفعله: كما في حديث مالك بن الحويرث، وبقوله: كما علَّم المسيء الذي صلى وأساء في صلاته؛ فقال له الرسول: «**إذا قمت إلى الصلاة، فكبر ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، وافعل ذلك في صلاتك كلها**»[(١)].

والصلاة أقوال وأفعال، منها ما هو سنن، ومنها ما هو واجبات، ومنها ما هو أركان، وقد بيَّن العلماء تفصيل أحكام هذه الأقوال والأفعال؛ فما تُرك من السنن فإنه لا تبطل به الصلاة، وما تُرك من الواجبات سهوًا يُجبر بسجود السهو، وما تُرك عمدًا فإنه تبطل به الصلاة، أمَّا الأركان فتبطل الصلاة بترك شيء منها سواء كان الترك سهوًا أو عمدًا، هذا ما فصَّله العلماء أخذًا من مجموع الأدلة[(٢)]، فالركوع والسجود من أركان الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ [الحج:٧٧]، وقراءة الفاتحة ركن؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[(٣)]، أمَّا الاستفتاح فإنه سنة، فلو صلى الإنسان ولم يقرأ الاستفتاح فصلاته صحيحة ولو تركه متعمدًا[(٤)]، لكن ينبغي للمسلم أن يجتهد في

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧) -واللفظ له-، ومسلم (٣٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: كشَّاف القناع (٢/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن عُبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: المجموع شرح المهذَّب (٣/ ٢٧١)، والمغني (٢/ ١٤١).

إقامة صلاته بفعل السنن والواجبات والأركان، فكلما حافظ المسلم على آداب الصلاة وأركانها وواجباتها ومستحباتها؛ كانت أكمل، وأجره فيها أعظم.

ومما نبَّه عليه الشيخ من أحكام الصلاة، وفصل فيه: الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، والطهارة من الخبث، وهو النجاسة، ويدخل في الطهارة من النجاسة الاستنجاء بعد البول والغائط، وكذلك ذكر الشيخ صفة الوضوء وصفة الصلاة، وابتدأ الكلام في أحكام الصلاة باشتراط الطهارة للصلاة؛ أي: إن الصلاة لا تصح إلا من مُتَطَهِّر لقوله ﷺ: «**لا يَقبل اللهُ صلاةً بغير طهور**»[1]، كما نبَّه الشيخ على نواقض الوضوء، وهي مبطلاته، وذكر منها الخارج من السبيلين؛ أي: القبل والدبر، ومنها زوال العقل بنوم أو سُكْر أو إغماء، وأعرض الشيخ عن بقية النواقض[2]، وكذلك نبَّه الشيخ على أن صفة الصلاة وصفة الوضوء كان ببيانه ﷺ وتعليمه بالفعل، ولهذا قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، كما نبَّه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن أقوال الصلاة وأفعالها على مراتب: أركان وواجبات وسنن، فمَن ترك ركنًا لم تصح صلاته، ومَن ترك واجبًا سهوًا يجبره سجود السهو، ومَن ترك سنَّةً فلا شيء عليه، وصلاتُه صحيحة، ونبَّه

(١) أخرجه أحمد (٥١٢٣)، والترمذي (١)، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه، وأخرجه بهذا اللفظ: النسائي (١٣٩) عن أبي المليح عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه (٢٧٣)، (٢٧٤) عن أنس وأبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه ابن خزيمة (٨)، وابن حبان (١٧٠٥). وينظر: إرواء الغليل (١٢٠).

(٢) ينظر: المغني (١/ ٢٣٠) وما بعدها.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ على وجوب صلاة الجماعة على الرجال[١]، وجواز حضورها للنساء في المساجد بشرط اجتنابهن دواعي الفتنة، ونبَّه الشيخ على حكم الحائض والنفساء في الطهارة والصلاة، ومن ذلك أن عليهما الغسل إذا طهرتا، ولا تجب عليهما الصلاة مدَّةَ الحيض والنفاس، ولا يجب عليهما قضاءُ الصلاة، لكن يجب عليهما قضاء ما فاتهما من الصلاة في غير مدة الحيض والنفاس؛ هذا ما تيسَّر التنبيه عليه، والله أعلم.

فائدة في معاني أذكار الصلاة:

- تكبيرةُ الإحرام: «الله أكبر» أي: الله تعالى أكبر مِن كلّ شيء.

- دعاء الاستفتاح: «**سبحانكَ اللهمّ**»: تنزيه الله عن جميع النقائص، «**وبحمدك**»: إثبات الكمال لله مع المحبّة والتعظيم، «**تبارك اسمك**»: تقدّس اسمك، «**تعالى جدك**»: جلّت عظمتك وسلطانك[٢]، «**لا إله غيرك**»: لا معبود بحق إلا أنت.

- ذكر الرّكوع: «**سبحان ربّي العظيم**»: تنزيه الله عن جميع النقائص، «**العظيم**»: في ذاته وصفاته.

- الرّفع مِن الرّكوع: «**سمع الله لِمَن حمده**»: استجابَ الَله دعاء مَن حمده[٣]، «**ربّنا لك الحمد**» معناه: لكَ المدح والثناء كلّه.

---

(١) ينظر: المغني (٣/ ٥)، وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٢٠٧).
(٢) ينظر: النهاية (١/ ٢٤٤).
(٣) ينظر: النهاية (٢/ ٤٠١).

- ذكر السّجود: «**سبحان ربّي الأعلى**»: تنزيه الله عن جميع النّقائص، «**الأعلى**»: مِن كلّ شيء عال.

- دعاءُ الجلسة بين السّجدتين: «**ربي اغفر لي**»: طلب المغفرة مِن الله، فهو نوع من الاستغفار.

- التّسليم: «**السّلام عليكم ورحمة الله**»: دعاء للملائكة، ودعاء للمصلّين -إن كان التّسليم من إمام ومعه جماعة- بالسّلامة والرّحمة.

- دعاء التّشهد: «**التّحيات لله**»: التّعظيم كلّه لله، «**الصّلوات**» أي: الصّلوات كلّها؛ فرضها ونفلها لله، «**الطّيبات لله**» أي: الطّيبات كلّها لله مِن الصّفات والأفعال، وله الطّيبات مِن أعمال العباد وأقوالهم(١)، وفي الحديث: «**إنّ اللهَ طيّبٌ لا يقبلُ إلا طيّبًا**»(٢)، «**السّلام عليكَ أيّها النّبي ورحمة الله وبركاته**»: دعاء للنّبي بالسّلامة، والرّحمة، والبركة، وكلّها مِن الله تعالى، «**السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين**»: هذا دعاء مِن العبد لنفسه بالسّلامة، والحفظ، ولعباد الله الصّالحين في السّماء والأرض، «**أشهدُ أن لا إله إلا الله**» معناه: أقرُّ وأنا موقنٌ بأنّه لا معبود بحق إلا الله، «**أشهدُ أنّ محمّدًا عبده ورسوله**» معناه: أقرُّ موقنًا بأنّ محمّدًا عبد الله ورسوله إلى جميع الناس.

---

(١) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص١٠٠).
(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**اللهمّ صلِّ على محمّد**» معناه: يا الله صلِّ على محمّد، ومعنى الصّلاة مِن الله: الثّناء؛ المعنى: أثنِ على عبدِكِ ورسولِكِ محمّدٍ عند الملائكة[١]، «**وعلى آل محمّد**» يعني: وصلِّ على آلِ محمّدٍ، وآلُ محمّدٍ: هم أزواجُه، وذريته، وأقاربه، وأتباعه[٢]، «**كما صلّيتَ على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم**» أي: مثلما صلّيتَ على نبي الله إبراهيم الخليل وعلى آله.

«**إنّك حميدٌ مجيدٌ**»: الحميد والمجيد اسمان مِن أسماء الله، ومعنى «**حميد**»: أي محمود[٣]، «**ومجيد**»: مِن المجد، وهو الرّفعة والكمال[٤].

«**وبارك على محمّد وعلى آل محمّد**»: اجعل البركة على محمّد وأتباع محمّد، «**كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**»: أي مثلما جعلتَ البركة على إبراهيم، وعلى أتباع إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيدٌ.



---

(١) قاله أبو العالية بنحوه، نقله عنه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، عند حديث (٤٧٩٧).

(٢) ينظر الخلاف في: جِلاء الأفهام (ص٢٣١) وما بعدها.

(٣) ينظر: جِلاء الأفهام (ص٣٦٥).

(٤) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجّاج (ص٥٣).

وقد أمر الله كل مسلم يملك مالًا يبلغ النصاب أن يُخرج زكاة ماله كل عام، فيعطيها لمستحقيها من الفقراء وغيرهم ممن يجوز دفع الزكاة لهم، كما هو مبيَّن في القرآن.

ونصاب الذهب عشرون مثقالًا، ونصاب الفضة مئتا درهم أو ما يعادل ذلك من عملة الورق، وعروض التجارة: وهي البضائع بأنواعها إذا بلغت قيمتها نصابًا وجب على مالكها أن يخرج زكاتها إذا مضى عليها سنة، ونصاب الحبوب والثمار ثلاث مئة صاع.

والعقار المعَدُّ للبيع تُزكى قيمته، والمعَدُّ للأجرة فقط تُزكى أجرته، ومقدار الزكاة في الذهب والفضة وعروض التجارة ربع العشر ٢,٥٪ في كل عام، وفي الحبوب والثمار ١٠٪ فيما سُقي بدون مشقة كالذي يُسقى بماء الأنهار أو العيون الجارية أو الأمطار، ونصف العشر ٥٪ فيما سُقي بمشقة كالذي يُسقى بالروافع.

ووقت إخراج زكاة الحبوب والثمار حصادها، فلو حصدها في السنة مرتين أو ثلاثًا لوجب عليه أن يزكيها كل مرة.

وفي الإبل والبقر والغنم زكاة مبيَّنة مقاديرها في كتب أحكام الإسلام فلتراجع، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة]، وفي إخراج الزكاة تطييب لنفوس الفقراء وسد لحاجتهم، وتقوية لروابط المحبة بينهم وبين الأغنياء.

ولم يقف الدين الإسلامي في مسألة التكافل[١] الاجتماعي والتعاون المالي بين المسلمين عند حدِّ الزكاة؛ بل أوجب الله على الأغنياء إعالة الفقراء في حالة المجاعة، وحرَّم على المسلم أن يشبع وجاره جائع، وأوجب على المسلم زكاة الفطر[٢]، يخرجها يوم عيد الفطر، وهي صاع من الطعام المأكول في البلد عن كل نفس حتى الطفل والخادم يخرج عنه وليه، وأوجب الله على المسلم أن يدفع كفارة اليمين[٣] إذا حلف أن يفعل شيئًا فلم يفعله.

وأوجب الله على المسلم أن يفي بالنذر المشروع، وحثَّ الله المسلم على صدقة التطوع، ووعد المنفقين في سبيله في أوجه البر بأفضل الجزاء، ووعدهم بأن يضاعف لهم الأجر أضعافًا كثيرة، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة.



(١) في الأصل: «التكالف»، وقال شيخنا: «هذا تصحيف، والصواب: «التكافل»».
(٢) لما جاء في البخاري (١٥٠٣) -واللفظ له-، ومسلم (٩٨٤) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر؛ صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، على العبد والحرِّ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة».
(٣) قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الحاشية: «كفارة اليمين يخيَّر بين عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كِسْوَتهم، فإن لم يجد فليصم ثلاثة أيام».

التَّعْلِيقُ

الـزكاة قرينة الصـلاة في الكتاب والسـنة، قـال اللـه تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، وقـال ﷺ: «**بُني الإسـلام على خمس...**» وفيه: «**...إقام الصلاة وإيتاء الزكاة...**»[١]؛ فهي أحد فرائض الإسـلام، وهي حق المال: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ٢٤﴾ [المعارج]. وجاحد وجوبها كافر، والممتنع من أدائها عاصٍ.

قوله: (ونصاب الحبـوب والثمار ثلاث مئة صـاع): يعني كما جاء في الحديث: «**ليس فيما دون خمس أوسـق صدقة**»[٢] معناه أنها تجب الصدقة فيما بلغ خمسة أوسق، ولا تجب فيما دونها، وقـدَّر العلماء أنَّ الوسـق ستون صاعًا[٣]، فضرب ستين في خمسـة تبلغ ثلاث مئة، فقالوا: إنَّ نصاب الحبوب والثمار ثلاث مئة صاع.

قوله: (ومقدار الزكاة في الذهب والفضة وعروض التجارة ربع العشـر ٢,٥٪ في كل عام): بإجماع أهل العلم كما جاء في السنة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٥) -واللفظ له-، ومسـلم (٩٧٩) عن أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: المغني (٤/ ١٦٧).

(٤) لما روى البخاري (١٤٥٤) في كتـاب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وفي الرِّقَةِ رُبُعُ العشـر». وينظر: المغني (٤/ ٢٠٨).

قوله: (وفي الحبوب والثمار ١٠٪ فيما سُقي بدون مشقة كالذي يُسقى بماء الأنهار أو العيون الجارية أو الأمطار، ونصف العشر ٥٪ فيما سُقي بمشقة كالذي يُسقى بالروافع): لقوله ﷺ في حديث ابن عمر: «**فيما سَقَت السماء والعيون أو كان عَثَرِيًّا**[١] **العشر وما سُقي بالنضح نصف العشر**»[٢].

قوله: (ووقت إخراج زكاة الحبوب والثمار حصادها، فلو حصدها في السنة مرتين أو ثلاثًا لوجب عليه أن يزكيها كل مرة): لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]، والصواب: أن الحصاد وقت للوجوب، ثم يجب الإخراج بعد التصفية والجفاف[٣].

قوله: (وفي الإبل والبقر والغنم زكاة مبينة مقاديرها في كتب أحكام الإسلام فلتراجع): يريد كتب الفقه المؤلفة في الأحكام: منها المطولة؛ كـ «المغني»[٤] في مذهب الإمام أحمد، و«المجموع»[٥] في مذهب الشافعي، ومنها المختصرة؛ كـ «الزاد» في مذهب الإمام أحمد،

---

(١) هو من النخيل الذي يشرب بعروقه؛ كأن يُغرس في أرض يكون الماء قريبًا من وجهها، فيصل إليه عروق الشجر فيستغني عن السقي. ينظر: النهاية (٣/ ١٨٢)، وفتح الباري (٣/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٣) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، ولمسلم (٩٨١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا نحوه. وينظر: المغني (٤/ ١٦٤).

(٣) ينظر: المغني (٤/ ١٦٩)، (٤/ ١٧٩)، (٤/ ٢٠٧).

(٤) ينظر: المغني (٤/ ١٣)، (٤/ ٣٠)، (٤/ ٣٨) وما بعدها.

(٥) ينظر: المجموع شرح المهذَّب (٥/ ٣٤٧)، (٥/ ٣٨٣)، (٥/ ٣٨٥).

و«المنهاج» في مذهب الشافعي، وكذلك هي مفصلة في كتب الحديث؛ كـ «المنتقى» للمجد ابن تيمية، و«بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر.

قوله: (الدين الإسلامي): في هذا التعبير نظر؛ فلا يُعرف في كلام السلف، فالدين هو الإسلام، فلا ينسب الشيء إلى نفسه، والصواب أن يُقال: «دين الإسلام».

قوله: (بل أوجب الله على الأغنياء إعالة الفقراء في حالة المجاعة، وحرَّم على المسلم أن يشبع وجاره جائع...) إلى آخره: هذه كلها شواهد على أنَّ الله أوجب في المال نفقات غير الزكاة، وهذا معنى قول الشيخ: إنه لم يقف الإسلام في شأن التكافل الاجتماعي والتعاون المالي بين المسلمين عند حد الزكاة؛ بل أوجب نفقات مختلفة بأسباب وبغير أسباب.

قوله: (وحث الله المسلم على صدقة التطوع، ووعد المنفقين في سبيله في أوجه البر بأفضل الجزاء، ووعدهم بأن يضاعف لهم الأجر أضعافًا كثيرة، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة): قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ...﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية، وفي هذه الآية ترغيبٌ في الإنفاق في سبيل الله مِن جهادٍ وغيره بمضاعفة النفقة إلى سبع مئة ضِعْفٍ، وتشبيهُ ذلك بالحبَّة مِن الزرع تُزرَع في الأرض

فيَنبتُ منها سبعُ سنابلَ في كلِّ سُنبلة مئة حَبَّة، ولا ينتهي التضعيف عند هذا القَدْرِ، بل الله يضاعف لمن يشاء أضعافًا كثيرةً بلا حَدٍّ ولا عَدٍّ.



صيام شهر رمضان، وهو الشهر التاسع من أشهر السنة الهجرية.

وصفة الصيام: ينوي المسلم الصيام قبل أن يتبين الصبح، ثم يمسك عن الأكل والشرب والجماع (الاتصال الجنسي) حتى تغيب الشمس، ثم يفطر، يفعل ذلك مدة أيام شهر رمضان، يريد بذلك رضا الله تعالى وعبادته.

وفي الصوم من المنافع ما لا يحصى، فأهم منافعه:

١. أنه عبادة لله وامتثال لأمره، يترك العبد شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله، فهو من أعظم أسباب تقوى الله تعالى.

٢. وأما منافع الصيام الصحية والاقتصادية والاجتماعية فكثيرة جدًّا، لا يدركها إلا الصائمون عن عقيدة وإيمان، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ إلى قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ

بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة].

ومن أحكام الصيام التي بينها الله تعالى في القرآن، وبينها رسوله محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **في الأحاديث:**

١. أنَّ المريض والمسافر يفطران ويقضيان الأيام التي أفطراها من أيام أُخَر بعد رمضان.

٢. وكذا الحائض والنفساء لا يصح صومهما؛ بل تفطران أيام الحيض والنفاس، وتقضيان الأيام التي أفطرتاها.

٣. وكذا الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما فإنهما تفطران وتقضيان.

ولو أكل الصائم أو شرب ناسيًا ثم ذكر فإنَّ صيامه صحيح(١)**، لأنَّ النسيان والخطأ والإكراه قد عفا الله عنه لأمة محمد** ﷺ**، ويجب أن يُخرِج ما في فمه.**



(١) لما أخرجه البخاري (١٩٣٣) -واللفظ له-، ومسلم (١١٥٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إذا نسي فأكل وشرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**». وينظر: المغني (٤/ ٣٦٧).

التعليق

الصيام لغة: الإمساك مطلقًا؛ فيدخل فيه: الإمساك عن الكلام، ومنه قوله تعالى عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم][1].

والصيام في الشرع: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات بنية التعبد لله، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[2]؛ كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قوله: (أنه عبادة لله وامتثال لأمره، يترك العبد شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله، فهو من أعظم أسباب تقوى الله تعالى): ولهذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾: بيانٌ للحكمة من فرض الصيام؛ أي: لتتقوا اللهَ بفعل ما فَرض عليكم من الصيام وغيره، ولأنَّ الصومَ مما يُعين على التقوى، وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «**يدع طعامه وشرابه من أجلي**»[3]، فهو من التقوى ويعين على التقوى.

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٣٥٠).
(٢) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص١٨٢).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١) بنحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو بهذا اللفظ عند أحمد (١٠١٧٥).

وقولـه: (فإنهمـا تفطـران وتقضيـان) مـع قولـه: (أو ولديهمـا): مـا ذكـره الشـيخ فـي شـأن الحامـل والمرضـع أنـه ليـس عليهمـا إلا القضـاء هو القول الراجح[١].

قوله: (فإنَّ صيامـه صحيح)[٢]: لقوله ﷺ: «مَن نسـي وهو صائم فأكل أو شرب فليُتمَّ صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»[٣].



وهو حـج بيت اللـه الحرام مرة فـي العمر، ومـا زاد فهو تطـوُّع، وفي الحج من المنافع ما لا يُحصى:

فأولها: أنه عبادة لله تعالى بالروح والجسم والمال.

وثانيهـا: أنَّ فيه اجتمـاع المسـلمين من كل مـكان، يلتقـون في مكان واحد، ويلبسـون زيًّا واحـدًا، ويعبدون ربًّـا واحدًا في وقـت واحد، لا فرق بين رئيس ومـرؤوس، وغني وفقيـر، وأبيض وأسـود، الكل خلْق الله وعبـاده، فيحصل للمسـلمين التعـارف والتعـاون، ويتذكرون يوم يبعثهم الله جميعًا ويحشـرهم في صعيد واحد للحسـاب، فيسـتعدون لما بعد الموت بطاعة الله تعالى.

(١) ينظر الخلاف في: المجموع شرح المهذَّب (٦/ ٢٧٢)، والمغني (٤/ ٣٩٣).
(٢) ينظر: المغني (٤/ ٣٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥) -واللفظ له- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والقصد من الطواف حول الكعبة (قبلة المسلمين) التي أمرهم الله بالتوجه إليها في كل صلاة أينما كانوا، والقصد من الوقوف بالأماكن الأخرى في مكة في أوقاتها المحددة لها، وهي: عرفات ومزدلفة والإقامة بمنى؛ القصد من ذلك هو عبادة الله تعالى في تلك الأماكن المقدَّسة على الهيئة التي أمر الله بها.

أما الكعبة نفسها وتلك الأماكن وجميع المخلوقات فإنها لا تُعبد، ولا تنفع ولا تضر وإنما العبادة لله وحده، والنافع الضار هو الله وحده، ولو لم يأمر الله بحج البيت لما صح للمسلم أن يحج، لأنَّ العبادة لا تكون بالرأي والهوى، وإنما بموجب أمر الله تعالى في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران][1].

والعمرة واجبة على المسلم مرة في العمر سواء مع الحج أو في أي وقت، وزيارة مسجد النبي ﷺ في المدينة ليست واجبة مع الحج ولا في أي وقت، وإنما هي مستحبة يثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها، وأما

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «وأما حج الجهال إلى قبور الأولياء والمشاهد فإنه ضلال ومخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، قال الرسول ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»».

حديث: «مَن حج فلم يزرني فقد جفاني»[(١)] فليس بصحيح؛ بل هو مكذوب على رسول الله ﷺ[(٢)].

والزيارة التي يسافر من أجلها تشرع للمسجد، فإذا وصل إليه الزائر وصلى فيه التحية، شُرع له حينئذ زيارة قبر النبي ﷺ، ويسلم عليه قائلًا: «السلام عليك يا رسول الله» بأدب وخفض صوت، ولا يطلب منه شيئًا؛ بل يسلِّم وينصرف، كما أمر أمته بذلك، وكما هو فِعل الصحابة رضوان الله عليهم.

أما الذين يقفون عند قبر النبي ﷺ بخشوع كحال وقوفهم في الصلاة، ويطلبون منه حوائجهم، أو يستغيثون به، أو يتوسطون به عند الله؛ فهؤلاء مشركون بالله تعالى، والنبي بريء منهم، فليحذر كلُّ مسلم أن يفعل ذلك مع النبي ﷺ أو مع غيره.

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٨/ ٢٤٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (١١٦٨) وحكم عليه بالوضع جماعة من العلماء منهم: الصاغاني في الموضوعات (٥٢)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٥). وينظر: الصارم المُنْكي (ص٨٧)، والضعيفة (٤٥).

(٢) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «ومثله حديث: «توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عريض»، وحديث: «مَن حسن ظنه في حجر نفعه»، فإنها جميعها أحاديث موضوعة لا صحة لها، ولا توجد في شيء من كتب الحديث المعتبرة، وإنما توجد هي وأشباهها في كتب المضلِّلين الذين يدعون إلى الشرك والبدع من حيث لا يشعرون».

ثم يزور قبرَي صاحبيه (أبي بكر وعمر) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم يزور أهل البقيع والشهداء الزيارة الشرعية لأهل القبور المسلمين، وهي التي يُسلِّم فيها الزائر على الأموات، ويدعو الله لهم ويتذكر الموت وينصرف.

وهذه صفة الحج والعمرة: يختار الحاج أولًا النفقة الطيبة الحلال، ويتجنب المسلم المكاسب المحرمة؛ لأنَّ النفقة الحرام سبب لرد حجِّ صاحبها ودعائه، وقد جاء في حديث الرسول ﷺ: «كل لحم نبت من سُحت فالنار أولى به»[1] ويختار الرفقة الصالحة أهل التوحيد والإيمان.

المواقيت:

فإذا وصل إلى الميقات أحرم منه إن كان في سيارة ونحوها، وإن كان في الطائرة أحرم إذا قَرُب منه قبل أن يتجاوزه.

والمواقيت التي أمر النبي ﷺ الناس أن يُحْرِموا منها خمسة، وهي:

١. ذو الحليفة (أبيار علي) لأهل المدينة.

٢. الجحفة (قرب رابغ) وهو لأهل الشام ومصر والمغرب.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٦١)، والصغير (٦٢٥) واللفظ له، وأخرجه الترمذي (٦١٤) بنحوه عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى. وأيوب بن عائذ يُضعَّف ويقال: كان يرى رأي الإرجاء. وسألت محمدًا (البخاري) عن هذا الحديث، فلم يعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى واستغربه جدًا.»
وأخرجه أحمد (١٤٤٤١) بنحوه، وصححه ابن حبان (١٧٢٣)، والحاكم (٨٣٠٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وينظر: الصحيحة (٢٦٠٩).

٣. قرن المنازل (السيل أو وادي محرم) لأهل نجد والطائف ومَن في جهتهم.

٤. ذات عِرق (لأهل العراق).

٥. يَلَمْلَمْ لأهل اليمن.

ومَن مرَّ على هذه المواقيت من غير أهلها فهي ميقات له يُحرم منها، وأهل مكة والذين منازلهم دون المواقيت يُحرمون من منازلهم.

وصفة الإحرام: يستحب أن يتنظف ويتطهر ويتطيب قبل الإحرام، ثم يلبس لباس الإحرام في الميقات، وراكب الطائرة يتهيأ في بلده ثم يعقد النية، ويلبّي إذا قرب من الميقات أو حاذاه، ولباس الإحرام بالنسبة للرجل إزار ورداء غير مَخيطين يلفُّهما على جسده، ولا يغطي رأسه، أما المرأة فليس لإحرامها لباس مُعيَّن، وإنما يجب عليها دائمًا أن تلبس الثياب الواسعة الساترة التي لا فتنة فيها في أي حال يراها الناس، ولا تلبس إذا أحرمت مَخيطًا على وجهها ويديها كالبرقع والقفازين، وإنما تغطي وجهها إذا رأت الرجال بطرف خمارها الذي على رأسها، كما هو فعل أمهات المؤمنين ونساء أصحاب الرسول ﷺ[١].

(١) أخرج أحمد (٢٤٠٢١)، وأبو داود (١٨٣٣) -واللفظ له-، وابن ماجه (٢٩٣٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ مُحرِمات، فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه». وقال ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٤٠٦) «في إسناده ضعف». وينظر: نصب الراية (٣/ ٩٣)، وإرواء الغليل (١٠٢٣)، (١٠٢٤).

ثم بعدما يلبس الحاج لباس الإحرام ينوي في قلبه العمرة، ثم يلبّي بها قائلًا: «اللهم لبيك عمرة»، ويتمتع بها إلى الحج، والتمتع هو الأفضل لأنَّ الرسول ﷺ أمر به أصحابه وألزمهم به، وغضب على مَن تردد في تنفيذ أمره، إلا الذي معه هدي[1] فإنه يبقى قارنًا كفعله ﷺ، والقارن: هو الذي يقول في تلبيته: «اللهم لبيك عمرة وحجًّا»، ولا يُحل إحرامه حتى ينحر هديه يوم عيد النحر، والمفرد ينوي الحج فقط ويقول: «اللهم لبيك حجًّا».

الأمور المحرَّمة على المُحْرِم:

وإذا عقد المسلم النية بالإحرام حرُم عليه:

١. الجماع ودواعيه كالقبلة واللمس بشهوة، والكلام بذلك، وخِطبة المرأة، وعقد النكاح، فالمُحْرِم لا يتزوَّج ولا يُزوِّج.

٢. حلق الشعر أو أخذ شيء منه.

٣. تقليم الأظافر.

٤. تغطية رأس الرجل بملاصق، أمَّا الاستظلال بالشمسية والخيمة والسيارة فلا مانع.

٥. التطيُّب وشم الطيب.

٦. صيد البرِّ فلا يصيده ولا يدل عليه.

(١) أخرجه مسلم (١٢١١-١٣٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٧. لبس الرجل الشيء المخيط، ولبس المرأة لشيء مَخيط على وجهها ويديها، ويلبس الرجل النعلين، فإن لم يجد يلبس الخفين، ولو فعل شيئًا من هذه المحظورات جاهلًا أو ناسيًا أزاله ولا شيء عليه.

فإذا وصل المحرم إلى الكعبة طاف بها طواف القدوم سبعة أشواط، يبدأ من محاذاة الحجر الأسود (المحب)، وهذا هو طواف عمرته، وليس للطواف دعاء مخصوص؛ بل يذكر الله ويدعو بما تيسَّر له[١] ثم يصلي ركعتي الطواف خلف المقام إن تيسَّر وإلا في أي مكان من الحرم، ثم يخرج إلى المسعى فيبدأ بالصفا ويرقى عليه، ويتوجه إلى القبلة، ويكبِّر ويهلل ويدعو، ثم يسعى إلى المروة ويرقى عليها، ويتوجه إلى القبلة ويكبِّر، ويذكر الله ويدعو، ثم يعود إلى الصفا حتى يكمل سبعة أشواط، ذهابه شوطٌ ورجوعه شوطٌ، ثم يقصِّر شعر رأسه، والمرأة تأخذ من أطراف شعرها بقدر طرف الأصبع، وبهذا انتهى المتمتع من عمرته وحلّ إحرامه، وحلّ له كل شيء حرُم عليه بالإحرام.

ولو حاضت المرأة أو ولدت قبل الإحرام أو بعده فإنها تصير قارنة، تلبّي بعمرة وحجٍ بعدما تحرم كغيرها من الحُجَّاج؛ لأنَّ الحيض والنفاس لا يمنعان الإحرام، ولا الوقوف بالمشاعر، إنما يمنعان الطواف بالبيت فقط، فتعمل كل ما يفعله الحُجَّاج إلا الطواف، فإنها

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «إلا بين الركنين فإنه يقول ما ورد: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»».

تؤخره حتى تطهر، فإن طهرت قبل إحرام الناس بالحج وخروجهم إلى منى فإنها تغتسل وتطوف وتسعى، وتقصر شعرها، وتَحُل إحرام عمرتها، ثم تحرم مع الناس بالحج إذا أحرموا في اليوم الثامن، وإن أحرم الناس بالحج قبل أن تطهر، فإنها تصير قارنة، تلبّي معهم وهي على إحرامها، وتفعل كل ما يفعله الحجاج من الخروج إلى منى، والوقوف بعرفات ومزدلفة، والرمي والنحر والتقصير من رأسها يوم عيد النحر، فإذا طهرت اغتسلت وطافت طواف الحج، وسعت سعي الحج.

وهذا الطواف والسعي كافيان لحجها وعمرتها، كما حصل ذلك لعائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأخبرها النبي ﷺ أنَّ طوافها وسعيها بعد الطهر يكفيانها لحجها وعمرتها لمَّا طافت مع الناس طواف الإفاضة وسَعت[١]، لأنَّ القارن بين العمرة والحج كالمفرد ليس عليه إلا طواف واحد[٢] وسعي واحد، لتصريح الرسول ﷺ لها بذلك، ولفعله[٣]، ولقوله في الحديث الآخر: «دخلَت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»[٤]، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (١٥٥٦)، (٤٣٩٥)، ومسلم (١٢١١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الحاشية: «يطوفه يوم العيد أو بعده، أما طوافه الأول قبل الحج المسمى طواف القدوم فإنه نافلة، وأما السعي فهو واحد للمفرد والقارن إن قدَّمه مع طواف القدوم كفى، وإن لم يسعَ سعى مع طواف الإفاضة يوم العيد أو بعده».

(٣) أخرجه مسلم (١٢١١-١١١).

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨-١٤٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فإذا جاء اليوم الثامن من شهر ذي الحجة أحرم الحجاج من منازلهم بمكة بالحج، مثلما أحرموا من الميقات يتنظفون، ثم يلبسون لباس الإحرام، ثم ينوي الحاج -رجلًا أو امرأة- الحج، ثم يلبّي به قائلًا: «اللهم لبيك حجًّا»، ويجتنب محظورات الإحرام المتقدمة حتى يرجع من مزدلفة إلى منى في يوم النحر، ويرمي جمرة العقبة، ويحلق الرجل رأسه والمرأة تقصره.

فإذا أحرم الحاج في اليوم الثامن خرج مع الحجاج إلى منى، وبات فيها وصلى فيها كل صلاة في وقتها قصرًا بدون جمع، فإذا طلعت شمس يوم عرفة توجه مع الحجاج إلى نمرة، وجلس بها حتى يصلي مع الإمام أو في المكان الذي هو فيه جماعة الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، ثم يتوجه بعد الزوال إلى عرفة، فإن توجه من منى إلى عرفة رأسًا وجلس بها جاز، وعرفة كلها موقف.

ويُكثر الحاج في عرفة من ذكر الله تعالى والدعاء والاستغفار، ويتوجه إلى القبلة لا إلى الجبل؛ لأنَّ الجبل ما هو إلا جزء من عرفات لا يصح صعوده تعبُّدًا، ولا يجوز التمسح بأحجاره، فإنَّ هذا بدعة محرمة.

ولا ينصرف الحاج من عرفة حتى تغيب الشمس، ثم بعد مغيب الشمس ينصرف الحجاج إلى مزدلفة، فإذا وصلوا إليها صلوا فيها المغرب والعشاء جمع تأخير وقصَّروا العشاء، وباتوا بها، فإذا طلع الفجر صلوا الفجر وذكروا الله، ثم توجهوا إلى منى قبل طلوع

الشمس، فإذا وصلوا إلى منى رموا جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بسبع حصيات تشبه الحمص لا كبيرة ولا صغيرة، ولا يجوز رميها بالنعال، لأنَّ هذا تلاعب يزينه الشيطان، وإرغام الشيطان في اتباع أمر الرسول ﷺ وهديه، وترك ما نهى الله عنه ورسوله.

ثم بعد الرمي ينحر الحاج هديه، ثم يحلق رأسه، والمرأة تقصِّره، وإن قصَّر الرجل جاز، لكنَّ الحلق أفضل ثلاث مرات، ثم يلبس ثيابه وقد حل له كل شيء حرم عليه بالإحرام إلا النساء، ثم يفيض إلى مكة ويطوف طواف الحج ويسعى، وبهذا قد حل له كل شيء حتى الزوجة، ثم يرجع إلى منى فيقيم بها باقي يوم العيد ويومين بعده مع ليلتيهما يبيت في منى وجوبًا، ويرمي الجمار الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر بعد زوال الشمس، يبدأ بالصغرى التي تلي منى، ثم الوسطى، ثم جمرة العقبة التي رماها يوم العيد، كل واحدة يرميها بسبع حصيات، يكبِّر مع كل حصاة، وحصى الجمار يأخذه من منزله في منى، ومَن لم يجد مكانًا في منى نزل حيث تنتهي الخيام.

فإذا أراد الانصراف من منى بعدما يرمي في اليوم الثاني عشر فله ذلك، وإن تأخر إلى اليوم الثالث عشر، فهو أفضل، ويرمي بعد الزوال، فإذا أراد السفر طاف طواف الوداع بالبيت، ثم سافر بعده مباشرة، والمرأة الحائض والنفساء إذا كانت قد طافت طواف الحج وسعت ليس عليها طواف وَدَاعٍ.

ولو أخَّر الحاج ذبح الهدي إلى اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر أو الثالث عشر جاز له ذلك، ولو أخر طواف الحج والسعي حتى ينزل من منى جاز له ذلك، ولكن الأفضل ما تقدَّم بيانه، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.



التَّعليق

الحج إلى بيت الله الحرام: أحد فروض الإسلام ومبانيه العظام، وهو الخامس منها في قوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»[١]؛ والحج لغة: القصد إلى معظَّم[٢]، وفي الشرع: القصد إلى البيت الحرام والمشاعر حوله، وفِعل المناسك من الإحرام في الميقات إلى طواف الوداع[٣].

وقد دل على فرض الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، ومن السنَّة: قوله ﷺ: «**يا أيها الناس، قد فُرِضَ عليكم الحجُّ، فَحُجُّوا**» فقال رجل: أفي كل عامٍ يا رسول الله؟ فسكتَ حتى قالها ثلاثًا... ثم قال: «**ذروني ما تركتُكم، ولو قلت: نَعم؛ لوَجَبتْ، ولَمَا استطعتُم**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) ينظر: العين للخليل بن أحمد (٣/ ٩).
(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص٨٢).
(٤) أخرجه مسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي لله عنه بنحوه.

قوله: (ويتذكرون يوم يبعثهم الله جميعًا ويحشرهم في صعيد واحد للحساب، فيستعدون لما بعد الموت بطاعة الله تعالى): يشهد لهذا قوله تعالى في آخر آيات الحج في سورة البقرة: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة]، فذكّر بأمر الحشر في يوم القيامة في ختام آيات الحج، وهذا شاهد لهذا الاستنباط الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (أما الكعبة نفسها وتلك الأماكن وجميع المخلوقات فإنها لا تُعبد، ولا تنفع ولا تضر): كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الحجر: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يُقبِّلك ما قبَّلتك[1]، ولهذا من الإلحاد قول مَن يقول: إنَّ شعائر الحج من نوع الوثنية وأنَّه شُرِعَ للعرب الطواف بالبيت وتعظيمه وما إلى ذلك، من جنس ما يعظمونه من الأبنية والأشجار والأحجار، وهذا إلحاد في الدين وكفر بالله العظيم.

قوله: (ولو لم يأمر الله بحج البيت لما صح للمسلم أن يحج...) إلى آخره: لأن أَمْرَ اللهِ ورسولِه هو الأصل الأول في كون العمل عبادة فلا عبادة إلا بأمْر، وما أمَرَ الله به هو ما شرعه لعباده، وهو دينه الذي لا يرضى غيره، ولهذا شرطُ العمل الصالح، وشرطُ قبوله موافقة أمر الله

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

ورسوله، وما خالف أمر الله ورسـوله فليس من الدين[١]، وهو مردود كما قال ﷺ: «**مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢].

قوله في الحاشـية: (وأما حج الجهّال إلى قبور الأولياء والمشاهد فإنه ضلال...) إلى آخـره: فقولـه: (**ضلال ومخالفـة**) بل أقول: إنه شـرك أو وسيلة قوية إلى الشـرك، وأكثر ما يقع ذلك من الرافضة فإنهم يحجون إلى قبور أئمتهـم، ويفعلون عندها كمـا يفعل الحجـاج عند بيت اللـه العتيق، وفي المشـاعر فإنهم يطوفون بها، ويبكون ويحلقـون الرؤوس، وينحرون الهدايا بـل أعظم من ذلك، أنهـم يسـتغيثون بأصحاب القبـور، ولذا كانوا مشركين[٣].

قوله في الحاشـية: (فإنها جميعها أحاديثُ موضوعـة لا صحة لها...) إلى آخره: ما قاله الشـيخ عن هذه الأحاديث هو ما نبَّه عليه شـيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من كتبه[٤].

قوله: (شُـرع له حينئذ زيارة قبر النبي ﷺ، ويسـلم عليه قائلًا: «السلام عليك يا رسـول الله» بأدب وخفض صوت، ولا يطلب منه شيئًا؛ بل يسلِّم

---

(١) ينظر: شرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص٧١٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨-١٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وللبخاري (٢٦٩٧) نحوه.

(٣) ينظر: هامش (ص١٠٨).

(٤) ولعل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ يقصـد كلَّ ما تقدَّم مـن أحاديث: «من حج فلـم يزرني فقد جفاني»، و«توسـلوا بجاهي، فـإن جاهي عند اللـه عريض»، و«مَن حسـن ظنه في حجـر نفعـه». ينظـر: الإخنائيـة (ص١٣٧)، ومجمـوع الفتـاوى (١٨/ ٣٤٢)، (٢٤/ ٣٣٥)، (٢٧/ ٢٤)، (٢٧/ ٢٩)، (٢٧/ ٣٥).

وينصرف، كما أمر أمته بذلك، وكما هو فعل الصحابة رضوان الله عليهم): كما أمر النبي ﷺ بذلك في زيارة القبور، ولذلك لم يرد في زيارة قبره شيء مخصوص، وإنما ذلك من فعل بعض الصحابة[١]، فزيارة قبر النبي لم يأت فيها عن النبي ﷺ أمر ولا ندب ولا أي شيء، إنما الذي ورد الأمر بزيارة القبور بإطلاق[٢]، ولشيخ الإسلام كلام كثير في أنَّ زيارة قبر النبي بعد إحاطته بالجدران والحواجز أصبحت متعذرة؛ لأنَّ زيارة القبور تكون بالوقوف على القبر[٣]، ومع ذلك نقول: لو كانت الزيارة متاحة كما كان لابن عمر لما جاز كثرة التردد على قبره لقوله ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**»[٤]، فإن التردد على قبره من اتخاذه عيدًا، ولهذا لم يكن ابن عمر

---

(١) كما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه كان يزور قبر النبي ﷺ إذا أراد سفرًا أو قَدِم من سفرٍ. أخرجه مالك في الموطأ -برواية محمد بن الحسن الشيباني- (٩٤٨)، وعبد الرزاق (٦٧٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٧)، (١٩٧٧) عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأحاديث الأمر بزيارة القبور متواترة رواها جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: السنن الكبير البيهقي (٧/ ٥١٦)، ونظم المتناثر (١٠٨).

(٣) ينظر: الإخنائية (ص٢٣٢)، (ص٢٨٤)، وقاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص٦٦)، (ص٩٣)، (ص١٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٨٨)، وحسنه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧٠).

وأخرجه بنحوه: ابن أبي شيبة (٧٧٥٠)، وأبو يعلى (٤٦٩)، والضياء في المختارة (٤٢٨)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢٠) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٧١-١٧٢)، وتحذير الساجد (ص ١٢٧-١٢٩).

يتردد على قبره كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر، بل لا يأتي إلى قبره ﷺ إلا إذا أراد سفرًا أو قدم من سفر.

قوله: (أما الذين يقفون عند قبر النبي ﷺ بخشوع كحال وقوفهم في الصلاة، ويطلبون منه حوائجهم، أو يستغيثون به، أو يتوسطون به عند الله، فهؤلاء مشركون بالله تعالى، والنبي بريء منهم، فليحذر كل مسلم أن يفعل ذلك مع النبي ﷺ أو مع غيره): أما مَن يطلب الحوائج فهو مشرك كما قال الشيخ، وأما مَن يتوسل به فنقول: هذه بدعة، كأن يقول: «أسألك بنبيك»، أو «بجاه نبيك» فهذا بدعة وليس بشرك[1]، إنما الشرك فيما إذا طلب الحوائج؛ بأن طلب من النبي ﷺ أن ينصره على العدو، أو أن يرزقه أو أن ييسر أموره، فيطلب من الرسول ما لا يطلب إلا من الله تعالى.

قوله: (الزيارة الشرعية لأهل القبور المسلمين): والزيارة الشرعية؛ هي: التي يسلم فيها الزائر على أهل القبور، فيدعو لهم ولنفسه ثم ينصرف لا يدعوهم، ولا يتوسل بهم، أما من يقصد بالزيارة الصلاة عند بعض القبور، والدعاء عنده فتلك زيارة بدعية لا شرعية.

قوله: (وهذه صفة الحج والعمرة...) إلى آخره: لم يذكر المؤلف شروط وجوب الحج، وشروطه خمسة[2]: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والحرية، والاستطاعة؛ فلا يصح من الكافر، ولا يُؤمر به، ولا يجب على

---

(١) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (ص٨٣) وما بعدها، وللاستزادة ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه للألباني؛ فقد حرر المسألة تحريرًا بديعًا، وأجاب عن شُبَهِ المخالفين.

(٢) ينظر: المغني (٥/ ٦).

الصغير والمجنون والعبد، ويصح منهم، ولا يجب على غير المستطيع، ويشترط لوجوب الحج على المرأة وجود مَحْرَمها فمَن لم تجد مَحْرَمًا فلا يجب عليها الحج، ولو حجَّت بلا مَحرمٍ صحَّ حجُّها، وتأثم لسفرها بلا مَحرم[(١)].

قوله: (وقد جاء في حديث الرسول ﷺ: «كل لحم نبت من سُحت فالنار أولى به»): هذا الحديث مختلف في صحته[(٢)] ولو ذكر الشيخ حديث: «**إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا**»، وفيه: ذكر الرجل الذي يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام أنى يستجاب لذلك؛ أقول: لو ذكر هذا الحديث كان أولى لأنه في «صحيح مسلم»[(٣)].

قوله: (المواقيت): المواقيت جمع: ميقات، وهو الزمان أو المكان المقدَّر المحدود لفعل من الأفعال، فالمواقيت زمانية ومكانية، والمراد هنا: مواقيت الحج المكانية، وهي التي ذكرها المؤلف، ذو الحليفة والجحفة ويلملم وقرن المنازل[(٤)]، وذات عِرق[(٥)].

---

(١) ينظر: كشّاف القناع (٦/ ٥٥).
(٢) تقدم تخريجه في المتن.
(٣) برقم (١٠١٥) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري (١٥٢٤)، (١٥٢٥)، ومسلم (١١٨١)، (١١٨٢) عن ابن عباس وابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.
(٥) أخرجه مسلم (١١٨٣) عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لكن لم يجزم برفعه للنبي ﷺ، وجاء عن ابن عمر في البخاري (١٥٣١) أن عمر هو من وقَّت ذات عرق لأهل العراق. ينظر: شرح مسلم للنووي (٨/ ٨١)، وفتح الباري (٣/ ٣٨٩-٣٩٠).

قوله: (وصفة الإحرام...) إلى آخره: المراد بالإحرام: نية الدخول في النسك، فمَن نوى الدخول في النسك فإنه يُلبِّي فيصير محرمًا، كما يدخل المصلي في الصلاة بتكبيرة الإحرام، وليس كما يظن الجهال؛ أن الإحرام لبس الإزار والرداء، بل الاغتسال ولبس الإزار والرداء ما هو إلا استعداد لعقد نية النُّسك. وسُمي الدخول في النُّسك إحرامًا؛ لأنه يتضمن الدخول في تحريم المحرمات في الإحرام، وهي المحظورات التسعة التي ذكرها الفقهاء(١).

قوله: (المحب): المراد به الحجر الأسود، يسميه بعض العامة «المحب»؛ لأنه يُقبَّل. وليس للطواف دعاءٌ مخصوص؛ بل يذكر اللهَ ويدعو بما تيسر له(٢).

قوله: (لكنَّ الحلق أفضل ثلاث مرات): يريد أن الحلق أفضل من التقصير ثلاث مرات؛ لأن الرسول ﷺ لما دعا؛ قال: «**اللهم ارحم المحلقين**»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ فأعادها ثلاثًا، ثم قال في الثالثة: «**والمقصرين**»(٣).

---

(١) ينظر: كشّاف القناع (٦/ ١١٩).

(٢) إلا بين الركنيين فإنه يقول ما ورد: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» كما تقدم في حاشية المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لما أخرج أحمد (١٥٣٩٨)، وأبو داود (١٨٩٢) -واللفظ له-، عن عبد الله بن السائب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ما بين الرُّكْنينِ: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**». والحديث صححه ابن خزيمة (٢٧٢١)، وابن حبان (٣٨٢٦). وينظر: صحيح سنن أبي داود (١٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

قوله: (ومَن لم يجد مكانًا في منى نزل حيث تنتهي الخيام): يريد: طرف الخيام المنصوبة في منى، والأظهر أنه لا يلزمه ذلك بل ينزل حيث شاء.

قوله: (ولكن الأفضل ما تقدم بيانه): وهو أن يطوف طواف الإفاضة، ويسعى في يوم النحر.



الإيمان:

لقد أوجب الله تعالى على المسلم أن يؤمن إلى جانب الإيمان به وبرسوله وبأركان الإسلام، أوجب عليه أن يؤمن بملائكته[1] وكتبه[2] التي أنزلها على رسله، والتي ختمها بالقرآن، ونسخها به، وجعله

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «الملائكة: أرواح خلقهم الله تعالى من النور، وهم كثيرون لا يحصيهم إلا الله، منهم من في السموات، ومنهم الموكَّلون ببني آدم».

(٢) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «أي يؤمن المسلم بأن الكتب التي أنزلها الله على رسله حق، وهي لم يبق منها إلا القرآن، أما التوراة والأناجيل التي بأيدي اليهود والنصارى فهي من تأليفهم بدليل اختلافها، وقولهم فيها: الآلهة ثلاثة، وعيسى ابن الله. والحق أن الإله واحد، وهو الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله كما في القرآن، والمذكور فيها من كلام الله منسوخ بالقرآن، وقد رأى النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورقة من التوراة في يد عمر فغضب، وقال: «أفي شك يا ابن الخطاب، والله لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»، فألقى عمر الورقة، وقال: استغفر لي يا رسول الله».

مهيمنًا عليها، وأن يؤمن برسل الله من أولهم إلى آخرهم محمد ﷺ؛ لأنَّ رسالتهم واحدة، ودينهم واحد وهو الإسلام، ومرسلهم واحد وهو الله رب العالمين؛ فيلزم المسلمَ أن يؤمن بأنَّ الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن رسل الله إلى أممهم الماضية، ويؤمن بأنَّ محمدًا خاتمهم، ورسول الله إلى الناس أجمعين، وأنَّ الناس بعد بعثته كلهم أمة له حتى اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الديانات الأخرى؛ لأنَّ جميع مَن في الأرض أمة لمحمد ملزمون من عند الله باتباعه.

وموسى وعيسى وجميع الرسل بريئون ممن لا يتبع محمدًا، ويدخل في الإسلام؛ لأنَّ المسلم مؤمن بجميع الرسل، ومتبع لهم، ومَن لم يؤمن بمحمد ويتبعه ويدخل في دين الإسلام فهو كافر بجميع الرسل، مكذِّب لهم، ولو ادعى أنه متبع لأحدهم.

وقد تقدمت الأدلة على ذلك من كلام الله تعالى في الفصل الثاني[١]، وقال الرسول محمد ﷺ في حديثه: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم[٢]. ويجب على المسلم أن يؤمن بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء والجنة والنار، ويجب عليه أن يؤمن بقدر الله تعالى.

(١) تنظر: (ص٥٦).

(٢) برقم (١٥٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

ومعنى الإيمان بالقدر: أن يعتقد المسلم بأنَّ الله تعالى قد علم كل شيء، وعلم أفعال العباد قبل أن يخلق السموات والأرض، وكتب ذلك العلم في اللوح المحفوظ عنده، ويعلم المسلم بأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ الله تعالى خلق العباد لطاعته وبيَّنها لهم، وأمرهم بها ونهاهم عن معصيته، وبيَّنها لهم، وجعل لهم القدرة والمشيئة التي يتمكَّنون بها من فعل أوامر الله، فيحصل لهم الثواب، ومن فعل معاصيه فيستحقون العقاب.

ومشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى، وأما الأقدار التي لم يجعل الله لعباده فيها مشيئة ولا اختيارًا، وإنما يجريها عليهم على الرغم من إرادتهم مثل: الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه، ومثل: الفقر والمرض والمصائب ونحو هذا؛ فإنَّ الله لا يؤاخذ على ذلك ولا يعاقب عليه الإنسان، بل يأجره على المصائب والفقر والمرض إذا صبر ورضي بقدر الله أجرًا عظيمًا، كل هذا الذي تقدم يجب على المسلم أن يؤمن به.

وأعظم المسلمين إيمانًا بالله وأقربهم منه وأعلاهم منزلة في الجنة: (المحسنون) الذين يعبدون الله ويُعظِّمونه ويخشعون له كأنهم يرونه، ولا يعصونه في سرهم وعلانيتهم، ويعتقدون أنه يراهم أينما كانوا، ولا يخفى عليه شيء من أفعالهم وأقوالهم ونياتهم، فيطيعون أمره، ويتركون معصيته، وإذا وقع من أحدهم خطيئة (مخالفة لأمر الله) تاب إلى الله منها توبة صادقة وعاجلة، وندم على خطيئته واستغفر الله،

ولم يعد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل].



التَّعْلِيقُ

تضمَّن هذا الفصل ذِكر أركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته، وبما أنه قد تكلَّم عما يتعلق بالإيمان بالله؛ بدأ بذكر الإيمان بالملائكة والكتب والرسل والبعث بعد الموت وبالقدر، وبيَّن أنه يجب الإيمان بذلك كله، فالإيمان بملائكة الله وهم مِن عالم الغيب، ويشمل: الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة من أسمائهم وصفاتهم وأصنافهم وأعمالهم، والإيمان بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو على وجهين مجمل ومفصَّل:

فالمجمل هو الإيمان بجميع رسل الله مَن علمنا منهم، ومن لم نعلم؛ قال تعالى: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء]، فنؤمن بأن الله أرسل رسلًا إلى العباد ليأمروهم بعبادته وحده لا شريك له، وينهَوهم عن الشرك به.

والمفصَّل هو الإيمان بمن قص الله علينا أنباءهم، وما جرى لهم مع أممهم، وفي ذلك تثبيت لقلب النبي والمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ

عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ [هود].

وخصَّ الشيخُ النبيَّ ﷺ بتعريف خاص؛ لأنَّ ما يجب علينا لنبينا أعظم مما يجب علينا لسائر الرسل؛ فرسالته خاصة بنا، فيجب له من الإيمان به ومحبته وتعظيمه فوق ما يجب لغيره من النبيين والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا سيما أنه سيد ولد آدم[١] فهو أفضل المرسلين وخاتم النبيين ﷺ.

وكذلك القرآن، يجب الإيمان بكتب الله كلها، ولكن للقرآن خصوصية؛ لأنه منزَّل على نبينا ونحن مكلَّفون بما فيه، فالتوراة والإنجيل نؤمن بها لكن لا نعمل بها؛ لأنها منسوخة، أما القرآن فإنه يجب علينا الإيمان والعمل به.

وكذلك من أصول الإيمان: الإيمان بالبعث؛ اليوم الآخر، كما جاء في الحديث، وكما جاء في القرآن: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النساء:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، فأصول الإيمان ذُكرت في آية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومن أصول الإيمـان: الإيمـان بالقدر كمـا ذكر الشـيخ، وهو الأصل السـادس في جواب النبي ﷺ لما سـأله جبريـل عن الإيمـان فذكر أصول الإيمـان الخمسـة المذكـورة فـي الآيتين ثم قـال: «**وتؤمـن بالقـدر خيره وشـره**»[1]: وهو الإيمان بأنَّ الله علم الأشـياء قبل أن تكـون بعلمه القديم وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنَّ ما شـاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء.

يقول أهل العلم[2]: مراتب الإيمـان بالقدر أربعة: الأول: الإيمان بعلم الله القديم، والثاني: الإيمـان بكتابة الأقدار في اللـوح، والثالث: الإيمان بعموم المشـيئة، والرابع: الإيمان بعموم الخلق والقـدرة، وذلك أن نؤمن بأن الله خالق كل شـيء، وأنه على كل شـيء قدير، وثمـرة الإيمان بالقدر أن يعلم الإنسـان أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لـم يكن ليصيبه، كما يجـب على العبد الرضا بقـدر الله وتدبيره؛ لأنه تعالـى حكيم عدل لا يظلم مثقال ذرة.

قولـه: (وأنَّ النـاس بعـد بعثتـه كلهم أمـة له حتـى اليهـود والنصارى وغيرهم من أهـل الديانات الأخـرى): لفظة «أمة محمـد» تطلق إطلاقين: تارة يراد بها جميـع الناس، وهـؤلاء يقول أهـل العلم: إنهم أمـة الدعوة؛

(١) أخرجه مسـلم (٨) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجـه البخاري (٥٠)، ومسـلم (٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مختصرًا، وليس فيه محل الشاهد.

(٢) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص٢٢٧)، وشفاء العليل (١/ ١٠٠).

لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وبُعثت إلى الناس كافة**»[١]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]. وتارة يراد بها الذين شهدوا أن محمدًا رسول الله، وهؤلاء يسميهم العلماء: أمة الإجابة؛ فاليهود والنصارى من أمة الدعوة، والمسلمون كلهم أمة الإجابة[٢].

قوله: (ومَن لم يؤمن بمحمد ويتبعه ويدخل في دين الإسلام فهو كافر بجميع الرسل، مكذِّب لهم، ولو ادعى أنه متبع لأحدهم): وهكذا كل مَن كذَّب أيَّ رسول فهو مكذِّب لجميع الرسل كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشعراء]، ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾ [الشعراء]، وقال مثل ذلك في ثمود وقوم لوط وشعيب: مَن كذَّب واحدًا من رسل الله كان مكذبًا لجميعهم؛ لأنَّ دعوتهم واحدة فلا فرق.



(١) أخرجه البخاري (٤٣٨) -واللفظ له-، ومسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: الكليات (ص١٧٦). وقد ذكر هذا التقسيم جماعة من العلماء منهم: نجم الدين النسفي في التيسير في التفسير (٤/ ١٩٩-٢٠٠)، والبيضاوي في تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (١/ ٤٣) والطيبي في الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٤٤٩) وغيرهم.

كمال دين الإسلام:

قال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، **وقال الله تعالى:** ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩﴾ [الإسراء]، **وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن القرآن:** ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل].

وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»[1]**، وقال: «تركتُ فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلوا أبدًا كتابَ الله وسنَّتي»**[2].

وفي الآيات المتقدمة: يخبر الله تعالى في الآية الأولى أنه أكمل للمسلمين دينهم: الإسلام، فلا نقص فيه أبدًا، ولا يحتاج إلى زيادة أبدًا، فهو صالح لكل زمان ومكان وأُمَّة، ويخبر أنه أتم نعمته على

(١) هو جزء من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في موعظة النبي ﷺ البليغة، وهذا الجزء من الحديث أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (٣٣١) بنحوه. قال أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم (١/ ٣٦ رقم ٢): «وهذا حديث جيد من صحيح حديث الشاميين»، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٣٧).

(٢) أخرجه بنحوه: مالك مرسلاً (٣٣٣٨/ ٦٧٨)، والحاكم (٣١٨)، (٣١٩) مسندًا عن ابن عباس وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصححه، وصحح الألباني حديث ابن عباس في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٤ رقم ٤٠)، وحسَّن حديث أبي هريرة في تخريج المشكاة (١٨٦). وينظر: الصحيحة (١٧٦١).

المسلمين بهذا الدين العظيم الكامل السمح، وبرسالة خاتم المرسلين محمد ﷺ، وبإظهار الإسلام، ونصرِ أهله على مَن عاداهم، ويخبر أنه رضي الإسلام للناس دينًا، فلا يسخطه أبدًا، ولا يقبل من أحد دينًا سواه أبدًا.

وفي الآية الثانية يخبر الله تعالى أنَّ القرآن العظيم منهاج كامل، فيه البيان الحق الشافي لأمور الدين والدنيا، فلا خير إلا دل عليه، ولا شرَّ إلا حذر منه، وكل مسألة وكل مشكلة قديمة أو حاضرة أو مستقبلة فإنَّ الحل الصحيح العادل لها في القرآن، وكل حلٍّ لها يخالف حلَّ القرآن فهو جهل وظلم.

فالعلم والعقيدة والسياسة ونظام الحكم والقضاء وعلم النفس والاجتماع والاقتصاد ونظام العقوبات وغير ذلك مما يحتاج إليه البشر، كل ذلك قد بينه الله في القرآن، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ أكمل بيان، كما أخبر الله تعالى بذلك في الآية المذكورة حيث أخبر أنَّ القرآن ﴿ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾  [النحل:٨٩]، وفي الفصل الآتي بيان مفصَّل موجز لكمال دين الإسلام، ولمنهجه الشامل الكامل القويم.

التَّعليق

هذا فصلٌ عظيمٌ ضمَّنه المؤلف الأدلة من الكتاب والسنة على كمال دين الإسلام، وبيانه لكل ما يحتاج إليه الناس من الأحكام الدينية والدنيوية، وحل جميع المشكلات، ولهذا كان دين الإسلام هو الدين

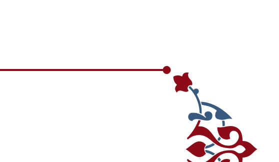
الحق الـذي لا نجـاة ولا سـعادة إلا بالإيمـان به والتمسـك بـه، وأن من أعـرض عنـه كان مـن الخاسـرين، وفـي الصحيـح أن يهوديًـا قـال لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن آية فـي كتابكم؛ لـو أُنزلت علينا معشـر اليهـود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا؛ قال: وما هي؟ قـال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فقال عمر: إنها نزلت على الرسـول ﷺ، وهو واقف بعرفة[١]. يريد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنها نزلت على الرسـول في يوم عيد، وفي هذه الآية وما بعدها مما ذكر الشيخ ردٌّ على المبتدعة، وإبطالٌ للبـدع؛ لأن المبتدع يُدخِل في الدين ما ليس منه فكأنه ناقص ويريد إكماله، وعمله مـردود عليه؛ لقوله ﷺ: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منـه فهو ردٌّ**»[٢] أي: مـردود؛ نعوذ بالله مـن اتباع الهوى وتسويل الشيطان.

قولـه: (مفصَّل موجـز): يريـد أنه لا يَبْسُـط القـول فـي التفصيل، بل يختصر الكلام تجنُّبًا للتطويل.



(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٢) أخرجـه البخـاري (٢٦٩٧)، ومسـلم (١٧١٨-١٧) -واللفـظ لـه- عـن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



الفصل الرابع:
منهاج الإسلام

أولًا في العلم:

أول واجب أمر الله به الإنسان أن يتعلم العلم. قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد]، **وقال الله تعالى:** ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، **وقال تعالى:** ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، **وقال تعالى:** ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء]، **وقال خاتم المرسلين محمد** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **في الحديث الصحيح: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[١]**، وقال: «فضل العالم على الجاهل**[٢] ....

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤)، والبزار (٦٧٤٦)، وأبو يعلى (٢٨٣٧) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال البزار: «كل ما يروى عن أنس في: «**طلب العلم فريضة**» فأسانيدها ليِّنة كلها»، وجاء من رواية ابن عمر وأبي سعيد وابن مسعود وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقال السيوطي: «جمعت له خمسين طريقًا وحكمتُ بصحته لغيره ولم أصحح حديثًا لم أُسبَق لتصحيحه سواه». ينظر: الفيض القدير (٤/ ٢٦٧)، وصححه الألباني بطرقه في تخريج مشكلة الفقر (ص ٤٨ رقم ٨٦).

(٢) في الأصول الحديثية: «العابد» ولم نجد من ذكر هذا اللفظ: «الجاهل» من حديث أبي الدرداء فيما تيسَّر لنا من مراجع، ولكن أخرجه تمَّام بن محمد الدمشقي في الفوائد (١٢٤٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/ ١١٦) عن =

..................كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[(١)].

والعلم في الإسلام ينقسم إلى أقسام من حيث لزومه:

فالقسم الأول: فرض لازم على كل إنسان ذكرًا أو أنثى لا يُعذر أحد في الجهل به، وهو: معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله محمد ﷺ، ومعرفة ما يلزم من دين الإسلام[(٢)].

القسم الثاني: فرض كفاية، إذا قام به مَن يكفي سقط الإثم عن الباقين، وصار في حق الباقين مستحبًّا لا واجبًا، وهو: العلم بأحكام الشريعة الإسلامية التي تؤهل صاحبها للتدريس وللقضاء والإفتاء، وكذا العلم

= أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضل العالم على الجاهل كفضلي على أدناكم...**»، وقال شيخنا: «ممكن كونه سبق لسان من الشيخ، للتقابل بين العالم والجاهل، فالمقابلة اللغوية بين العالم والجاهل، لكن المقابلة الشرعية بين العالم والعابدِ».

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٨٨)، وقال البخاري: «بابٌ: العلم قبل القول والعمل....«وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة»».

قال ابن حجر في فتح الباري (١/ ١٦٠): «وهو طرف من حديث أخرجه أبو داود، والترمذي...وحسنه حمزة الكناني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يفصح المصنف بكونه حديثًا؛ فلهذا لا يُعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يُشْعِر بأن له أصلًا». وينظر: العلل للدارقطني (١٠٨٣)، وجامع بيان العلم (١/ ١٦٠).

(٢) **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الحاشية: «وقد تقدَّم تفصيل ذلك في الفصول الثلاثة المتقدمة».**

بما يحتاج إليه المسلمون من الصناعات والمهن اللازمة لشؤون حياتهم؛ فيلزم ولي أمر المسلمين إذا لم يوجد مَن يكفي أن يعمل على إيجاد علماء تحصل بهم كفاية المسلمين فيما هو ضروري لحياتهم.

التَّعليق

يجب أن يُعلم أن المراد بالعلم في الآيات والأحاديث هو العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة، وهو العلم الذي جعله الله حياة للقلوب والأرواح ونورًا للبصائر، ولهذا سمى الله ما أنزله على رسوله من الكتاب والحكمة سماه روحًا ونورًا؛ فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وهذا العلم ثلاثة أقسام من حيث ما يتضمنه:

الأول: العلم بالله: بأسمائه وصفاته.

الثاني: العلم بدينه، وهو أمره ونهيه الذي به يُعرف الحلال والحرام، وما يحبه الله ويرضاه، وما يبغضه ويسخطه من الأقوال والأعمال.

الثالث: العلم باليوم الآخر، وما يكون فيه من البعث والحشر والحساب والجزاء والجنة والنار(١).

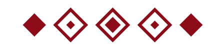
وقد أحسن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتنبيهه على فضل هذا العلم، وبيان أنه فرض على كل مسلم ومسلمة، وأن منه ما هو فرض عين: وهو ما لا يقوم

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٥-٩٦)، والصواعق المرسلة (٢/ ١٠٦٤).

الدين إلا به، ومنه ما هو فرض كفاية ؛كالعلم بأحكام المعاملات، وينبغي أن يُعلم أن هذا العلم -أعني العلم الشرعي- هو الذي كان يهتم به السلف الصالح من الصحابة والتابعين أعظم اهتمام لأنهم به يعرفون ربهم، ودينه، وما أعدَّ للعاملين من الجزاء يوم القيامة، ولذا كان هذا العلم مختصًّا بالمسلمين، وأما العلوم الدنيوية من الطب والصناعات فهي مشتركة بين المسلمين والكفار بل الكفار أمكن فيها لأن الدنيا أعظم همهم فلا يعملون إلا لها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم].

قوله: (فضل العالم على الجاهل): المعروف في الراوية: «**فضل العالم على العابد**»، والمراد بالعابد: العابد الجاهل.



ثانيًا: في العقيدة:

أمر الله سبحانه رسوله محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يعلن للناس جميعًا أنهم عبيد الله وحده، يجب عليهم أن يعبدوه وحده، وأمرهم أن يرتبطوا بالله مباشرة وبدون واسطة في عبادتهم له، كما تقدَّم بيان ذلك في معنى «لا إله إلا الله»، وأمرهم أن يتوكلوا على الله وحده، وأن لا يخافوا إلا منه ولا يرجوا إلا هو وحده؛ لأنه وحده النافع الضار، وأن

يصفوه بصفات الكمال التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله كما تقدَّم بيانه.

ثالثًا: في الرابطة بين الناس:

أمر اللهُ المسلمَ أن يكون إنسانًا صالحًا يسعى لإنقاذ البشرية من ظلام الكفر إلى نور الإسلام، ولهذا قمتُ بتأليف هذا الكتاب ونشره تأدية لبعض الواجب.

وأمر الله أن تكون الرابطة التي تربط المسلم بغيره هي رابطة الإيمان بالله؛ فيحب عباد الله الصالحين المطيعين لله ولرسوله ولو كانوا من أبعد الناس، ويبغض الكفار بالله والعصاة لله ولرسوله ولو كانوا أقرب الناس، وهذه هي الرابطة التي تجمع بين المفترقين وتؤلف بين المختلفين بخلاف رابطة النسب والوطن والمصالح المادية، فإنها سرعان ما تنفصم.

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

يخبر الله سبحانه في الآية الأولى أنَّ المؤمن بالله لا يحب أعداء الله وإن كانوا أقرب الناس، ويخبر في الآية الثانية أنَّ أكرم الناس عنده المحبوب لديه: هو المطيع له من أي جنس كان ومن أي لون.

وقد أمر الله تعالى بالعدل مع العدو والصديق، وحرَّم الظلم على نفسه وجعلـه محرَّمًا بين عباده، وأمـر بالأمانة والصدق وحـرَّم الخيانة، وأمر ببر الوالديـن وصلة الأرحام، والإحسـان إلـى الفقراء والمشـاركة في الأعمال الخيريـة، وأمر بالإحسـان إلى كل شـيء حتى الحيـوان؛ فقد حـرَّم اللـه تعذيبـه وأمـر بالإحسـان إليـه[1]، أمـا الحيوانـات الضارة؛ كالكلب العقـور والحية والعقـرب والفـأرة والحِدَأة والـوزغ[2]؛ فإنها تُقتل لمنع شرها ولا تُعذَّب.





التَّعْلِيقُ

تضمنت الفقرة الثانية والثالثة أمرين مهمَّين في الإسلام:

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «حتى في حال ذبح الحيوان الحلال؛ فقد أمر الرسول ﷺ بحدِّ السكين وإراحة الذبيحة، ومكان الذبح: الحلق؛ فيقطع المريء وعِرْقَي الدم حتى يخرج دمها، والإبل تُنحر بطعن لَبَّتِهَا أسفل الرقبة، أما قتل الحيوان بواسطة الصعق الكهربائي أو ضرب رأسه ونحو هذا فإنه حرام، ولا يجوز أكله».

(٢) وهي الفواسق الخمس. ولم يذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الغراب، وذكر بدله الوزغ، وجاء في بعض الروايات ذكر الحية، وفي بعضها: العقرب. كما في صحيح البخاري (١٨٢٨)، ومسلم (١١٩٨).
وقد جاء الأمر بقتل الوزغ في حديث أم شريك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (٣٣٠٧)، ومسلم (٢٢٣٧)، وسماه فُوَيْسِقًا كما في البخاري (١٨٣١) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ومسلم (٢٢٣٨) عن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي حديث سعد أيضًا أَمَر النبي ﷺ بقتله.

أولهما: أمر العقيدة، وهو ما يجب على العبد اعتقاده، وقد بين الشيخ أن العقيدة في الإسلام تقوم على الإقرار بربوبيته تعالى، وإلهيته فلا رب غيره ولا إله سواه، وهذا هو التوحيد الذي هو أصل الدين، ويتبع ذلك الإقرار بأن الخَلْقَ كلهم عبيده يجب عليهم أن يخضعوا له، ويعبدوه وحده لا شريك له، ومما يجب اعتقاده في الإسلام: إثبات أسمائه تعالى وصفاته، وتنزيهه تعالى عن كل نقص وعيب.

الأمر الثاني: وجوب رعاية حق الأُخوَّة الإيمانية؛ لأنها أوثق الروابط فهي فوق رابطة النسب والوطن والمصالح المشتركة، ورعاية هذه الرابطة تكون بالنصيحة لعموم المسلمين لمحبة الخير لهم، والإحسان إليهم بكل أنواع الإحسان بالأقوال وبالأفعال وبالمال؛ فيدخل في ذلك: بر الوالدين وصلة الأرحام، ومواساة الفقراء والمساكين والإحسان إلى الجيران، وقد نبَّه الشيخ على ذلك كله؛ فجزاه الله خيرًا.



رابعًا: في المراقبة والواعظ القلبي للإنسان المؤمن:

جاءت الآيات في القرآن العظيم تبيِّن للناس أنَّ الله يراهم أينما كانوا، وأنه يعلم جميع أعمالهم، ويعلم نواياهم، وأنه يحصي عليهم أعمالهم وأقوالهم، وملائكته ملازمون لهم يكتبون كل ما يصدر منهم في السر والعلانية، وأنَّ الله سوف يحاسبهم على كل ما يفعلون ويقولون،

وحذرهم عقابه الأليم إذا عصوه في هذه الحياة وخالفوا أمره، فصار ذلك أكبر زاجر للمؤمنين بالله يمنعهم من الوقوع في معاصيه، فيتركون الجرائم والمخالفات خوفًا من الله تعالى.

أما الذي لا يخاف الله، ويرتكب المعاصي إذا قدر عليها فقد جعل الله له حدًّا يردعه في هذه الحياة، وهو أَمْرُ الله المسلمين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ فيشعر كل مسلم أنه مسؤول أمام الله عن كل خطيئة يرى غيره يفعلها، حتى ينهاه عن فعلها بلسانه إذا لم يقدر على منعه بيده، وأمر الله ولي أمر المسلمين أن يقيم حدود الله على المخالفين، وهي عقوبات على قدر جرائم أصحابها، بيَّنها الله تعالى في القرآن، وبيَّنها رسول الله ﷺ في أحاديثه، وأمر بتطبيقها على المجرمين، وبذا ينتشر العدل والأمن والرخاء.



التَّعْلِيقُ

هذا فصلٌ عظيمٌ، والمراقبة هي استشعار هذه المعاني التي نبَّه إليها الشيخ: وهي علم الله واطلاعه ورؤيته للعباد، ولهذا يُقال: «لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك»[1]؛ كن موجودًا حيثما أمرك الله، وكن غائبًا حيث نهاك الله، وكذلك ما ذكر الله من الوعد والوعيد، كل ذلك يوجب للمؤمن الانتهاء عن مناهي الله والمسارعة إلى ما أمر الله به

(١) جاءت في وصية داود بن نُصير الطائي لابن السمَّاك. ينظر: حلية الأولياء (٧/ ٣٥٨).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا أعظم مُعِين على فعل الواجبات وترك المحرمات، فهذا معنى جديـر، ينبغي للمسـلم أن يسـتحضره ويتذكـر أنَّ الله يسـمع كلامه ويرى مكانـه ويعلم مـا يخطـر بقلبه، ولهـذا لما نـزل قولـه تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٥]؛ شـقَّ ذلك على الصحابة وقالـوا: أُمرنا بما نطيق الصـلاة والزكاة، وهذه الآية لا نطيقها[١]، لأنه يخطر ببال الإنسان أمور لا يسـتطيع دفعها، ولكن الله قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٥]، هـذا وقـد ذكـر الشـيخ مِـن الزواجـر عن المعاصـي: إقامـة الحدود التـي بينها اللـه في كتابـه، وبينها الرسـول، ولكن ذلك مَنُـوطٌ بولي الأمر، وأمـا غيره فالواجـب عليه الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، وإذا قـام الجميع بما أوجـب الله عليهم: اندحر الشر، واستقام المجتمع، وعمَّ الخير، والأمر لله من قبل ومن بعد.



خامسًا: في التكافل والتعاون الاجتماعي:

أمر الله المسـلمين بالتعاون فيما بينهـم ماديًّا ومعنويًّا، كمـا تقدَّم بيان ذلك فـي باب الـزكاة والصدقـات، وحرَّم اللـه تعالى على المسـلم أن يؤذي الناس بـأي نوع من أنـواع الأذى، حتى الأذى فـي الطريق حرَّمه

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله، وأمر المسلم أن يزيله إذا رآه ولو كان الذي وضعه غيره، ووعده الأجر على ذلك، كما توعَّد المؤذي بالعقاب.

وفرض الله على المؤمن أن يحب لأخيه كما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وقال الرسول محمد ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، رواه مسلم[1]، وقال ﷺ في خُطَبِه العظيمة التي ألقاها في آخر حياته في حجة الوداع، مؤكِّدًا بها ما أمر به من قبل: «يا أيها الناس إنَّ ربكم واحد، وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، أبلَّغت؟» قالوا: أبلغ[2] رسول الله، وقال أيضًا: «إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، وفي بلدكم هذا، ألا هل

(١) برقم (٥٤)، وأخرجه أيضًا البخاري (١٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كذا في المطبوع، والصواب: «بلَّغ» كما في المراجع الحديثية، ونبَّه عليه شيخنا في التعليق.

بلَّغت؟» قالوا: نعم، فرفع أصبعه إلى السماء، وقال: «اللهم اشهد»[١]، [٢].

التَّعليق

موضوع التكافل الاجتماعي كما شرحه الشيخ هو من محاسن الإسلام، ومن أسباب قبول الإسلام والدخول فيه، وبمراعاة هذا الخُلُق تَسُود الألفة بين المسلمين، وتقوى الروابط بين المؤمنين، ومدار هذا الخلق على أصلين:

أحدهما: الإحسان إلى الناس عمومًا وخصوصًا بالأقوال والأفعال.

والثاني: كف الأذى؛ كما قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[٣]، وبهذا تتحقق الأخوَّة الإيمانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال ﷺ: «**لا تَحَاسَدوا... ولا**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٩) عن رجل سمع الخطبة من الرسول ﷺ بنحوه، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٧٤) مختصرًا عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال البيهقي: «في هذا الإسناد بعض من يُجهَل»، وصححه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤١٢). وينظر: الصحيحة (٢٧٠٠).

(٢) **قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «وهي خُطبٌ عظيمةٌ جامعةٌ متفرقةٌ في كتب الحديث النبوي»**.

(٣) أخرجه البخاري (١٠) -واللفظ له-، ومسلم (٤٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه مسلم (٤١) بهذا اللفظ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

تَبَاغَضوا، ولا تَدَابَروا، ولا يَبِع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا»[١].

قوله: (وقال الرسول محمد): لا داعي لذكر الاسم محمد؛ لأن الرسول إذا أُطلق لا ينصرف إلى غير نبينا محمد ﷺ.

قوله: (أبلغ رسول الله): لفظ الحديث «بلَّغ رسول الله» ليس فيه استفهام، ولا معنى للاستفهام.



سادسًا: في السياسة الداخلية:

أمر الله المسلمين أن يولُّوا على أنفسهم إمامًا يبايعونه بالإمارة، وأمرهم أن يجتمعوا ولا يتفرقوا فيكونوا أمة واحدة، وأمرهم الله بطاعة إمامهم وأمرائهم إلا إذا أمروا بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأمر الله المسلم -إذا كان في بلد لا يقدر فيها على إظهار دين الإسلام والدعوة إليه- أمره أن يهاجر منها إلى بلاد الإسلام، وهي التي يُحكَم فيها في جميع الأمور بالشريعة الإسلامية، ويحكمها إمامٌ مسلمٌ بما أنزل الله، فالإسلام لا يعترف بالحدود الإقليمية والجنسيات القومية أو الشعوبية، وإنما جنسية المسلم هي الإسلام، والعباد عباد

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله، والأرض أرض الله، ينتقل فيها المسلم بدون مُعارِض شريطة أن يلتزم شريعة الله وإذا خالفها في شيء يجري عليه حكم الله، وفي العمل بشريعة الله وإقامة حدوده: استتباب الأمن واستقامة الناس، وحقن دمائهم وسلامة أعراضهم وأموالهم، والخير كله، كما أنَّ في العدول عنها الشر كله.

وحمى الله تعالى العقول: بتحريم المسكرات والمخدرات والمفتِّرات، وجعل حدًّا لشارب المسكر، وهو الجلد من ٤٠ - ٨٠ جلدة كلما فَعل ذلك؛ ردعًا له وصيانةً لعقله، وحمايةً للناس من شره.

وحمى دماء المسلمين: بالقصاص من المعتدي بغير حق، فيُقتَل القاتل، وشرع في الجروح القصاص، كما شرع للمسلم الدفاع عن نفسه وعرضه وماله، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة]، وقال رسول الله ﷺ: «مَن قُتل دون نفسه[1] فهو شهيد، ومَن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومَن قُتل دون ماله فهو شهيد»[2].

---

(١) في الأصول الحديثية: «دمه».

(٢) أخرجه بنحوه: أحمد (١٦٥٢)، وأبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥) عن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الترمذي، وابن المُلَقِّن في البدر المنير (٥/ ٢٢)، (٩/ ٧). وينظر: إرواء الغليل (٧٠٨). وفي البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قُتل دون ماله فهو شهيد».

وحمى الله أعراض المسلمين: بما شرعه من تحريم التكلم في غيبة المسلم بكلام يكرهه إلا بحق، وبما شرع مِن حَدِّ القاذف الذي يرمي المسلم بالجريمة الخُلقية مثل: الزنا واللواط دون أن يُثبت ذلك إثباتًا شرعيًّا.

وحمى الله الأنساب من الاختلاط غير المشروع، وحمى الأعراض أن تدنَّس بالجريمة الخُلقية بتحريم الزنا تحريمًا كبيرًا واعتباره من أكبر الكبائر، وجعل عقوبة رادعة على فاعله إذا توافرت شروط إقامة حد الزنا عليه.

وحمى الله الأموال: بتحريم السرقة والغش والقمار والرشوة وغير ذلك من المكاسب المحرَّمة، وبما شرعه من عقوبة السارق وقاطع الطريق العقوبة الرادعة، وهي القطع إذا توافرت شروطه، أو عقابه بما يردعه إذا لم تتوافر الشروط مع ثبوت السرقة.

والذي شرع هذه الحدود هو الله العليم الحكيم، وهو أعلم بما يُصلح أحوال خلقه، وهو بهم أرحم، وقد جعل هذه الحدود كفارةً لذنوب المجرمين من المسلمين، وحمايةً للمجتمع من شرهم وشر غيرهم، والذين يعيبون قتل القاتل وقطع يد السارق من أعداء الإسلام وأدعيائه إنما يعيبون قطع عضو مريض فاسد إذا لم يُقطع سرى فساده في

المجتمع بأَسْرِه[١]، وفي الوقت نفسه يستحسنون قتل الأبرياء من أجل أغراضهم الظالمة.



التَّعلِيقُ

نبه الشيخ -رحمه الله، وتغمده بالرحمة- إلى حكمة الشريعة المنزلة من الحكيم العليم؛ قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت]، فشريعة الإسلام بما تضمنته فيها غاية الخير وتحقيق المصالح ودرء المفاسد، وفي الحكم بغيرها نشر الشر والفساد؛ قال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾؛ فحكم الله هو أحسن الأحكام: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة]، لكن لا يحكِّم أحكام الله إلا الموقنون به المؤمنون بحكمته الراضون عن تشريعه؛ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء]، ففي إقامة شريعة الله سعادة الدنيا والآخرة وصلاح الدنيا والآخرة، وفي مجانبتها الشقاء؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣...﴾ [طه] الآيات، قال ابن عباس: «تكفَّل الله لمن قرأ القرآن وعمل به أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»[٢].

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «وهذا أولى من قطع العضو المريض الفاسد باختيار المريض وأهله لسلامة جسده».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٩١) بنحوه.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينبِّه بذكر السياسة على كمال الشريعة وشمولها لجميع شؤون الحياة، ومنها السياسة، وهي: التدابير التي تصدر من ولي الأمر مما يتعلق بالرعية أو بالشؤون الدولية.

وقد نبَّه الشيخ على مسألة مهمة، وهي: وجوب الهجرة على من كان في بلدٍ لا يستطيع فيه إظهار دينه، وإعلان التوحيد؛ فيهاجر إلى أي أرض يقدر فيها على إظهار الإسلام والتوحيد، والبراءة من المشركين، وما يشركونه مع الله، وقد توعَّد الله من يقيم بين المشركين وهو يقدر على الهجرة. ومن الآيات الدالة على وجوب الهجرة قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [العنكبوت][1].





سابعًا: في السياسة الخارجية:

أمر الله المسلمين وولاة أمورهم أن يدعوا غير المسلمين إلى الإسلام لينقذوهم به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالله، ومن شقاء الانغماس في ماديات هذه الحياة الدنيا، والحرمان من السعادة الروحية التي يَنعم بها المسلمون حقًّا.

فأَمْرُ الله هذا للمسلم هو: أن يكون إنسانًا صالحًا ينفع جميع بني الإنسان بصلاحه، ويسعى لإنقاذ البشر جميعًا، بخلاف المناهج

(١) ينظر: شرح الأصول الثلاثة لشيخنا (ص٤٧-٤٨).

البشرية، فإنها تطلب من الإنسان أن يكون مواطنًا صالحًا فقط، وهذا من الأدلة على فسادها ونقصها، وعلى صلاح الإسلام وكماله.

وأمر الله المسلمين أن يُعِدُّوا لأعداء الله ما استطاعوا من قوة؛ ليحموا بها الإسلام والمسلمين، وليرهبوا بها عدو الله وعدوهم، كما أباح الله للمسلمين أن يعقدوا المعاهدات مع غير المسلمين إذا دعا الأمر إلى ذلك على ضوء الشريعة الإسلامية، وحرَّم الله على المسلمين نقض العهد الذي يبرمونه مع عدوهم إلا إذا بدأ العدو بنقضه، أو فعل ما يوجب ذلك؛ فإنهم يشعرونه بالنقض.

وقبل بدء القتال مع غير المسلمين أمر الله المسلمين أن يدعوا أعداءهم إلى الدخول في الإسلام أولًا، فإن أبوا طلبوا منهم الجزية والخضوع لحكم الله، فإن أبوا كان القتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وفي حال القتال حرَّم الله على المسلمين قتل الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان الذين في معابدهم، إلا مَن يشترك مع المقاتلين برأي أو فعل، وأمرهم أن يعاملوا الأسرى بالإحسان، ومن هذا نفهم أنَّ الغزو في الإسلام لا يُراد به السيطرة والاستغلال، وإنما يُراد به نشر الحق ورحمة الخلق، وإخراج الناس من عبادة المخلوق إلى عبادة الله الخالق.



التَّعْلِيقُ

هذا في الحقيقة تلخيص للسياسة الشرعية الخارجية، وأوَّل ذلك: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم بقتال أعداء الله إذا لم يستجيبوا للدخول في الإسلام، والمراد من الجهاد إدخالهم في دين الله، قال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»[(١)]، إذن؛ الغاية هو إصلاحهم وإدخالهم في دائرة الدين الحق الذي تترتب عليه سعادة الدنيا والآخرة، وتضمَّنت أحكام الشريعة في الجهاد في سبيل الله الإحسان وعدم العدوان؛ قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، حتى القتال له حدود، كما نبَّه الشيخ على أنه يحرم قتل النساء والذرية في الجهاد[(٢)]، وقد بين النبي ﷺ الغاية من قتال الكفار، وهي: أن تكون كلمة الله هي العليا، وذلك في قوله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(٣)]، ويتحقق ذلك إما بدخول الكفار في الإسلام، أو برضوخهم لسلطان الإسلام وسيادة المسلمين، وذلك ببذل الجزية لهم، والمراد بكلمة الله: دين الله الذي شرعه بكلامه الذي أنزله على رسوله، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرج البخاري (٣٠١٤) -واللفظ له-، ومسلم (١٧٤٤) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن امرأة وُجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولةً؛ فأنكر رسول الله ﷺ قَتْلَ النساء والصبيان». وينظر: السنن الكبير للبيهقي (١٨/ ٢٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث: «**الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه**»[(١)]، وقد نبه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أمر مهم، وهو أنه ليس المقصود من القتال الاستغلال بل الإصلاح والإحسان، وأي إحسان أعظم من إخراج الكفار من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد؛ فرحم الله الشيخ، وجزاه خيرًا.

قوله: (فأَمْرُ الله هذا للمسلم...) إلى آخره: يريد أنَّ الله أَمَرَ المسلم فيما شرع له أن يكون صالحًا مصلحًا محسنًا، وبهذا يكون مباركًا على كل من يتصل به.

قوله: (مواطنًا صالحًا فقط): يريد أن هذه الأنظمة في الدول الكافرة لا يريدون أن يكون الإنسان صالحًا في خلقه ودينه، بل مهتمًا بمصالح وطنه الاجتماعية والاقتصادية والصحية؛ ولهذا سَمَّوه مواطنًا لكون مصلحة الوطن أكبر همه.



(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٣٢٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٢٦٧) -واللفظ له-، وابن حزم في المحلى (٧/ ٣١٤) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا موقوفًا. وعلَّقه البخاري بصيغة الجزم -ولم يعيِّن قائله- في كتاب الجنائز، «بابٌ: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه...»، عند حديث (١٣٥٤)، وصححه ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٤٢١)، وتغليق التعليق (٢/ ٤٩٠).
وأخرجه الرُّوياني (٧٨٣)، والدارقطني (٣٦٢٠)، والبيهقي (١٢٢٨٣) عن عائذ بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا، والمرفوع روي أيضًا من حديث عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وقال الألباني: «وجملة القول: أنَّ الحديث حسن مرفوعًا بمجموع طريقي عائذ ومعاذ، وصحيح موقوفًا». وينظر: نصب الراية (٣/ ٢١٣)، وإرواء الغليل (١٢٦٨).

ثامنًا: في الحرية:

أ-حرية العقيدة: أعطى الله تعالى في دين الإسلام لمن يدخل تحت حكمه من غير المسلمين حرية العقيدة بعدما يتم بيان الإسلام له، وبعدما يُدعى إليه، فإن اختار الإسلامَ ففيه سعادته ونجاته، وإن اختار البقاء على دينه فقد اختار لنفسه الكفر والشقاء والعذاب في النار، ويكون بهذا قد قامت عليه الحجة وليس له عذر أمام الله تعالى، وحينئذ يتركه المسلمون على عقيدته على شرط أن يدفع الجزية عن يد وهو صاغر، ويخضع لأحكام الإسلام، ولا يتظاهر بشعائر كفره أمام المسلمين.

أما المسلم فلا يُقبل منه بعد الدخول في الإسلام الردةُ عنه، فلو ارتد فإنما جزاؤه القتل، وذلك لأنه قد أصبح بردته عن الحق بعد معرفته غير صالح للبقاء، إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويرجع إلى الإسلام، وإن كانت ردته بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام فيتوب من ذلك الناقض بتركه وبغضه واستغفاره الله تعالى.

ونواقض الإسلام كثيرة؛ أشهرها:

١. الشرك بالله تعالى: وهو أن يجعل العبد مع الله إلهًا آخر، ولو باتخاذه واسطة بينه وبين الله يدعوه ويُقرِّب له، سواء اعترف بألوهيته اسمًا ومعنى؛ لمعرفته بمعنى الإله والعبادة -كمشركي الجاهلية الذين عبدوا أصنامًا ترمز لأناس صالحين بغية شفاعتهم- أم لم يعترف بأنه

إله مع الله، وأنَّ عبادته إياه عبادة له؛ كالمشركين المنتسبين للإسلام الذين لا يقبلون ممن دعاهم إلى التوحيد، زاعمين أنَّ الشرك هو السجود للصنم فقط، أو أن يقول العبد لشيء غير الله: هذا إلهي.

فهم كمن يشرب الخمر ويسميها بغير اسمها، وقد تقدَّم بيان حالهم، قال الله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر]، وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر].

٢. عدم تكفير المشركين وغيرهم من الكفار: كاليهود والنصارى والملحدين والمجوس والطواغيت الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ولا يرضون بحكم الله، فمن لم يكفِّرهم بعد علمه بتكفير الله لهم كفر.

٣. السحر المستلزم للشرك الأكبر؛ فمن فعله أو رضي به بعد علمه بكفر فاعله كفر[١].

(١) في الأصل: «أو رضي به بعد علمه بكفر فاعله، ومن رضي به كفر»، ورجح شيخنا حذف: «ومن رضي به»، وقال: «لا حاجة لها».

٤ . اعتقاد أنَّ شـريعة أو نظامًا غير الإسلام أحسن من شريعة الإسلام، أو أنَّ حكم غير النبي ﷺ أحسن من حكمه، أو أنه يجوز الحكم بغير حكم الله.

٥ . بغض الرسول ﷺ، أو شيء يعلم أنه من شريعته.

٦ . الاستهزاء بشيء يعلم أنه من دين الإسلام.

٧. الكراهة لانتصار الإسلام أو المَسرَّة لانخفاضه.

٨. تولي الكفار بمحبتهم ونصرتهم وهو يعلم أنَّ متوليهم منهم.

٩ . اعتقاد أنَّ الخروج يسعه عن شريعة محمد ﷺ، وهو يعلم أنه لا يصح لأحد الخروج عنها في أي أمر من الأمور.

١٠ . الإعراض عن دين الله، فمن أعرض عن الإسلام بعد تذكيره، لا يتعلمه ولا يعمل به كفر.

١١ . إنكار حكم من أحكام الإسلام المجمع عليها، ومثله لا يجهل ذلك.

والأدلة على هذه النواقض كثيرة في القرآن والسنة.



التعليق

قد أحسن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتعرض لهذا الموضوع: الحرية، لذا أقول: الحرية في اللغة هي ضد الرِّق، وتُطلق على حسن الخلق[١]، وأما

(١) ينظر: تاج العروس (١٠/ ٣٧٥).

الذي ذكره المؤلف فهي حرية الاعتقاد، ويراد بها: أنَّ للإنسان أنْ يعتقد ما يشاء فيختار الإيمان أو الكفر، وهذا لم تأتِ به الشريعة فإنه يجب على الإنسان أن يؤمن بالله ورسوله، وليس مخيَّرًا إن شاء آمن، وإن شاء كفر، وأما قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩] فليس ذلك تخييرًا بين الإيمان والكفر بل ذلك تهديد؛ لأن الله أتبعه بذكر وعيد من كفر؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا...﴾ [الكهف: ٢٩] الآية[١]، وقد أوضح الشيخ مراده بحرية الاعتقاد، وذلك بتخيير الكافر إذا أدى الجزية، وأحب الإقامة عند المسلمين بعهد يلتزم بشروطه فإنه يخير: إما أن يسلم، وإن أحب البقاء على دينه فإنه يُقبل منه، ويُقر على ذلك، ويُقال له: ذميٌّ، وأما من أسلم فيجب عليه الثبات على الإسلام، ولا يُسمح له بالردة بل إذا ارتد المسلم فحدُّه القتل؛ لقوله ﷺ: «**مَن بدل دينه فاقتلوه**»[٢]، وبهذه المناسبة ذكر الشيخ نواقض الإسلام، وهي: الأسباب التي من وقع في شيء منها صار مرتدًا، وهي كثيرة، وذكر الشيخ منها أحد عشر، وللشيخ محمد بن عبدالوهاب رسالة معروفة بـ «نواقض الإسلام»[٣]، وذكر فيها عشرةً، إذا أتى المسلم بواحد منها صار كافرًا -نعوذ بالله من ذلك- ولا فرق بين الهازل والجاد، ولا يُعذر إلا المكره؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]؛

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٢٤٤-٢٤٥)، وابن كثير (٥/ ١٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ولشيخنا شرحٌ مختصر مفيد عليها.

فعُلم أن حرية الاعتقاد ليست على الإطلاق بل ذلك يحتاج إلى تفصيل، وقد وفَّى الشيخ المقام حقَّه بما ذكره من التفصيل.

قوله: (عدم تكفير المشركين وغيرهم من الكفار: كاليهود والنصارى والملحدين والمجوس والطواغيت الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ولا يرضون بحكم الله، فمن لم يكفِّرهم بعد علمه بتكفير الله لهم كفر): وكذلك من شك في كفرهم كفر؛ لأن الشك في الحق كالتكذيب به، كأن يقول: والله لا ندري آليهود والنصارى على حق أم لا! أو يقول: لكلٍ أن يتدين بالدين الذي يناسبه.

قوله: (المستلزم للشرك الأكبر): يقتضي أن السحر ليس كفرًا مطلقًا بل إذا تضمَّن الشرك الأكبر، وحينئذ يكون الكفر بالشرك لا بالسحر، والأظهر أن السحر حقيقيًا أو تخييليًا كفرٌ[(١)]؛ لقوله تعالى عن الملكين اللذين يعلمان السحر أنهم يقولان لمن أراد تَعَلُّمَه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۝٦٩﴾ [طه][(٢)].

(١) بناءً على أن السحر لا يخلو عن الشرك؛ لذلك فهو كفرٌ مطلقًا كما يقوله الجمهور، ومنهم مَن يقول: إنَّ السحر يتنوع؛ فلا يُحكم على الساحر بالكفر إلا بعد معرفة حقيقة سحره، وهذا ظاهر قول الشافعي. ينظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، والمغني (١٢/ ٣٠٠-٣٠٢)، والأم (٢/ ٥٦٦-٥٦٧).

(٢) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد لشيخنا (ص٤٧٩)، (ص٤٨١-٤٨٣).

قوله: (الكراهة لانتصار الإسلام أو المَسَرَّة لانخفاضه): لا ريب أن هذا من أعظم نواقض الإسلام ممن يدعي الإسلام، بل هو في الحقيقة ليس بمسلم في الباطن، بل هو منافق النفاق الأكبر الذين هم في الدرك الأسفل من النار(١)؛ فكراهة ظهور الإسلام، والمَسَرَّة بانخفاضه، وبظهور الكفر مما وَصَفَ الله به المنافقين في مثل قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ [التوبة]، وهذا الموقف يدل على بغضهم للإسلام وأهله، وحبِّهم للكفر وأهله، وأما قوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]، لأن المؤمنين يحبونهم لما يظهرون من الإيمان، ولا يعلمون بواطنهم، وأما المنافقون فلا يحبون المؤمنين لبغضهم الدين، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٢٨﴾ [محمد].

قوله: (تولي الكفار بمحبتهم ونصرتهم وهو يعلم أنَّ متوليهم منهم): هذا يحتاج إلى تفصيل(٢)؛ فيُقال: إذا كانت المظاهرة للكفار على المسلمين نابعة عن بغضٍ للإسلام والمسلمين والرغبة في إذلال المسلمين؛ فهذا هو عمل المنافقين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤).

(٢) ينظر: الدرر السنية (١/ ٤٧٢-٤٧٤)، (٤/ ٤٢٢)، وتفسير السعدي (ص٨٥٦).

نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

وأما إذا كانت المظاهرة ليست في أمور القتال، وإنما في أمر من الأمور التي قد تحقِّق للكفار مصلحةً، وتكون هذه المعاونة لغرض دنيوي، إما رغبة أو رهبة مع بغض الكفار والبراءة من دينهم؛ فهذه فيها نظر، ويمكن أن يُستدلَ على أنَّ ذلك لا يكون كفرًا بقصة حاطب بن أبي بَلْتَعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

قوله: (اعتقاد أنَّ الخروج يسعه عن شريعة محمد ﷺ، وهو يعلم أنه لا يصح لأحد الخروج عنها في أي أمر من الأمور): معنى هذا الاعتقاد: أن شريعة محمد ﷺ ليست عامة لجميع الناس؛ فاليهود والنصارى يسعهم الخروج عن شريعة محمد ﷺ، أي: لا يجب عليهم اتباعه أو كما يقول بعض الصوفية: إن العارف المحقِّق لا يلزمه العمل بشريعة محمد ﷺ؛ لأنه قد وصل إلى الله، وهو يتلقى المعرفة من الله بلا واسطة[٢]!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٥)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤٣-١٤٤).

فمَن زعم أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، وأنه يمكنه التدين لله والوصول إلى رضاه من غير طريق الرسول ﷺ، فهو كافر[١]؛ لأن هذا يناقض شهادة أن محمدًا رسول الله؛ لأنها تقتضي الإيمان بأنه رسول الله إلى الناس كافَّة، وأن أحدًا لا يسعه الخروج عن شريعته؛ إذ لا طريق إلى الله أبدًا منذ بعثه الله إلى أن تقوم الساعة إلا شريعته الخالدة المحفوظة، وقد سدَّ الله كل طريق إلى الجنة، فلا يفتح إلا من طريقه، قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة؛ يهوديٌّ ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[٢].

قوله: (الإعراض عن دين الله، فمن أعرض عن الإسلام بعد تذكيره، لا يتعلمه ولا يعمل به كفر): لأن هذا الإعراض عن دين الإسلام علمًا وعملًا يناقض شهادة أن محمدًا رسول الله[٣]، فمن كان صادقًا في شهادته لا بدَّ أن يتعلم ما جاء به الرسول أو شيئًا منه، ويعمل به؛ فالإعراض التام يدل على كذبه في شهادة أن محمدًا رسول الله[٤].

قوله: (إنكار حكم من أحكام الإسلام المجمع عليها، ومثله لا يجهل ذلك): لأن ما أجمع عليه المسلمون إجماعًا قطعيًا هو مما عُلم

---

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٩٥) وما بعدها، ومجموع الفتاوى (١١/ ٤٠١)، (١١/ ٥٣٩).
(٢) أخرجه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٥٢١)، والدرر السنية (١٠/ ٤٧٢).
(٤) ينظر: شرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص٤٢).

من دين الإسلام بالضرورة، ومما جاء به الرسول؛ فجاحده مكذِّب للرسول ﷺ في بعض ما جاء به، ومن كذَّب الرسول في بعض ما جاء به فهو مكذِّب له في جميع ما جاء به؛ فإن هذا من جنس الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه.



ب-حرية الرأي:

وأعطى الله الحرية في الرأي في الإسلام على شرط ألا يتنافى ذلك الرأي مع تعاليم الإسلام، فأمر المسلم أن يقول كلمة الحق أمام كل أحد لا تأخذه في الله لومة لائم، وجعل ذلك من أفضل الجهاد، وأمره أن يناصح ولاة أمور المسلمين، وينهاهم عن المخالفات، وأمره أن يرد على مَن يدعو إلى الباطل وينهاه، وهذا أعظم وأجمل نظام لاحترام الرأي، أما الرأي المخالف لشريعة الله فلا يُسمح لصاحبه بإظهاره؛ لأنه هدمٌ وفسادٌ ومحاربةٌ للحق.

ج-حرية الشخصية: وأعطى الله في الإسلام الحرية الشخصية في حدود الشريعة الإسلامية المطهرة، فجعل للإنسان -رجلًا أم امرأة- الحرية في تصرفاته فيما بينه وبين الآخرين؛ كالبيع والشراء، والهبة والوقف والعفو، وجعل لكل من الرجل والمرأة حرية اختيار الزوج، فلا يُكره أحدهما بمن لا يرضاه، وفي حال اختيار المرأة رجلًا ليس



مكافئًا لها في الدين؛ فإنه لا يُسمح لها في ذلك حفاظًا على عقيدتها وشرفها، فهو منعٌ لصالحها هي وأسرتها.

وولي المرأة (وهو أقرب الرجال إليها نسبًا أو وكيله) هو الذي يتولى عقد زواجها؛ لأنَّ المرأة لا تزوِّج نفسها؛ لما في ذلك من التشبه بالزانية، فيقول للزوج: زوَّجتُك فلانة، ويجيبه الزوج بقوله: قبلت هذا الزواج، ويحضر العقد شاهدان.

ولا يسمح الإسلام للمسلم أن يتجاوز الحد الذي شرعه الله له، حيث إنَّه وجميع ما يملك ملك لله، فيجب عليه أن يكون تصرفه في حدود شريعة الله التي شرعها رحمة بعباده، مَن تمسك بها اهتدى وسعد، ومَن خالفها شقي وهلك، ولذا حرَّم الله الزنا واللواط أشد التحريم، وحرَّم على المسلم الانتحار وتغيير خلق الله الذي خلقه الله عليه، أما قص الشارب وتقليم الأظافر وحلق العانة ونتف الإبط والختان، فإنَّ الله أمر بذلك[1].

وحرم الله على المسلم أن يتشبه بأعداء الله في الأمور التي من خصائصهم؛ لأنَّ التشبه بهم ومحبتهم في الأمور الظاهرة يؤدي إلى التشبه بهم ومحبتهم في القلب، والله يريد من المسلم أن يكون مُصدِّرًا للفكر الإسلامي الصحيح، وليس مستوردًا لأفكار البشر وآرائهم، والله يريد للمسلم أن يكون قدوة حسنة لا مقلِّدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

أما فيما يتعلق بالصناعات والخبرات الفنية الصحيحة فإنَّ الإسلام يأمر بتعلمها، والأخذ بها، ولو كان السابق إليها غير مسلم؛ لأنَّ الله هو المعلِّم للإنسان، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]، وهذا أعلى مقامات النصح والإصلاح للإنسان في الاستفادة من حريته، وحفظ كرامته وحمايتها من شر نفسه وشر غيره.

د-حرية المأوى: وأعطى الله تعالى للمسلم حرية المأوى، فلا يجوز لأحد أن يدخل عليه بغير إذنه، ولا ينظر إليه في مأواه بغير إذنه.

هـ-حرية الكسب: وأعطى الله للمسلم حرية الكسب والإنفاق في حدود ما شرع له، فأمره أن يعمل ويكتسب لكي يكفي نفسه وأسرته، ولكي ينفق في وجوه البر والإحسان، وفي الوقت نفسه حرَّم الله عليه المكاسب المحرمة مثل: الربا والقمار والرشوة والسرقة وأجرة الكهانة والسحر والزنا واللواط، وحرَّم الله أثمان المحرمات؛ كثمن صور ذوات الأرواح، والخمر والخنزير وآلات اللهو المحرمة، والأجرة على الغناء والرقص، وكما أنَّ الكسب من هذه المصادر محرَّم فكذلك الإنفاق فيها محرَّم؛ فلا يصح للمسلم أن ينفق شيئًا إلا في وجه مشروع، وهذا أعلى مقامات النصح والهداية والإصلاح للإنسان في كسبه وإنفاقه، لكي يعيش غنيًّا بالكسب الحلال سعيدًا.

التَّعْلِيقُ

قوله: (حرية الرأي: وأعطى الله الحرية في الرأي في الإسـلام...) إلى آخره: مقصود الشـيخ الرد على مَـن يدعو إلى حرية الـرأي وحرية الكلمة كما يقولـون، ومضمون هـذا الكلام أنَّ لـكل أحد أن يقول ما شـاء، وهذا فسـاد عريض لا يصح في عقل ولا شـرع؛ فاعتمـاد هذا المنهج لو سُـمح بذلك لحصـل الفسـاد العريـض من طعـن النـاس بعضهم ببعـض، ومن الجرأة على حدود الله وحرماته، فالشـيخ يقول إنّه يجب أن تكون الحرية مقيدة بشـرع اللـه؛ فمـا لا يخالف شـرع الله من الـرأي فهو محتـرم، وما خالفـه فلا حرمة لـه، وممـا يوضح الأمر فـي هذا المقـام: أن اللـه أعطى الإنسان سمعًا وبصرًا وعقلًا، والأصل في الأشياء الإباحة[١]؛ فلا حرام إلا ما حرَّم اللـه، ومن ذلك أقوال الإنسـان وأفعاله، فلا حـرام إلا ما حرم الله ورسـوله، وبناء على هـذا فلا يحجـر على الإنسـان أن يقـول أو يفعل إلا بدليل يوجـب الحَجْر عليه، وبهـذا تبطل الدعوة إلى حرية الـرأي المطلقة بلا قيود ولا حدود فـإن هذه الحرية تـؤول إلى الفوضـى، ولا ينادي بهذه الحريـة إلا من لـه أهداف يريـد الوصـول إليهـا؛ فعُلِم بذلـك بطلان هذه الدعوة لأنها مناقضة للعقل والشرع.

قولـه: (حرية الشـخصية...) إلى آخـره: القول في الحرية الشـخصية يشـبه القول في حرية الرأي بأنها باطلة، وتفضي إلى فسـاد عريض، ويتبين

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر للسيوطي (ص٦٠).

هذا بذكر حقيقتها؛ فحقيقتها: أنَّ للإنسـان أن يتصرف في نفسه بما شاء بلا حدود ولا قيـود في لباسـه وأكله وشـربه، ويتصـرف في ماله كيف شـاء، وهذا مناقض لموجب شريعة الإسلام؛ فإن شريعة الإسـلام تقتضي التقيُّد بأحكامهـا، لذا يجـب على الإنسـان التقيُّد بشـرع الله في جميـع تصرفاته الشـخصية، وفي المقابـل لا يجـوز الحجر عليه فـي شـؤونه الخاصة إلا بدليل من كتاب وسـنة، وما لا دليل عليه لا يُلتفت إليه، ودين الإسـلام هو الوسـط في كل شـيء فلا إفراط ولا تفريـط، وتتحقـق هذه الوسـطية في تصرفات الإنسـان بالعمل بأوامر الله ونواهيه، فيما يأتي الإنسان ويذر من العلاقـات والمعامـلات وكذا العـادات، ومن أهم مـا نبه عليه الشـيخ في موضوع الحرية الشـخصية: تحريم التشـبه بالكفار في عباداتهم وعاداتهم الخاصة بهـم، وأن ذلك لا يدخـل في الحرية الشـخصية، بـل يجب على المسـلم أن يتميز عن الكفار؛ فإن التشبه بهم في عوائدهم مما يَهْوَوْنه، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية]، وقال ﷺ محذرًا عن التشـبه بالكفار: «**مَن تشـبَّه بقوم فهو منهـم**»[(١)] حتى قال بعض أهـل العلم: إن الحديث يـدل على أن مِن التشـبه ما يكون كفـرًا[(٢)]، ولكن الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اسـتدرك فنبَّه على أن الانتفـاع بعلوم الكفار في شـؤون الحيـاة لا يدخل فـي التشـبه الممنـوع؛ لأن العلـوم الدنيوية مشـتركة بين

(١) أخرجه أحمـد (٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١) عن عبد اللـه بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المسـتقيم (١/ ٢٦٩): «وهذا إسـنادٌ جيِّد»، وحسـنه ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٢٧١). وينظر: إرواء الغليل (١٢٦٩).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧٠-٢٧١).

الناس، والله تعالى هو المعلِّم للعباد كل ما يعلمون من علوم الدين والدنيا، ولهذا امتن الله على الإنسان بتعليمه، ومن ذلك علم الكتابة؛ فقال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق]؛ فجزى الله الشيخ على هذا البيان والتفصيل أحسن الجزاء.

قوله: (حرية المأوى: وأعطى الله تعالى للمسلم حرية المأوى...) إلى آخره: حرية المأوى يريد: المنزل، يعني: الإنسان يختص بمنزله ولا سبيل لأحد إلى دخوله إلا بإذنه، حتى ولا ينظر فيه إلا بإذنه.

قوله: (حرية الكسب: وأعطى الله للمسلم حرية الكسب والإنفاق في حدود ما شرع له...) إلى آخره: الإنسان ليس حرًّا في كسب المال ولا في صرفه؛ بل هو مقيَّد بحكم الله وشرعه، فلا يحل للإنسان أن يكسب المال إلا من حله ومِن طُرُقِه المأذون فيها شرعًا، ولا يحل له كذلك الصرف إلا في المأذون له الصرف فيه؛ فالإنسان مقيَّد في أخذ المال وإعطائه بشرع الله، وهذا راجع إلى أنَّ الإنسان ليس حرًّا بإطلاق؛ بل هو عبد لله، يجب أن يتقيد بحكم الله وشرعه في جميع أموره: في أخذه وعطائه وقوله وفعله؛ لأنه عبد، فهذه العبودية لله لازمة للإنسان في جميع تصرفاته، فلا يتصرف إلا بإذن سيده وهو الله، إذن؛ فليس هناك حرية اعتقاد ولا حرية كلمة، فليس للإنسان أن يتكلم بما شاء.

◆◈◈◈◆

تاسعًا: في الأسرة:

نظَّم الله تعالى الأسرة في الشريعة الإسلامية أكمل نظام، تتحقق للآخذين به أسباب السعادة، فشرع الإحسان إلى الوالدين (الأم والأب) بالكلام الطيب والزيارة المستمرة إن كان بعيدًا عنهما، وخدمتهما وقضاء حوائجهما، والإنفاق عليهما وإسكانهما إن كانا فقيرين أو أحدهما، وتوعَّد الله بالعقاب مَن أهمل والديه، ووعد المحسن إليهما بالسعادة.

وشرع الزواج وبيَّن الحكمة في مشروعيته في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وهي:

١. أنَّ بالزواج يتوافر سبب من أكبر أسباب العفة، وحفظ الفرج عن الحرام (الزنا)، وحفظ العين عن النظر إلى الحرام.

٢. وبالزواج تحصل السكينة والاطمئنان لكل من الزوجين بصاحبه؛ لأنَّ الله جعل بينهما مودة ورحمة.

٣. وبالزواج يكثر عدد المسلمين تكاثرًا شرعيًّا فيه الطهر والصلاح.

٤. وبالزواج يخدم كل من الزوجين صاحبه حينما يقوم كل منهما بوظيفته التي تلائم طبيعته كما جعلها الله سبحانه.

فالرجل يعمل خارج البيت ويكتسب المال لينفق على زوجته وأولاده، والزوجة تعمل داخل البيت، فهي تحمل وترضع، وتربي

الأطفال، وتهيئ الطعام لزوجها والبيت والفراش، فإذا دخل متعبًا مهمومًا ذهب عنه التعب والهموم، واستأنس بزوجته وأولاده، وعاش الجميع في راحة وسرور.

ولا مانع أن تقوم بجانب زوجها -إذا تراضيا- ببعض الأعمال التي تكتسب منها لنفسها أو لتساعد زوجها بكسبها، ولكن ذلك مشروط بأن يكون العمل الذي تقوم به بعيدًا عن الرجال بحيث لا تختلط بهم، وذلك كأن يكون في بيتها أو في مزرعتها هي أو مزرعة زوجها أو أهلها، أما العمل الذي يعرضها للاختلاط بالرجال في المصنع أو المكتب أو المتجر أو نحو ذلك فإنَّ هذا لا يجوز للمرأة، ولا يجوز لزوجها، ولا لوالديها وأقاربها السماح لها لو رضيته لنفسها؛ لِما في ذلك من تعريضها وتعريض المجتمع للفساد، فالمرأة ما دامت محفوظة مصونة في بيتها غير معرَّضة للرجال في أمان لا تمتد إليها الأيدي الآثمة، ولا تنظر إليها الأعين الخائنة، أما إذا خرجت بين الناس فإنها حينئذ قد ضاعت، وصارت كالشاة بين الذئاب، لا تلبث وقتًا قصيرًا إلا وقد مزَّق أولئك الأشرار شرفها وكرامتها.

وإذا لم يكتف الزوج بالزوجة الواحدة فقد أباح الله له التعدد إلى أربع فقط، على شرط العدل بينهن فيما يقدر عليه: من المسكن والنفقة والمبيت، أما محبة القلب فليس العدل فيها شرطًا؛ لأنها أمرٌ لا يملكه الإنسان ولا يُلام عليه، والعدل الذي نفى الله استطاعته بقوله سبحانه: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾

[النساء:١٢٩]: هو المحبة وما يلحق بها، فهذا عدلٌ لم يجعل الله سبحانه عدم تحققه مانعًا من التعدد؛ لأنه غير مستطاع، وقد شرع الله التعدد لرسله ولمن يعدل العدل المستطاع؛ لأنه سبحانه أعلم بما يصلحهم فهو خيرٌ للرجال والنساء.

وذلك لأنَّ الرجل السليم لديه استعداد في الناحية الجنسية يستطيع بسببه أن يسد الحاجة الجنسية لدى أربع نسوة وأن يعفهن، فإذا قُصر على امرأة واحدة -كما هي الحال عند النصارى[1] وغيرهم، وكما ينادي بذلك أدعياء الإسلام- إذا قُصر على واحدة حصلت المفاسد الآتية:

الأولى: إن كان مؤمنًا مطيعًا لله يخاف الله فإنه قد يعيش حياته يشعر بشيء من الحرمان، وكبت حاجة النفس الحلال؛ لأنَّ الواحدة يمنع الحملُ -في الأشهر الأخيرة- والنفاسُ والحيضُ والمرضُ زوجَها من التمتع بها، فيعيش بعض حياته كأنه بدون زوجة، هذا إذا كانت تعجبه ويحبها وتحبه، أما إذا كانت لا تعجبه فالأمر أضر من ذلك.

الثانية: وإن كان الزوج عاصيًا لله خائنًا فإنه يرتكب فاحشة الزنا، وينصرف عن زوجته، وكثير ممن لا يرى التعدد يرتكب جرائم الزنا والخيانة في تعدد غير محدود، وأعظم من هذا أنه محكوم بكفره إذا كان يحارب التعدد المشروع، ويعيبه وهو يعلم أنَّ الله أباحه.

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «نبي الله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يحرِّم التعدد، وإنما الذي منعه النصارى اتباعًا لأهوائهم».

الثالثة: أنَّ كثيرًا من النساء يُحرَمن من الزواج والذرية إذا مُنع التعدد، فتعيش الصالحة العفيفة منهن أَيِّمًا مسكينة محرومة، وتعيش الأخرى فاجرة عاهرة يتلاعب المجرمون بعرضها.

ومن المعلوم أنَّ النساء أكثر من الرجال؛ بسبب تعرض الرجال للموت بصفة أكثر بسبب الحروب والأعمال الخطرة التي يقومون بها، كما أنه من المعلوم أنَّ المرأة مستعدة للزواج منذ البلوغ، أما الرجال فليسوا كلهم مستعدين؛ لأنَّ كثيرًا منهم لا يستطيع الزواج لعجزه عن المهر، وعن تكاليف الحياة الزوجية إلخ.

وبهذا يُعلم أنَّ الإسلام أنصف المرأة ورحمها، أما الذين يحاربون التعدد المشروع فإنهم أعداء للمرأة وللفضيلة وللأنبياء؛ فالتعدد سنة أنبياء الله عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذ أنهم يتزوجون النساء، ويجمعون بينهن في حدود ما شرع الله لهم.

وأما الغيرة والحزن الذي تحس به الزوجة حينما يأخذ زوجها الأخرى فهو أمر عاطفي، والعاطفة لا يصح أن تقدَّم في أي أمر من الأمور على الشرع، ويمكن للمرأة أن تشترط لنفسها قبل عقد الزواج أن لا يتزوج عليها زوجها، فإذا قبل لزمه الشرط.

وإذا قرر الزواج عليها فلها الخيار في البقاء أو الفسخ، ولا يأخذ شيئًا مما أعطاها.

وشرع الله الطلاق، وبوجه أخص في حال الخلاف والشقاق بين الزوجين، وفي حال عدم محبة أحد الزوجين للآخر؛ لكي لا يعيشا في

شقاء وخلاف، ولكي يجد كل منهما زوجًا يرضاه، يسعد به بقية حياته وفي آخرته[(١)] إذا مات كل منهما على الإسلام.



التَّعْلِيقُ

الأسرة: هي أهل البيت الواحد الذي يضم الزوجين وما حصل لهما من ذرية، إذن: فالزوجان هما الوالدان، ومعلوم في شريعة الإسلام أن لكل من الزوجين حقًّا على الآخر، وعلى كل منهما واجبات تخصه وتناسبه، وللوالدين حقًّا على أولادهما،كذلك معلوم أن الأسرة مبنية على الزواج، وللزواج أحكام، وقد تطرَّق الشيخ في موضوع الأسرة لكل الجوانب المتعلق بها؛ فبدأ بذكر حق الوالدين، وذِكر الحقوق التي بين الزوجين، وذِكر بعض أحكام الزواج، وأهمها إباحة التعدد، وفصَّل في ذلك، وذَكر الأسباب المقتضية له، والمفاسد المترتبة على عدمه، كما ذَكر حُكم عمل المرأة، وما يباح منه وما يحرم، وردَّ على دعاة الاختلاط، والمنكرين لحكم تعدد الزوجات، حتى أشار إلى كفر من حرَّم التعدد؛ لأنه مضادة لشرع الله، وتحريم لما أباح الله، وأنه ليس من ذلك كراهة

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «**النساء المسلمات الصالحات إذا أدخلهنَّ الله الجنة بعد البعث والحساب، يخيرهنَّ في أهل الجنة من الرجال المسلمين، فيتزوجن من يرضينه، والزوجة المسلمة إذا ماتت وقد تزوجت أكثر من مرة تختار أحب أزواجها إليها في الدنيا إذا كان من أهل الجنة**». انتهى كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم نجد دليلًا على ما ذكر في تخيير النساء في أهل الجنة، ونبَّه على ذلك شيخنا في التعليق. والله أعلم بالصواب.

المرأة للتعدد من زوجها فتلك كراهة طبعية مع الرضا بحكم الله[1]، وقد أحسن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا التفصيل في موضوع الأسرة إلا أنه ذهل عما يجب على الوالدين في تربية أولادهما، وأيضًا كان الأَولى أن يقول: شرع الله أحكام الأسرة بدل: نظَّم الله الأسرة، وإن كان المعنى الذي أراده صحيحًا.

قوله: (ولكن ذلك مشروط بأن يكون العمل الذي تقوم به بعيدًا عن الرجال بحيث لا تختلط بهم...) إلى آخره: بلاء الاختلاط والعمل مع الرجال من أعظم ما دخل على المسلمين من تبعيتهم للأعداء، والكفار هم جنود الشيطان لا يريدون بالمسلمين خيرًا، ويعملون على أن يتبعهم المسلمون ويقلدوهم ويسيروا سيرتهم، وهذا مصاب جَلَلٌ قد أُصيبت به الأمة الإسلامية في سائر الأقطار، فنسأل الله العافية، وكلام الشيخ كلامٌ عظيمٌ طيِّبٌ فيه تفصيل بين الحلال والحرام في عمل المرأة.

قوله: (وتعيش الأخرى فاجرة عاهرة يتلاعب المجرمون بعرضها): أي: التي ليس عندها خوف من الله، مثلما قال في الرجل.

قوله: (ويمكن للمرأة أن تشترط لنفسها قبل عقد الزواج أن لا يتزوج عليها زوجها، فإذا قبل لزمه الشرط): هذا على الصحيح، ومن أهل العلم مَن يقول: لا يصح هذا الشرط، لكنّ الصحيح أنه يصح؛ لأنَّ التعدد ليس بواجب، وهي تجد حرجًا، ولا تستطيع أن تعيش عيشة هنيئة مع وجود

---

(١) ينظر ضابط البغض الذي هو كفرٌ ونفاقٌ في: شرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص٢٧).

الضـرَّة والضرائـر، فإذا اشـترطت علـى ألا يتـزوج عليها فلهـا ذلك على الصحيح[١].

قوله: (وإذا لم يكتف الـزوج بالزوجة الواحدة فقد أبـاح الله له التعدد إلى أربع فقط...) إلى آخره: موضوع التعدد التشـنيع عليه والتنفير منه من الدعوات الدخيلة على المسـلمين من تبعيتهم للكفـار وجريانهم وراءهم، فمن ينكر إباحـة التعدد فهو كافر؛ لأنه مُفْتَرٍ على اللـه ومحرِّم لما أحل الله كما أشـار الشـيخ، وأما المرأة إذا كرهت التعدد فهذا بموجب الطبع، فإنها تؤمن بإباحتـه لكنها لا تحبـه، وليسـت مأمورة بـأن ترضاه لنفسـها، لكن يجب عليها أن ترضى بحكم الله وإن كانت لا تحب وقوعه من زوجها.

قولـه: (لأنَّ الواحـدة يمنع الحمـلُ -في الأشـهر الأخيـرة- والنفاسُ والحيضُ والمـرضُ زوجَها من التمتع بهـا): هذا المنع ليس بمنعٍ شـرعيٍّ بمعنى أنه يَحْرُم، بل الحمل يمنع الجماع بحكـم العادة والطبع؛ أولًا: لأن الزوج لا يرغب فيهـا وهي مثقلة في آخر أيـام الحمل، وثانيًـا: أن الجماع يشق على المرأة وهي في هذه الحال.

قوله في الحاشـية: (يخيرهنَّ في أهل الجنة من الرجال المسلمين...) إلى آخره: لم يذكر الشيخ لهذا دليلًا. فلينظر.



(١) ينظـر: المغنـي (٩/ ٤٨٣)، ولشـيخنا فتوى محـررة في المسـألة بعنـوان: «حكم اشتراط عدم التعدد في عقد النكاح»، وهي منشورة في الموقع الرسمي.

عاشرًا: في الصحة:

جاءت الشريعة الإسلامية بأصول الطب كلها، ففي القرآن العظيم وأحاديث الرسول محمد ﷺ بيانُ كثيرٍ من الأمراض النفسية والجسمية، وبيانُ علاجها المادي والروحي، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال الرسول محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء، علمه مَن علم، وجهله مَن جهل»[١]، وقال: «تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام»[٢]، وفي كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للعلامة الإمام ابن القيم تفصيل ذلك، فليراجع ذلك الكتاب، فإنه من أنفع الكتب

(١) أخرجه أحمد (٣٥٧٨)، (٣٩٢٢)، والطبراني في الكبير (١٠٣٣١) بنحوه، وابن ماجه (٣٤٣٨) دون قوله: «**علمه....**» عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (٨٢٠٥)، وابن حبان (٦٠٦٢). وينظر: الصحيحة (٤٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)، والبيهقي (١٩٧١٣) بنحوه عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (١٣١٥) بلفظ: «**إن الله خلق الداء والدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام**»، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٣٣). ويشهد لقوله: «**ولا تداووا بحرام**» ما علَّقه البخاري بصيغة الجزم في كتاب الأشربة، «باب شراب الحلواء والعسل» قبل حديث (٥٦١٤): قال ابن مسعود في السَّكَر: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم»، وصححه ابن حبان (١٣٩١) بنحوه عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

الإسـلامية وأصحها وأشـملها لبيان الإسـلام، وسـيرة خاتم المرسلين محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



التَّعْلِيقُ

الصحة نعمة مِن نِعَم الله على عبده، وهي السلامة من العلل، وضدُّها المرض، والشـريعة الكاملة التي دلَّت على كل خير، وحذرت من كلِّ شـرٍّ تضمَّنت الإرشـاد إلى الأخـذ بأسـباب الصحة والقـوة؛ فأَمَرَ اللـه بالأكل والشـرب مما أحـل الله ممـا يحفـظ القـوة وتبقى بـه الحيـاة، ونهى عن الإسـراف في الأكل والشـرب مما تتولَّد عنه العلل والآفـات؛ قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعـراف]، وقـد منَّ الله على عباده بما خلق، وبما أنزل من أسـباب الشفاء؛ فقال تعالى في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسـراء:٨٢]، وأمر النبـي ﷺ بالتداوي كما فـي الحديث الذي ذكـره المؤلـف، وأرشـد إلـى بعـض الأدويـة؛ كالحبَّة السـمراء[١] والعسـل، وأبوال الإبـل وألبانها كمـا في قصـة العُرَنِيِّين[٢]، وقـال للرجل الذي ذكر أن أخـاه مصاب بداء البطن؛ فقال له: «**اسـقه عسـلًا**»، وقد تردد الرجل إلى الرسول ثلاث مرات، وفي كل مرة يقول ﷺ: «**اسقه عسلًا**»[٣].

(١) أخـرج البخـاري (٥٦٨٧)، (٥٦٨٨) عن عائشـة وأبـي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومسـلم (٢٢١٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أنها شفاء من كل داء إلا السَّام**».

(٢) أخرجه البخاري (١٥٠١)، ومسلم (١٦٧١) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد ذكر ابن القيم أن أصول الطب ثلاثة، وكلها في القرآن: الحمية، وحفظ القوة، والاستفراغ، ثم بين ذلك(١)، وقد أشار المؤلف لذلك، وأرشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الرجوع إلى كتاب ابن القيم «الطب النبوي» الذي هو جزء من «زاد المعاد»(٢).

وقد أحسن المؤلف حيث نبَّه إلى هذا الجانب، وهو الصحة كما جاءت به الشريعة الكاملة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان، وهي شريعة القرآن التي أمر اللهُ نبيَّه باتباعها؛ فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية].

قوله: (وقال الرسول محمد): لا داعي لذكر الاسم محمد؛ لأن الرسول إذا أُطلق لا ينصرف إلى غير نبينا محمد ﷺ.

قوله: (علمه مَن علم، وجهله مَن جهل): المعروف في لفظ الحديث إعادة الضمير في الجملة الثانية، ولفظه هكذا: «**علمه من علمه، وجهله من جهله**»(٣).



(١) ينظر: زاد المعاد (٤/ ٦).
(٢) زاد المعاد (٤/ ٥).
(٣) وهي رواية أحمد (٣٥٧٨)، (٣٩٢٢)، والطبراني في الكبير (١٠٣٣١)، والحاكم (٨٢٠٥) وغيرهم.

أحد عشر: الاقتصاد والتجارة والصناعة والزراعة: وما يحتاج إليه الناس من الماء والطعام والمرافق العامة، والتنظيم الذي يضمن لهم صيانة مُدُنهم وقُراهم ونظافتها، وتنظيم السير فيها، ومكافحة الغش والكذب إلى غير ذلك، كل هذا قد جاء في الإسلام بيانه مفصَّلًا على أكمل وجه.



التَّعْلِيقُ

اختصر المؤلف الكلام في موضوع المال على اختلاف وجوه كسبه من صناعة وزراعة وتجارة، واكتفى بالإشارة بتنظيم ذلك، وبيان أحكامه على أكمل وجه، كما هو الشأن في جميع الجوانب المتعلقة بالإنسان الدينية والدنيوية، وبهذه المناسبة نقول: إن الله أمر عباده بطلب الرزق، وأرشد إلى أسبابه إجمالًا؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خيرٌ؛ احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم:

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤﴾ [طه]، فأنعم الله على عباده بجميع النعم الدينية والدنيوية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فله الحمد والشكر، والله أعلم.



اثنا عشر: في بيان الأعداء الخَفِيِّين وطريق الخلاص منهم:

بيَّن الله سبحانه في القرآن الكريم لعبده المسلم أنَّ له أعداء تجره إلى الهلاك في الدنيا والآخرة إذا انقاد لها واتبعها، فحذره إياها، وبيَّن له طريق الخلاص منها، وهؤلاء الأعداء:

أولهم: الشيطان اللعين: الذي يدفع بقية الأعداء ويحركها ضد الإنسان، فهو عدو أبينا آدم، وأُمِّنا حواء، الذي أخرجهما من الجنة، وهو العدو الدائم لذرية آدم إلى نهاية الدنيا، يعمل جاهدًا على إيقاعهم في الكفر بالله حتى يخلِّدهم الله معه في النار -والعياذ بالله- ومَن عجز عن إيقاعه في الكفر عمل على إيقاعه في المعاصي التي تعرِّضه لغضب الله وعذابه.

والشيطان روحٌ يجري من الإنسان مجرى الدم، يوسوس في صدره، ويزين له الشر حتى يوقعه فيه إذا أطاعه. وطريق الخلاص منه كما بينه الله سبحانه هو أن يقول المسلم إذا غضب أو همَّ بارتكاب معصية:

«أعـوذ بالله مـن الشـيطان الرجيـم»، ولا يُعمِـل غضبه ولا يُقـدِم على المعصية، وأن يعلم أنَّ دافع الشـر الذي يحس به في نفسـه إنما هو من الشـيطان، لكي يوقعه في الهلاك، ثم يتبرأ منه بعد ذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

العدو الثاني: الهوى: ومنه ما قد يشـعر به الإنسـان من رغبة في رفض الحق وردِّه إذا جاء به غيره، ومِن رغبةٍ في رفض حكم الله تعالى وردِّه؛ لأنه خلاف ما يريـد، ومن الهوى: تقديـم العاطفة علـى الحق والعدل. وطريق الخلاص مـن هذا العدو هـو أن يسـتعيذ العبد باللـه تعالى من اتبـاع هواه، وأن لا يسـتجيب لدافـع الهوى فـلا يتبعه؛ بل يقـول الحق ويقبله ولو كان مُرًّا، ويستعيذ بالله من الشيطان.

العدو الثالث: النفس الأمَّارة بالسـوء: ومِن أَمْرِها بالسـوء ما يشـعر به الإنسـان في نفسـه مـن رغبة فـي فعل شـهوة محرمـة؛ كالزنا وشـرب الخمر، والفطر فـي رمضان بدون عذر مشـروع، ونحو ذلـك مما حرم الله. وطريق الخلاص من هذا العدو هو أن يسـتعيذ بالله تعالى من شر نفسـه، ومن الشـيطان، ويصبر عن فعل هذه الشـهوة المحرمة، ويكف عنها ابتغـاء مرضاة الله، كمـا يصبِّر نفسـه عن الأكل أو الشـرب الذي يشـتهيه، لكنه يضره لو أكله أو شـربه، ويتذكر أنَّ هذه الشهوة المحرمة سريعة الزوال تَعْقُبُها حسرةً وطول ندامة.

العدو الرابع: شياطين الإنس: وهم عصاة بني آدم الذين لعب بهم الشيطان، وصاروا يفعلون المنكر ويزينونه لمن يجالسهم. وطريق الخلاص من هذا العدو هو الحذر منه والبعد عنه وعدم مجالسته.

التَّعليق

يذكر الشيخ في هذا الموضوع مصادر الشر على الإنسان، وسمَّاهم الشيخ: الأعداء الخفيِّين. وكل مَن يريد بك السوء، ويريد مضرَّتك فهو عدو لك، ويقول الشيخ: إن الله ذَكر هؤلاء الأعداء، ودلَّ على ما يحصل به الخلاص منهم، وهؤلاء الأعداء الخفيُّون كما قال الشيخ هم: الشيطان، والنفس الأمَّارة بالسوء، والهوى، وشياطين الإنس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وطريق التخلص من هؤلاء: الاستعاذة بالله من الشيطان، ومن النفس الأمَّارة بالسوء، ومعصية الهوى، والاستعانة بالله على ذلك، واجتناب كل مَن يدعو إلى معصية الله بترك مجالسته، والاستماع إلى كلامه، وجماع ذلك كله: سؤال الله الهداية والعافية؛ فلا عاصم من هذه الأعداء إلا الله تعالى، فإن الله ابتلى الإنسان بهؤلاء الأعداء، وهو القادر على كفِّ شرهم، ومن سنَّة الله وحكمته ابتلاءُ الإنسان في هذه الحياة بالخير

والشر؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، فهذه الحياة ميدان لجهاد الأعداء الخفيين والظاهرين، ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، ومن جاهد في الله أعانه الله ونصره على أعدائه؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].



ثالث عشر: في الهدف السامي والحياة السعيدة: والهدف السامي الذي وجَّه الله سبحانه عباده المسلمين إليه ليس هذه الحياة الدنيا وما فيها من المغريات الفانية، وإنما هو الاستعداد للمستقبل الحقيقي الخالد، وهو الحياة الآخرة بعد الموت، فيعمل المسلم الصادق في هذه الحياة باعتبار أنها وسيلة للحياة الآخرة ومزرعة لها، وليست غاية في ذاتها.

فهو يتذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، **وقوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر]، **وقول الله تعالى:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].



يتذكر المسلم الصادق هذه الآيات العظيمة وما ماثلها من كلام الله تعالى الذي يوجه به عباده للغاية التي خلقهم من أجلها، والمستقبل الذي ينتظرهم لا محالة؛ فيستعد لذلك المستقبل الحقيقي الخالد بإخلاص العبادة لله وحده، والعمل بما يرضه راجيًا رضا الله عنه، وإكرامه له في هذه الحياة بطاعته، وبعد الممات بإدخاله في دار كرامته، فيكرمه الله في هذه الحياة بأن يُحييه حياة طيبة، فيعيش في ولاية الله وحفظه، ينظر بنور الله، يؤدي العبادات التي أمره الله بها، فيتلذذ فيها بمناجاة الله تعالى، ويذكر الله في قلبه وبلسانه فيطمئن بذلك قلبه.

ويحسن إلى الناس بقوله وفعله، فيسمع من الكرام منهم من الاعتراف بإحسانه، والدعاء له ما يسره ويشرح صدره، ويرى من الحُسَّاد اللئام نكران جميله، فلا يمنع الإحسان إليهم؛ لأنه إنما يريد به وجه الله وثوابه، ويسمع ويرى من الأشرار المبغضين للدين وأهله من الاستهزاء والأذى ما يذكِّره برسل الله، فيعلم أن هذا في سبيل الله فيزداد حبًّا للإسلام وثباتًا عليه، ويعمل بيده في المكتب أو المزرعة أو المتجر أو المصنع؛ لينفع الإسلام والمسلمين بإنتاجه، وليحصل له الأجر من الله يوم يلقاه على إخلاصه ونيته الصالحة، وليتحصل على الكسب الطيب الذي ينفقه على نفسه وأسرته، ويتصدق منه فيعيش غني القلب، شريفًا قانعًا، يرجو الأجر من الله تعالى، لأن الله يحب المؤمن القوي المحترف، ويأكل ويشرب وينام بدون إسراف، لكي

يتقوى بذلك على طاعة الله، ويعاشر زوجته لكي يعفها ويعف نفسه عما حرَّم الله، ولكي ينجب أولادًا يعبدون الله، ويَدْعُون له حيًّا وميتًا فيستمر عمله الصالح، ويكثر بهم عدد المسلمين، فيحصل له بذلك الأجر من الله، ويشكر الله تعالى على كل نعمة تحصل له بالاستعانة بها على طاعته، والاعتراف بأنها من الله وحده، فيحصل له الأجر من الله، ويعلم أن ما يُصيبه أحيانًا من الجوع والخوف والمرض والمصائب إنما هو اختبار من الله له، ليرى الله -وهو به أعلم[(١)]- مدى صبره ورضاه بقدر الله، فيصبر ويرضى ويحمد الله تعالى على كل حال رجاءً في ثوابه الذي أعدَّه للصابرين، فتهون عليه المصيبة ويتقبلها، كما يتقبل المريض مرارة الدواء طمعًا في الشفاء.

فإذا عاش المسلم في هذه الحياة كما أمره الله بهذه الروح العالية، يعمل للمستقبل الحقيقي الخالد؛ ليسعد السعادة الخالدة التي لا تكدِّرها مكدِّرات هذه الحياة، ولا يقطعها الموت، فهو بلا شك السعيد في هذه الحياة الدنيا، والسعيد في الحياة الآخرة بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص]، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿مَنْ

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «يأمر الله عباده وينهاهم وهو يعلم من سيطيع ومن سيعصي قبل ذلك، ولكن لكي يظهر هذا العلم حتى يجازى العبد بعمله فلا يقول المسيء: ظلمني ربي حيث عاقبني بذنب لم أفعله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]».

﴿عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل].

في الآية الكريمة السابقة وما ماثلها يخبر الله تعالى: أنه يجازي الرجل الصالح والمرأة الصالحة اللذين يعملان في هذه الحياة بطاعة الله ابتغاء مرضاته بجزاء عاجل في هذه الحياة، وهو الحياة الطيبة السعيدة التي قدَّمنا ذِكرها، وجزاء آجل بعد الموت، وهو نعيم الجنة الخالد، وفي هذا يقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عجبًا للمؤمن إنَّ أمره كله له خير إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له»[١].

وبهذا يتبين أن في الإسلام وحده الفكر السليم، والمقياس الصحيح للحسن والقبيح، والمنهاج الكامل العادل، وأن كل الآراء والنظريات في علم النفس والمجتمع والتربية والسياسة والاقتصاد، وكل النظم والمناهج البشرية يجب أن تُصحَّح على ضوء الإسلام، وأن تُستمد منه، وإلا فمن المحال نجاح ما خالفه منها، بل إنها مصدر شقاء الآخذين بها في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

التعليق

السعادة مطلب لكل أحد، وهي راحة النفس، ونعيم القلب؛ فإنه ينشأ عن ذلك السرور والفرح بذهاب الهموم والغموم والخوف والحزن، وهذه السعادة تختلف طرق الناس للوصول إليها بحسب مطالبهم ومحبوباتهم، وبحسب ما أُوتوا من علم وعقل، ولا طريق إلى السعادة الحقيقية الأبدية إلا ما أرشد الله إليه في كتبه المنزلة، وما بلَّغته رسله من دينه وشرعه، وأعظم ذلك: ما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ خاتم النبيين من الهدى ودين الحق، فمن اتبعه نال السعادة في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب]، وطاعة الله ورسوله تكون بعبادة الله وحده لا شريك له، وأداء ما افترض الله على عباده، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله من الأقوال والأفعال، والتقرُّب إلى الله بما يحب من الأقوال والأعمال، ومن ذلك الإحسان إلى عباد الله بأنواع الإحسان، وكف الأذى باليد أو اللسان؛ كما في الحديث: «**المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده**»[1]، فلا يعتدي على أحد بأي نوع من أنواع الاعتداء في النفس أو العرض أو المال، وهذا يشمل أداء الحقوق التي لله، والحقوق التي للخلق، فمَن قام بذلك نال السعادة في الدنيا والآخرة، وفاز بالحياة الطيبة

---

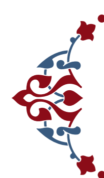
(١) أخرجه البخاري (١٠) -واللفظ له-، ومسلم (٤٠) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه مسلم (٤١) بهذا اللفظ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

في الدنيـا والآخرة؛ قـال تعالـى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحـل]، وبعد: فقد أحسـن الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بحث هذا الموضوع: موضوع السـعادة بذكر حقيقتها وأسـبابها المُفْضِيـة إليها، مـع التنبيه على الفرق بين الدنيا والآخـرة، وأن الواجب العمل للآخـرة، والحذر من إيثار الدنيا على الآخرة؛ فإن الدنيا فانية، ونعيمها تكـدِّره المصائب والمخاوف والأحزان، والآخرة باقية، ونعيمها دائم لا يكدِّره شـيء، وختم الشيخ بهذا الموضوع كأنه يقول: إنَّ السـعادة إنما تُنال بالتمسـك بالديـن الحق؛ وهو الإسلام، فنسأل اللهَ الذي مَن علينا فجعلنا مسـلمين أن يُثبتنا على الإسلام حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

قولـه فـي الحاشـية: (ولكـن لكـي يظهـر هـذا العلـم): أي فـي الواقع المشاهد[1].



(١) ينظـر: الـرد علـى المنطقييـن لابـن تيميـة (ص٥٠٩-٥١١)، وأضـواء البيـان (١/ ١٠٤).




الفصل الخامس:
كشف بعض الشبهات

أولًا: الذين يسيئون إلى الإسلام:

أكثر مَن يسيء إلى الإسلام صنفان من الناس:

الصنف الأول: أناس ينتسبون إليه ويدَّعون أنهم مسلمون، ولكنهم يخالفون الإسلام بأقوالهم وأفعالهم، فيرتكبون أعمالًا الإسلام منها براء، فهم لا يمثلون الإسلام، ولا يصح أن تنسب أفعالهم إلى الإسلام، وهؤلاء هم:

(أ) المنحرفون في عقائدهم: كالذين يطوفون على القبور ويطلبون حاجاتهم من أهلها، ويعتقدون النفع والضر فيهم... الخ.

(ب) المُنْحَلُّون في أخلاقهم ودينهم: فيتركون فرائض الله، ويرتكبون محرماته؛ كالزنا وشرب الخمر... إلخ، ويحبون أعداء الله ويتشبهون بهم.

(ج) وممن يسيء إلى الإسلام أناسٌ مسلمون، لكن إيمانهم بالله ضعيف، وتطبيقهم لتعاليم الإسلام ناقص، فهم مقصرون في بعض الواجبات، لكنهم لا يتركونها، ويرتكبون بعض المحرمات التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر أو غيره من أنواع الكفر، وقد اعتادوا

عادات سيئة محرَّمة، الإسلام بريء منها، ويعتبرها من كبائر الذنوب مثل: الكذب والغش وإخلاف الوعد والحسد، فهؤلاء جميعًا يسيئون إلى الإسلام؛ لأنَّ الذي يجهل الإسلام من غير المسلمين يظن أنَّ الإسلام يسمح لهم بذلك.

أما الصنف الثاني: ممن يسيئون إلى الإسلام فهم أناس من أعداء الإسلام، الحاقدين عليه، وهؤلاء منهم: المستشرقون، والمبشرون النصارى واليهود، ومَن حذا حذوهم من الحاقدين على الإسلام، الذين غاظهم كماله وسماحته وسرعة انتشاره؛ لأنه دين الفطرة[١] الذي تقبله الفطر بمجرد عرضه عليها، فكل إنسان غير مسلم يعيش في قلق، وفي شعور بعدم الرضا عن دينه أو مذهبه الذي هو يعتنق، لأنه يخالف فطرته التي فطره الله عليها إلا المسلم حقًّا، فإنه الوحيد الذي يعيش سعيدًا راضيًا بدينه؛ لأنه الدين الحق الذي شرعه الله، وشريعة الله توافق فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولذا نقول لكل نصراني ولكل يهودي ولكل خارج عن الإسلام: إنَّ أطفالك وُلِدُوا على فطرة الإسلام، لكنك وأمَّهم تُخرجانهم من الإسلام بالتربية الفاسدة على الكفر، وهو ما خالف الإسلام من الأديان والمذاهب.

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «قال خاتم المرسلين محمد ﷺ: «ما من مولود إلا ويُولَد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، في هذا الحديث الصحيح: يخبر الرسول محمد ﷺ أنَّ الإنسان يُولَد على فطرة الإسلام، يؤمن به بفطرته، فلو تُرك يختار اختار الإسلام دون تردد، وإنما يحصل اعتناق اليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها من الأديان والمذاهب الباطلة بسبب التربية عليها».

وقد عمد أولئك الحاقدون من المستشرقين والمبشرين إلى الافتراء على الإسلام، وعلى خاتم المرسلين محمد ﷺ:

١. بتكذيب رسالته تارة.

٢. وبرميه بالعيب تارة، وهو الكامل المبرَّأ من الله رغم أنوفهم من كل عيب ونقص.

٣. وبتشويه بعض أحكام الإسلام العادلة التي شرعها الله العليم الحكيم؛ لينفِّروا الناس عنه.

ولكن الله سبحانه يُبطِل كيدهم؛ لأنهم يحاربون الحق، والحق يعلو ولا يُعلى عليه، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف].



التَّعْلِيقُ

الشبهات التي يعترض بها أعداء الإسلام كثيرة، ويجب على مَن آتاه الله علمًا أن يردَّ على أصحاب هذه الشبهات بكشفها وبيان فسادها، وأنها لا تَرِدُ على الإسلام لا في عقائده ولا في شرائعه، فإنه الدين الحق الكامل، فلا تقدح فيه شبهات الطاعنين لأنها حجج داحضة، وقد أحسن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لفت النظر إلى هذا الموضوع الذي هو من قبيل الجهاد في سبيل الله؛ فإن الجهاد كما يكون بالسيف والسنان يكون بالقلم واللسان بالحجة والبيان، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكر إلا شبهة واحدة: وهي الطعن على الإسلام بأفعال أهله السيئة من شرك القبور وأنواع

المعاصي، وقال الشيخ عنهم: **(إنهم بذلك يسيئون إلى الإسلام)**؛ لأن الجهال، وأعداء الإسلام يظنون أن هذه الأعمال من الإسلام؛ فيكرهون الإسلام لذلك، ويطعنون على الإسلام بأفعال أهله[١]، وكان الواجب على المسلمين أن يدعوا إلى الإسلام بأقوالهم وأفعالهم، ويكونون صورةً معبِّرة عن الإسلام الحق، ودالة على أنه الدين الحق.



ثانيًا: مصادر الإسلام:

فإذا أردت -أيها الإنسان العاقل- أن تعرف الإسلام على حقيقته فاقرأ القرآن العظيم، وأحاديث الرسول محمد ﷺ الصحيحة المكتوبة في «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، و«موطأ الإمام مالك»، و«مسند الإمام أحمد بن حنبل»، و«سنن أبي داود»، و«سنن النسائي»، و«سنن الترمذي»، و«سنن ابن ماجه»، و«سنن الدارمي»، واقرأ «السيرة النبوية» لابن هشام، و«تفسير القرآن العظيم» للعلامة إسماعيل بن كثير، وكتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للعلامة محمد بن القيم، وأمثالها من كتب أئمة الإسلام، أهل التوحيد والدعوة إلى الله على بصيرة أمثال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، الذي أعز الله به وبأمير الموحِّدين محمد بن سعود دين الإسلام وعقيدة التوحيد في جزيرة العرب، وبعض الأماكن في القرن الثاني عشر الهجري إلى الآن بعدما تفشَّى الشرك.

(١) ينظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٧٣).

أما كتب المستشرقين والطوائف التي تنتسب إلى الإسلام وهي تخالفه بما تدعو إليه من أمور مخالفة للإسلام فقد تقدَّم ذكر أكثرها، أو تتعرض لأصحاب رسول الله ﷺ، أو لبعضهم بالسب والشتم، أو تقدح في الأئمة الداعين إلى توحيد الله تعالى مثل: ابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، وتفتري عليهم الكذب فإنها كتب مضللة، فاحذر أن تغترّ بها أو تقرأها.



التَّعْلِيقُ

خلاصة القول: مصادر الإسلام هي الكتاب والسنة، وكتب أهل السنة الذين يعوِّلون في دينهم على كتاب الله وسنة رسوله، وأراد الشيخ بذكر المصادر تعريف من يرغب في الإسلام من الكفار بالكتب التي يَعرِف منها حقيقة الإسلام وأصوله وشرائعه وأحكامه.

ومصادر العلم: كل ما يستمد منه العلم من كتب أو علماء، وأصل علوم الدين هما الكتاب والسنة؛ فيجب التعويل عليهما، ولا بدَّ من تعلم اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن والحديث، ولغة مَن نقلهما، فجزى الله الشيخ المؤلف على هذه التنبيهات النافعة أحسن جزاء.

قوله: (فقد تقدم ذكر أكثرها) يُراجَع ما تقدَّم[1].



(١) تنظر: (ص٢٢٢).



ثالثًا: المذاهب الإسلامية:

جميع المسلمين على مذهب واحد وهو الإسلام، ومرجعهم هو القرآن وحديث الرسول، وأما ما يُسمَّى بالمذاهب الإسلامية؛ كالمذاهب الأربعة: الحنبلي والمالكي والشافعي والحنفي؛ فإنما يُعنى بها مدارس الفقه الإسلامي التي درَّس هؤلاء العلماء تلاميذهم فيها، وكَتب تلاميذ كل عالم القواعد والمسائل التي استنبطها من آيات القرآن وأحاديث الرسول، فنُسبت هذه المسائل إليه، وسُميت مذهبًا له فيما بعد، فهي متفقة في أصول الإسلام، ومرجعها كلها القرآن، وأحاديث الرسول، وما وُجد بينها من اختلاف فهو في مسائل فرعية نادرة، أَمر كلُّ عالم تلاميذه أن يأخذوا فيها بالقول الذي يدعمه النص من القرآن أو الحديث، ولو كان قائله غيره.

وليس المسلم ملزمًا بواحد منها، وإنما هو ملزم بالرجوع إلى القرآن والحديث، وأما ما يقع فيه الكثير ممن ينتسبون إلى تلك المذاهب من انحراف في العقيدة بما يفعلونه عند القبور من الطواف بها، والاستعانة بأهلها، وما يقعون فيه من تأويل صفات الله، وصرفها عن معانيها الظاهرة، فإنَّ هؤلاء مخالفون لأئمة مذاهبهم في العقيدة؛ لأنَّ عقيدة الأئمة هي عقيدة السلف الصالح التي تقدم ذكرها في الفرقة الناجية.



التَّعْلِيقُ

المذهب: ما يختاره الإنسان لنفسه من طريقة أو رأي في دين أو عقيدة أو سلوك[١]، ولهذا قال الشيخ: إن مذهب المسلمين جميعًا هو الإسلام؛ لأنهم لا يختارون غيره من الأديان، وأمَّا المذاهب الأربعة المعروفة فهي نسبة إلى علماء أئمة اجتهدوا في مسائل الأحكام، وصارت لهم آراء، فتلقَّاها عنهم تلاميذهم، واشتهرت عنهم، وتكوَّن مذهبُ الإمام من مجموع آرائه فنُسب إليه، وكذلك نُسب إليه مَن أخذ بمذهبه؛ وهم أصحابه. والمذاهب المشهورة في مسائل الأحكام هي المذاهب الأربعة، فالأئمة وأصحابهم مختلفون في مسائل كثيرة، وسبب ذلك اختلاف الأفهام، واختلاف الاجتهاد، ولا يضرُّ ذلك الاختلاف ولا يقدح فيهم؛ لأنهم طالبون الحق، ولكنَّ المذموم هو التعصب الذي يقع كثيرًا من المقلدين لأصحاب تلك المذاهب، وكان الأئمة ينهون عن التعصب لآرائهم، ويوصون بالعمل بالدليل من الكتاب والسنة[٢]، وقد نبَّه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمّا دخل على بعض أتباع الأئمة من مخالفات عقديةٍ أو بدع عملية، وأنه لا يجوز نسبة ذلك إلى الأئمة؛ فإن الأئمة الأربعة كلهم من

(١) ينظر: تاج العروس (٢/ ٤٥٠).
(٢) تنظر أقوالهم في: أصل صفة صلاة النبي للألباني (١/ ٢٣).

أهل السنة، فبعض أتباعهم خالفوهم، وأكَّد الشيخ على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنَّة فإنهما حبل النجاة؛ فجزاه الله خيرًا، وغفر له.



رابعًا: فِرَقٌ خارجة عن الإسلام:

ويوجد في العالم الإسلامي فِرَقٌ خارجة عن الإسلام، وهي تنتسب إليه، وتدَّعي أنها مسلمة، لكنها في الحقيقة غير مسلمة؛ لأنَّ عقائدها عقائد كفر بالله وبآياته ووحدانيته، ومن بين هذه الطوائف:

الفرقة الباطنية: التي تعتقد الحلول والتناسخ، وأنَّ نصوص الدين لها معنى باطن يخالف المعنى الظاهر الذي بينه رسول الله ﷺ، وأجمع عليه المسلمون، وهذا المعنى الباطن هم الذين يضعونه حسب أهوائهم[١].

وأصل نشأة الباطنية: أنَّ جماعة من اليهود والمجوس وملاحدة الفلاسفة في بلاد الفرس لما قهرهم انتشار الإسلام اجتمعوا وتشاوروا

(١) قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحاشية: «وللباطنية ألقاب كثيرة، ويفترقون إلى عدة فرق منتشرة في الهند والشام وإيران والعراق وكثير من البلدان، بيَّنها بالتفصيل عدد من المتقدمين منهم: الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل»، كما بيَّنها عدد من المتأخرين، وبينوا فرقًا جديدة منها: القاديانية والبهائية وغيرها، ومن هؤلاء الذين بيَّنوا تلك الفرق: محمد سعيد كيلاني في «ذيل الملل والنحل»، والشيخ عبد القادر شيبة الحمد الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة في كتاب «الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة»».

لوضع مذهب القصد منه تشتيت المسلمين، وبلبلة الأفكار حول معاني القرآن العظيم، حتى يفرِّقوا بين المسلمين؛ فوضعوا هذا المذهب الهدَّام، ودعوا إليه، وانتسبوا إلى آل البيت، وادعوا أنهم من شيعتهم، ليكون أبلغ في إغواء العوام، فاقتنصوا خلقًا كثيرًا من الجهّال، فأضلوهم عن الحق.

ومن تلك الفرق (القاديانية)[(١)]: نسبةً إلى غلام أحمد القادياني[(٢)] الذي اشتهر عنه أنه ادعى النبوة، ودعا الغوغاء في الهند وما حولها إلى الإيمان به، واستخدمه الإنجليز هو وأتباعه أيام استعمارهم للهند، وأغدقوا عليه وعلى أتباعه حتى اتَّبعه كثير من الجهَّال، فوُجدت القاديانية التي تتظاهر بالإسلام، وهي تسعى لهدمه وإخراج مَن استطاعت من دائرته، واشتهر أنه ألف كتاب: «تصديق براهين أحمدية»[(٣)] ادعى فيه النبوة، وحرَّف فيه نصوص الإسلام، وكان من تحريفه لنصوص الإسلام ادعاؤه أنَّ الجهاد في الإسلام قد نُسخ، وأنه يجب على كل مسلم أن يسالم الإنجليز، وألف في ذلك الوقت أيضًا كتابًا سماه: «ترياق القلوب»، وقد مات هذا الكذَّاب بعدما أضل كثيرًا

---

(١) وتسمى أيضًا الأحمدية، وللاستزادة في معرفة هذه الفرقة الضالة ينظر: القاديانية دراسات وتحليل لإحسان إلهي ظهير، والقادياني والقاديانيون: دراسة وتحليل للندوي.

(٢) تنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١/ ٢٥٦).

(٣) وجدناه باسم «البراهين الأحمدية»، أما كتاب «تصديق براهين الأحمدية» فهو من تأليف الحكيم نور الدين كما سيأتي في ترجمته.

من الناس سنة ١٩٠٨م، وخلفه في دعوته ورئاسة طائفته الضالة رجل ضال يسمى الحكيم نور الدين(١).

ومن فرق الباطنية الخارجة عن الإسلام فرقة تسمى البهائية(٢)، أسسها في بداية القرن التاسع عشر الميلادي في إيران رجلٌ اسمه علي محمد، وقيل: محمد علي الشيرازي(٣)، وكان من فرقة الشيعة الاثني عشرية، فاستقل في المشهور عنه بمذهب ادعى فيه لنفسه أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى بعد ذلك أنَّ الله تعالى قد حل فيه، فصار إلهًا للناس، تعالى الله عما يقوله الكافرون الملحدون علوًّا كبيرًا، وأنكر البعث

(١) الحكيم نور الدين البهيروي وُلد سنة (١٢٥٨)، وقرأ على الشيخ رحمةِ الله الهندي صاحب «إظهار الحق»، ثم تعرَّف على الميرزا غلام أحمد القادياني وتوثَّقت بينهما الصداقة، ولما ألَّف الميرزا «براهين أحمدية» ألَّف الحكيم كتاب «تصديق براهين الأحمدية»، ولما أُخبر بأن الميرزا ادعى النبوة قال: «لو ادعى هذا الرجل أنه نبيٌّ صاحب شريعة، ونَسَخَ شريعة القرآن لما أنكرت عليه»، وله مؤلفات أخرى منها: «فصل الخطاب» في الرد على النصرانية، هلك سنة (١٣٣٢). ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٨/ ١٣٩٦)، والقادياني والقاديانية للندوي (ص٣٠).

(٢) للاستزادة ينظر: البابيون والبهائيون لعبد الرزاق الحسني، والبابية نقد وتحليل، والبهائية نقد وتحليل لإحسان إلهي ظهير.

(٣) علي محمد ابن المرزا رضى البزّاز الشيرازي: مؤسس «البابية» التي هي أصل «البهائية»، وُلد بشيراز سنة (١٢٣٥)، وتلقى شيئًا من علوم الدين، وتقشَّف؛ فكان يمكث في الشمس ساعات عديدة فأثَّر ذلك في عقله. لقَّب نفسه بـ «الباب» واستدل بما روي: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»، وتبعته جماعة كبيرة، له مؤلفات منها: «البيان»، و«الرسالة العدلية في الفرائض الإسلامية»، أُعدم بالرصاص سنة (١٢٦٦). ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ١٧)، ومعجم المؤلفين (٧/ ١٩٧).

والحساب والجنة والنار، وسار على طريقة البراهمة[١] والبوذيين الكفرة، وجمع بين اليهود والنصارى والمسلمين، وأنه لا فرق بينهم، ثم أنكر نبوة خاتم المرسلين محمد ﷺ، وأنكر كثيرًا من الأحكام الإسلامية، ثم ورثه بعد هلاكه وزيرٌ له يتسمى (البهاء)[٢]، ونشر دعوته وكثر أتباعه، فنسبت الفرقة إلى اسمه فسُميت البهائية.

ومن الفرق الخارجة عن الإسلام، وإن كانت تدعيه، وتصلي وتصوم وتحج، فرق كبيرة العدد تدعي أنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خان في الرسالة حيث صدَّها إلى محمد ﷺ، وقد كان مرسلًا إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضهم يقول: علي هو الله، ويغلون في تعظيمه وتعظيم أبنائه وأحفاده وزوجته فاطمة وأمها خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين؛ بل قد جعلوهم آلهة مع الله، يدعونهم، ويعتقدون أنهم معصومون، وأنَّ منزلتهم عند الله أعظم من منزلة الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) البراهمة: قبيلة من قبائل الهند، نسبة إلى «براهم» أحد ملوكهم، لهم طقوس وشعائر تميِّزهم عن غيرهم، وينكرون النبوات مع إقرارهم بوجود الصانع وحدوث العالم، وتفرقوا أصنافًا: فمنهم أصحاب البددة، ومنهم أصحاب الفكرة، ومنهم أصحاب التناسخ. ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٣)، والملل والنحل (٣/ ٩٥).

(٢) البهاء أو بهاء الله: هو حسين علي نوري بن عباس بن بزرك، الميرزا رأس البهائية ومؤسسها. وُلد سنة (١٢٣٠) في بلدة نور «بمازندران» وقيل بطهران، خَلَفَ «الباب» في دعوته، فاتُّهم بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال ملك إيران ناصر الدين شاه؛ فاعتقل وأُبعد، فنزل ببغداد وعكا بفلسطين. من آثاره ما سماه: «الكتاب الأقدس»، و«الإيقان»، هلك سنة (١٣٠٩). ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤٨).

ويقول هؤلاء: إنَّ القرآن الذي بأيدي المسلمين الآن فيه زيادة ونقص، وجعلوا لهم مصاحف خاصة، وضعوا فيها آيات وسورًا من عند أنفسهم، ويسبُّون أفضل المسلمين بعد نبيهم أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويسبُّون أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويستغيثون بعلي وأبنائه في وقت الشدة والرخاء، ويدعونهم من دون الله، وعلي وأبناؤه بريئون منهم؛ لأنهم جعلوهم آلهة مع الله، وكذبوا على الله وحرَّفوا كلامه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وهذه الفرق الكافرة التي ذكرناها هي بعضٌ من فرق الكفر التي تدَّعي الإسلام وهي تهدم فيه، فتنبه -أيها العاقل ويا أيها المسلم في كل مكان- إلى أنَّ الإسلام ليس مجرَّد ادعاء، وإنما هو معرفة القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ الثابتة عنه، والعمل بذلك، فتدبر القرآن العظيم وأحاديث الرسول محمد ﷺ، تجد الهدى والنور والصراط المستقيم الذي يوصل سالكه إلى السعادة في جنة النعيم عند رب العالمين.



لقد أحسن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر هذه الفرق الخارجة عن الإسلام، واستدرك الإجمال الذي تقدَّم في الموضوع السابق فقد قال هناك: إن مذهب المسلمين كلهم هو الإسلام[1]، وقد صرح هنا بأنَّ هذه الفرق خارجة عن الإسلام، وهي فرق مشهورة، ومنها: القاديانية في الباكستان،

---

(١) تنظر: (ص٢٢٧).

ومنها البهائية في إيران، والباطنية بفرقها الكثيرة، وهي منتشرة في الشرق الإسلامي في إيران والعراق والشام، ومن فرقها: الإسماعيلية، وكل هذه الفرق أكفر من اليهود والنصارى، وقد أَلَّف العلماء في بيان مذاهبهم وحكمهم؛ كـ «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي، وكذا ذكر مذهبهم المؤلفون في الفِرق؛ كالشهرستاني في كتابه «الملل والنحل»، وعبد القاهر الجرجاني في كتابه «الفَرْقُ بين الفِرق»، ويجب على مَن ولي أمر المسلمين أن يستتيب مَن وُجد من هذه الفرق تحت سلطانه، فإن تاب وإلا ضُرِبت عنقه، ولا تعقد لهم ذمة كأهل الكتاب؛ لأن حقيقة أمرهم أنهم منافقون، وقد قيل في الباطنية من الشيعة: «أنهم يُظهرون الرفض، ويُبطنون الكفر المحض»[(١)]، وهذا يصدق على جميع فرق الباطنية أنهم منافقون زنادقة -قطع الله دابرهم-.

قوله: (وأصل نشأة الباطنية: أنَّ جماعة من اليهود والمجوس وملاحدة الفلاسفة في بلاد الفرس لما قهرهم انتشار الإسلام اجتمعوا وتشاوروا لوضع مذهب القصد منه تشتيت المسلمين، وبلبلة الأفكار حول معاني القرآن العظيم، حتى يفرقوا بين المسلمين): هؤلاء الباطنية لهم أسماء: إسماعيلية، وقرامطة، ومنهم فروع: النُّصيرية والدُّرزية

(١) قاله الغزالي، ونقله ابن تيمية في مواضع من كتبه. ينظر: فضائح الباطنية (ص٣٧)، ومنهاج السنة (٤/ ٥٥)، (٤/ ١٠٠)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٠)، (٢٧/ ١٧٤).

وأشكالهم، كل طائفة يكون لها رئيس ينتسبون إليه، ويجمعهم الإلحاد وتضليل المسلمين[(١)].

ومن مذهبهم أنهم يؤولون الصلوات الخمس بأنها معرفةُ أسرارِ الباطن، والصيامُ: كتمانها، والحجُّ: السفر إلى شيوخهم، ونحو هذا من التأويلات[(٢)].

فيتأوَّلون نصوصَ القرآن على هذا النهج، والأمثلةُ مشهورةٌ؛ فيؤولون أشياءَ لا علاقة لها بالأحكام ولا بالاعتقادات، فيقولون: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧] في قصة بني إسرائيل، المراد: عائشة، ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩﴾ [الرحمن]، المراد: علي وفاطمة، ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾ [الرحمن] : الحسن والحسين، ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ [المسد]: هما أبو بكر وعمر[(٣)]! فيَسِيرون في القرآن على هذا المنهج الملعون الإبليسي المُغْرَق في الكذب والافتراء واللعب بدين الله وكتابه.

قوله: (نسبة إلى غلام أحمد القادياني الذي اشتهر عنه أنه ادعى النبوة): وهذا مناقض لصريح القرآن وصحيح السنة وما أجمع عليه المسلمون، فادعاء النبوة بعد محمد ﷺ كفرٌ بواحٌ؛ لأنه تكذيب للقرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ: «لا

---

(١) ينظر: شرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص١٢٧)، (ص٢٣١).

(٢) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٨/ ٣٦٦-٣٧٠)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٤)، (٣٥/ ١٣٣).

(٣) ينظر: مقدمة في التفسير (ص٨٦-٨٧)، ومنهاج السنة (٣/ ٤٠٤-٤٠٥).

نبي بعدي»[١]. وهذه قضية معلومة من دين الإسلام بالضرورة ليس في ذلك اختلاف ولا خفاء، بل هو أمر ظاهر مثل الشمس، ومَن شكَّ في أنه ﷺ خاتم النبيين فهو كافر، فضلًا عمَّن يدعي النبوة، أو يُصدِّق مُدَّعيها[٢].

قوله: (ومن الفرق الخارجة عن الإسلام، وإن كانت تدعيه...) إلى آخره: هؤلاء هم الرافضة الذين أمرُهم معروف ومشهور، وصارت لهم هذه الدولة التي تدين بهذا الدين، والتي أسَّسها الخميني الهالك، فهم يتبجَّحون ويدَّعون الإسلام، وهم مِن أبعد خلق الله عن دين الإسلام، كما أوضح الشيخ، فكلامه مُعبِّر عن واقع هؤلاء، فهم يسبُّون أبا بكر وعمر خيار هذه الأمة وهم خير الصحابة، وكذلك عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يسبُّونها ويرمونها بالفاحشة[٣]، وإن كان من دينهم التقِية، لكنهم في هذا لا يستعلمون التقية؛ بل هم يجهرون بهذه الفضائح.

قوله: (فتدبر القرآن العظيم وأحاديث الرسول محمد ﷺ، تجد الهدى والنور والصراط المستقيم الذي يوصل سالكه إلى السعادة في جنة النعيم عند رب العالمين): التدبُّر: هو التفكُّر في معاني الكلام ومقاصده، وهو من الحكمة في إنزال القرآن كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، والتدبُّر للقرآن هو الطريق إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وينظر: نظم المتناثر (٢٥٦).

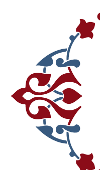
(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٩١).

(٣) ينظر: عقائد الشيعة الاثني عشرية سؤالٌ وجوابٌ (ص١٦١)، (ص ١٦٥)، (ص١٦٧)، (ص١٨٠-١٨١).

فهمه، ويجب أن يُعوَّل في فهم القرآن على فهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ فهم أعلمُ الناس بمراد الله من كلامه، وكلُّ فهمٍ يناقض فهمهم فهو مردود؛ لأنه لا يجوز أن يكون مَن بعدهم أعلم منهم بكتاب الله. وفهم القرآن والفقه في أحكامه: هو الحكمة المذكورة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة][1].



(١) ينظر: التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين لشيخنا (١/ ٦١٧).





الدعوة إلى النجاة

يـا أيهـا الإنسـان العاقـل مـن ذكـر أو أنثى ممـن لـم يدخل بعـد في الإسلام... إليك أوجِّه هذه الدعوة إلى النجاة والسعادة، فأقول:

-أنقـذ نفسـك مـن عـذاب الله تعالـى بعـد المـوت فـي القبـر، ثـم فـي نار جهنم.

-أنقذ نفسك بالإيمان بالله ربًّا، وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، وقل بصدق: «لا إله إلا الله محمد رسـول الله»، وصـلِّ الصلوات الخمس، وأدِّ زكاة مالـك، وصـم شـهر رمضـان، وحـج بيـت اللـه الحـرام إن استطعت إليه سبيلًا.

-وأعلن إسلامك لله؛ فإنه لا نجاة لك ولا سعادة إلا بذلك.

-وإني أقسـم لك بالله العظيم الذي لا إله إلا هو: أنَّ هذا الإسـلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه.

وإني أُشـهد الله وملائكته وجميع خلقه: أنه لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ الإسلام هو الحق وأنني من المسلمين.

وأسأل الله سـبحانه بمنه وكرمه أن يميتني مسـلمًا حقًّا وذريتي وجميع إخوانـي المسـلمين، وأن يجمعنـا فـي جنـات النعيـم مع نبينـا محمد الصـادق الأمين، وجميـع النبيين، ومـع آل نبينـا وصحبه، وأسـأل الله

تعالى أن ينفع بهـذا الكتاب كلَّ مَن يقرؤه أو يسـمعه... ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

والله أعلم، وصلى الله وسـلم على نبينا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.



التَّعْلِيقُ

إنَّ هذا الفصل ختامٌ رائعٌ مناسبٌ لموضوع الكتاب، وهو التعريف بأن الإسـلام هو الدين الحق لا غيـره، وأنَّ مِن أوجب الواجبـات على مَن مَنَّ الله عليه بالإسـلام أن يدعو الكفار للدخول في الإسلام بحسب استطاعته علمًـا وبيانًا، والتوجـه بالدعوة إلـى العقلاء مـن الناس الذيـن لهم عقولٌ يفكِّرون بها، كما قـال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد]، وفي آية أخـرى: ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد]، ولهذا خصَّ الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خطابه الإنسـان العاقل ذكرًا كان أو أنثـى، ومن أعظم ما يُذكَـر في الدعوة إلى الإسلام: بيانُ أنه أعظم سببٍ للسـعادة في الدنيا والآخرة، والنجاة من عذاب اللـه، ولهذا نبَّه الشـيخ علـى ذلك، ولا شـك أن كلَّ عاقـلٍ يطلب النجاة من الشـقاء وأسـبابه، فإذا علم الإنسـان العاقل أنه لا سـعادة له ولا نجاة من عـذاب الله إلا بالدخول في الإسـلام والعمل بشـرائعه؛ بادر إلى ذلك ولـم يتـردد، ولكن يجب أن يُعلـم أنَّ التوفيق لذلك راجعٌ إلى مشـيئة الله وحكمته؛ فيجب على مَن منَّ الله عليه بالإسـلام أن يسـأل ربَّه الثبات عليه، ولهذا ختم الشـيخُ كلامه بالدعاء على الثبات على هذا الدين الحق،

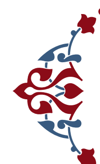
ونقول كما قال الشيخ: اللهم مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك، ونقول: اللهم كما هديتنا للإسلام ثبتنا عليه حتى نلقاك به؛ فالأمر كله لله، والحكم كله لله، وهو العليم الحكيم البَرُّ الرحيم، لا مانع لِمَا أعطى، ولا مُعطي لِمَا منع.

وغفر الله للشيخ، ونفع بهذا الكتاب؛ فإنه تضمَّن موضوعًا عظيمًا: وهو الدين الحق، فكلُّ أحد فقير إلى هذا الدين الحق، وأكثر البشرية محرومون من هذه النعمة نعمة الإسلام، فنسأل الله العافية، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧﴾ [هود]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأعراف]، فنسأل الله الذي هدانا للإسلام أن يُثبِّتنا عليه، ومن دعاء يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف]، وهذا دعاءٌ بحسن الخاتمة، والسحرة لَمَّا ظهر لهم الحق وسجدوا وتهدَّدهم فرعون بصلبهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف].

والله الموفق، والله أعلم، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وتمَّ الفراغ من التعليق على هذا الكتاب في يوم الإثنين الخامس من شهر جمادى الآخرة من عام خمسة وأربعين وأربع مئة بعد الألف.

◆◇◈◇◆





قائمة المراجع



(أ)

١. **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، جماعة من المحققين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢. **الأحاديث المختارة**، الضياء المقدسي، حققه: عبد الملك بن عبد الله الدهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

٣. **أحكام الجنائز وبدعها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

٤. **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزالي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢.

٥. **الإخنائية**، ابن تيمية، حققه: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٦. **إرشاد السالك إلى مناقب الإمام مالك**، يوسف بن حسن بن عبد الهادي، حققه: رضوان مختار بن غربية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

٧. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩.

٨. **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية**، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

٩. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩.

١٠. **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١١. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٤١.

١٢. **إظهار الحق**، محمد رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي، حققه: الدكتور محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

١٣. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٤٠.

١٤. **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، عبد الحي بن فخر الدين الطالبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

١٥. **الأعلام**، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

١٦. **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠.

١٧. **الأم**، محمد بن إدريس الشافعي، حققه: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.



(ب)

١٨. **البابية نقد وتحليل**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١.

١٩. **البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم**، عبد الرزاق الحسني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨.

٢٠. **البداية والنهاية**، ابن كثير، حققه: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

٢١. **البدر المنير في تخريج الشرح الكبير**، ابن المُلَقِّن، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

٢٢. **البهائية نقد وتحليل**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١.

٢٣. **بيان تلبيس الجهمية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

(ت)

٢٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

٢٥. **تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك**، أبو جعفر ابن جرير الطبري، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧.

٢٦. **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: محمد بن صالح الدباسي ومحمود بن عبد الفتاح النحال، الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٤٠.

٢٧. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، حققه: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، طبعة ١٤١٥.

٢٨. **التبيان في أيمان القرآن**، ابن قيم الجوزية، حققه: عبد الله البطاطي، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠.

٢٩. **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٣٠. **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، عبد الله بن عمر البيضاوي، حققه: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، طبعة ١٤٣٣.

٣١. **تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

٣٢. **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشّاف للزمخشري**، عبد الله بن يوسف الزيلعي، حققه: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤.

٣٣. **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، محمد بن أحمد القرطبي، حققه: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

٣٤. **الترغيب والترهيب**، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، حققه: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤.

٣٥. **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣.

٣٦. **التعليق والإيضاح على تفسير الجلالين**، عبد الرحمن بن ناصر البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٣٧. **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، ابن حجر، حققه: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

٣٨. **تفسير أسماء الله الحسنى**، أبو إسحاق الزجاج، حققه: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.

٣٩. **التفسير البسيط**، علي بن أحمد الواحدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

٤٠. **تفسير الطبري**، محمد بن جرير الطبري، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٤١. **تفسير القرآن العظيم**، عبد الرحمن ابن أبي حاتم، حققه: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩.

٤٢. **التوحيد**، محمد بن إسحاق بن منده، حققه: علي بن محمد الفقيهي، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥-١٤١٣.

٤٣. **التوسل أنواعه وأحكامه**، محمد ناصر الدين الألباني، أعدَّه: محمد عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

٤٤. **التوضيح عن توحيد الخلَّاق**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

٤٥. **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن بن صالح السديس، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٤٢.

٤٦. **التيسير في التفسير**، نجم الدين عمر بن محمد النسفي، حققه: ماهر أديب حبوش، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول، تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٤٠.

(ج)

٤٧. **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، حققه: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤.

٤٨. **جِلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، حققه: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠.

٤٩. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، حققه: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩.

(ح)

٥٠. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ابن قيم الجوزية، حققه: زائد النشيري، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.

٥١. **حاشية الأصول الثلاثة**، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار الزاحم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣.

٥٢. **الحجة في بيان المحجة**، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، حققه: محمد عبد اللطيف الجمل، دار الفاروق، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٣٧.

٥٣. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، مصر، طبعة ١٣٩٤.

(خ)

٥٤. **خطبة الكتاب المؤمَّل للردِّ إلى الأمر الأول**، أبو شامة المقدسي، حققه: جمال عزون، دار أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

(د)

٥٥. **الدر المختار بحاشية ابن عابدين**، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢.

٥٦. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، حققه: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١.

٥٧. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، حققه: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧.

٥٨. **دلائل النبوة**، أبو بكر البيهقي، حققه: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

٥٩. **دلائل النبوة**، أبو نعيم الأصبهاني، حققه: محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

٦٠. **دين الحق**، عبد الرحمن بن حماد آل عمر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢٠.

(ر)

٦١. **الرد على الجهمية والزنادقة**، أحمد بن حنبل، حققه: دغش العجمي، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

٦٢. **الرد على المنطقيين**، ابن تيمية، حققه: عبد الصمد الكتبي، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

٦٣. **الرسالة**، محمد بن إدريس الشافعي، حققه: أحمد محمد شاكر، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٧.

٦٤. **رسول الأميين**، هيثم طلعت، تبصير للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٤٢.

(ز)

٦٥. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، حققه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٦٦. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي ورفقاؤه، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠.

(س)

٦٧. **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٦٨. **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢.



٦٩. **السنة**، أبو بكر بن أبي عاصم، حققه وخرَّجه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠.

٧٠. **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

٧١. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

٧٢. **سنن الترمذي**، أبو عيسى الترمذي، حققه: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٧٣. **سنن الدارقطني**، علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

٧٤. **السنن الكبير**، البيهقي، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٣٢.

٧٥. **سنن سعيد بن منصور**، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

٧٦. **السير والمغازي**، محمد بن إسحاق، حققه: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨.

٧٧. **السيرة النبوية**، ابن هشام، حققه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥.

٧٨. **السيرة النبوية**، أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٥.

(ش)

٧٩. **شرح الأصول الثلاثة**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن بن صالح السديس، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة التاسعة، ١٤٤٣.

٨٠. **شرح العقيدة التدمرية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن بن صالح السديس، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة السابعة، ١٤٤٢.

٨١. **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤.

٨٢. **شرح حديث النزول**، ابن تيمية، حققه: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٨.

٨٣. **شرح صحيح مسلم**، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

٨٤. **شرح عمدة الفقه**، ابن تيمية، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠.

٨٥. **شرح معاني الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، حققه: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤.

٨٦. **شرح نواقض الإسلام**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن بن صالح السديس، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة التاسعة، ١٤٤٣.

٨٧. **شعب الإيمان**، البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٨٨. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ابن قيم الجوزية، حققه: زاهر بن سالم بلفقيه، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٤١.

(ص)

٨٩. **الصارم المنكي في الرد على السبكي**، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، حققه: عقيل بن محمد المقطري، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

٩٠. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

٩١. **صحيح ابن خزيمة**، محمد بن إسحاق ابن خزيمة، حققه: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

٩٢. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٩٣. **صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

٩٤. **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٩٥. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وطبعة دار الطباعة العامرة، تركيا، عام النشر: ١٣٣٤.

٩٦. **الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، حققه: حسين بن عكاشة بن رمضان، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٢.

(ض)

٩٧. **الضعفاء الكبير**، محمد بن عمرو العقيلي، حققه: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

(ط)

٩٨. **الطبقات الكبير**، ابن سعد، حققه: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

(ع)

٩٩. **عارضة الأحوذي**، أبو بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٠. **العبودية**، ابن تيمية، حققه: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦.

١٠١. **العزيز شرح الوجيز = الشرح الكبير**، عبد الكريم بن محمد الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

١٠٢. **عقائد الشيعة الإثني عشرية سؤال وجواب**، عبد الرحمن الشثري، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الثالثة للطبعة الجديدة، ١٤٣٧.

١٠٣. **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، علي بن عمر الدارقطني، حققه: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، ومحمد الدباسي، دار طيبة، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

١٠٤. **العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حققه: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.



(ف)

١٠٥. **فتاوى نور على الدرب**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أعدَّه: محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨.

١٠٦. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

١٠٧. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩.

١٠٨. **فتح المجيد**، عبد الرحمن بن حسن، حققه: وليد بن عبد الرحمن الفريان، دار الصميعي للنشر والتوزيع.

١٠٩. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ابن تيمية، حققه: عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة، الرياض.

١١٠. **الفروع**، ابن مفلح، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤.

١١١. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١١٢. **فضائح الباطنية**، أبو حامد الغزالي، حققه: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

١١٣. **فضل الصلاة على النبي ﷺ**، إسماعيل بن إسحاق الجهضمي، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧.

١١٤. **الفوائد**، تمام بن محمد بن عبد الله بن الدمشقي، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

١١٥. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦.

(ق)

١١٦. **القادياني والقاديانية دراسة وتحليل**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، الدار السعودية للنشر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧.

١١٧. **القاديانية دراسات وتحليل**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة السادسة عشرة، ١٤٠٤.

١١٨. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ابن تيمية، حققه: عبد القادر الأرناؤوط، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

١١٩. **قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق**، ابن تيمية، حققه: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨.

١٢٠. **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**، أبو بكر بن العربي، حققه: محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

١٢١. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

(ك)

١٢٢. **الكاشف عن حقائق السنن**، حسين بن عبد الله الطيبي، حققه: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٧.



١٢٣. **كتاب الأموال**، أبو عُبيد القاسم بن سلَّام، حققه: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت.

١٢٤. **كتاب التوحيد**، محمد بن عبد الوهاب، حققه: دغش العجمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الطبعة الخامسة، ١٤٣٥.

١٢٥. **كتاب الصلاة**، ابن قيم الجوزية، حققه: عدنان بن صافاخان البخاري، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.

١٢٦. **كشّاف القناع عن الإقناع**، منصور بن يونس البهوتي، وزارة العدل في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

١٢٧. **الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٤٤.

١٢٨. **الكلام على مسألة السماع**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠.

١٢٩. **الكليات**، أبو البقاء الكفوي الحنفي، حققه: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣٠. **الكنى والأسماء**، محمد بن أحمد الدولابي، حققه: نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

(ل)

١٣١. **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤.

(م)

١٣٢. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى، حققه: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة ١٣٨١.

١٣٣. **مجمع الزوائد**، الهيثمي، حققه: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤.

١٣٤. **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمعه وحققه: عبد الرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٣٥. **المجموع شرح المهذَّب**، يحيى بن شرف النووي وتكملة السبكي والمطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

١٣٦. **المحرر الوجيز**، ابن عطية الأندلسي، حققه: الرحالي الفاروق وغيره، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية في قطر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨.

١٣٧. **المحلى**، ابن حزم الأندلسي، حققه: أحمد محمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣٤٧.

١٣٨. **مدارج السالكين**، ابن القيم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠.

١٣٩. **مسألة حدوث العالم**، ابن تيمية، حققه: يوسف بن محمد الأزبكي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣.

١٤٠. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١.

١٤١. **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي الموصلي، حققه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

١٤٢. **مسند أحمد بن حنبل**، حققه: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

١٤٣. **مسند البزار**، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.

١٤٤. **مسند الرُّوياني**، أبو بكر محمد بن هارون الروياني، حققه: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦.

١٤٥. **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حققه: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

١٤٦. **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

١٤٧. **المصنف**، ابن أبي شيبة، حققه: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦.

١٤٨. **المصنف**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

١٤٩. **المطلع على ألفاظ المقنع**، محمد بن أبي الفتح البعلي، حققه: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

١٥٠. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد الحكمي، حققه: محمد صبحي حلّاق، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

١٥١. **معجم أسر بريدة**، محمد بن ناصر العبودي، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١.

١٥٢. **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني، حققه: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

١٥٣. **المعجم الكبير**، الطبراني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٥٤. **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥٥. **معرفة الصحابة**، محمد بن إسحاق بن منده، حققه: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

١٥٦. **المغني**، ابن قدامة المقدسي، حققه: عبد الله التركي وعبد الفتّاح الحلو، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧.

١٥٧. **مفتاح دار السعادة**، ابن قيم الجوزية، حققه: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠.

١٥٨. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن الأشعري، حققه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

١٥٩. **مقالات الألباني**، حققه: نور الدين طالب، دار أطلس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

١٦٠. **مقدمة في أصول التفسير**، ابن تيمية، حققه: عدنان زرزور، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

١٦١. **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، حققه: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، طبعة ١٣٨٧.

١٦٢. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ابن الجوزي، حققه: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

١٦٣. **منهاج السنة**، ابن تيمية، حققه: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.

١٦٤. **المهذَّب في اختصار السنن الكبير**، الذهبي، حققه: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

١٦٥. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠.

١٦٦. **الموضوعات**، ابن الجوزي، حققه: نور الدين شكري بوياجيلار، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٦٧. **الموضوعات**، الحسن بن محمد الصغاني، حققه: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥.

١٦٨. **موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني**، مالك بن أنس، حققه: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية.

١٦٩. **الموطأ**، مالك بن أنس، حققه: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

(ن)

١٧٠. **النبوات**، ابن تيمية، حققه: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

١٧١. **نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، محمود باشا الفلكي، ترجمه: أحمد ذكي أفندي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٠٥.

١٧٢. **نصب الراية لأحاديث الهداية**، الزيلعي، حققه: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

١٧٣. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، محمد بن أبي الفيض الكتاني، حققه: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية.

١٧٤. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، حققه: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٨٣.

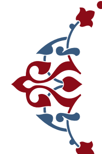
١٧٥. **النونية= الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، ابن القيم، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.

(هـ)

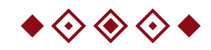
١٧٦. **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ابن قيم الجوزية، حققه: عثمان جمعة ضميرية، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.







الفهرس التفصيلي





الفهرس الإجمالي